المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السابع بعد المائة

١ نوفمبر سنة ١٩٤٥ — ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٦٤

طبقة من نور

وأخرى من ظلام في العصور الوسطى

كان الفرق بين الآراء التي تجول في عقول الأوساط من الناس، وبين الذين خصوا باستيعاب أرق ضروب المعرفة الدائمة في العصور الوسطى، كبيراً شاسعاً. على أن مثل هذا الفرق قد وجد دائماً بين الزمرتين، وهو في عصرنا هذا، بالرغم من نظام المدارس والتدريس، لا يزال واسعاً عميقاً، كما كان في تلك العصور. غير أن بعض الظروف قد جعلت ذلك الفرق في العصور الوسطى، أوسع بعض الشيء مما هو الآن. ذلك بأن غالبية الناس إذ ذاك كانوا الى الخشونة، كسترقهم الصناعات البدوية أو الفلاحة، فلم يزاولوا وديانهم الأصلية التي نشأوا فيها. اللهم الا إذا دعتهم الحاجة الى الخروج لمغزاة يزجهم في غمرتها سيد الأقطاع الذي يملك رقابهم. كانوا يجهلون القراءة. ولو أنهم عرفوها إذن لما وجدوا كتباً ولا مخطوطات يكفون عليها، فظلوا من حيث العلم بأحوال الدنيا الخارجة عن ديارهم الضيقة، واقفين عند ما يتلقفون من أقوال المهاجرين وعابري السبيل والتجار. وفي الحق ان صلتهم بالمعرفة كانت مقصورة على قسيس القرية. وكان قساوسة القرى أقل رجال « الأكليروس » علماً وأعجزهم عن التعليم. كانوا في شغل شاغل وفي فقر مدقع، حتى ليتعذر على أحدهم الحصول على مخطوط يكب عليه. وكانوا محتقرين في نظر الذين هم أعلى منهم مرتبة في الكنيسة، ومن الدينارين، على السواء.

إن اتصال الفلاحين وعمال المصانع في العصر الحاضر بالعالم الخارج عنهم، ووقوفهم على

أخبار الدنيا والآراء التي تذيع فيهم عن طريق الصحف والمجلات والصور المتحركة ، دع عنك تعليم المدارس ، لم يتهيأ مثله للناس منذ ستة قرون فرضَ من الزمان . أضف الى ذلك أن طبقة المتعلمين كانت نسبتها بالقياس على المجموع أقل منها الآن . فاننا بالرغم مما نقرأ من أن آلاف الطلاب كانوا في ذلك العصر يغشون جامعة باريس أو جامعة بولونيا ، فإن عدد الجامعات الكبرى ذات الأثر الثقافي، حتى حدود القرن الرابع عشر ، لم يتجاوز اثنتي عشرة جامعة في كل أوربا ، إن لم يكن أقل . وكانت جميعها ، على التقريب ، واقعة تحت سلطان رجال الدين . وهم طائفة انحصر فيهم كل ما نسميه اليوم وظائف السياسة والشرع والتعليم ، ومعنى هذا أنهم كانوا منعزلين عن بقية أفراد الجمعية وطبقاتها ، فلا يختلطون بغيرهم إلاّ قليلاً ، فضلاً عن اعتقادهم القائم على فكرة الرعاية الكنسية التي أوحت اليهم بأن العلم عالمهم وحدهم وصناعتهم المحتكرة ، وأن تدخل عامة الناس فيه أمرٌ لا يخلو من خطر ينبغي أن يتقى بصرفهم عنه وإبعادهم عن سبيله . يأتي فوق ذلك حقيقة أن الكتب التي ظنّ أن بها إثارة من العلم المدرسي والمدوّنات والمراجع ، كانت جميعاً مكتوبة باللسان اللاتيني ، وكان مجهولاً من العامة حتى في ايطاليا نفسها . وكذلك الانجيل ، وكان من دعائم العلم في كل العصور الوسطى ، كان مكتوباً باللغة اللاتينية كما عرفها القديس « يعروم » . أما ترجمته الى اللغة المتداولة فكان مقدمة لحركة الاصلاح الديني التي قام بها لوثر ، وكان بقاؤه في اللاتينية وحدها من العوائق التي صدت مقدمي الاصلاح الديني ، من أمثال « ويكليف » و « هوس » عن بلوغ أهدافهم في القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر . ولم يكن ليصل الى العامة من صور التبشير النصراني التي يمكن أن تسعها عقولهم، قبل ظهور القساوسة المستجدين من الدومينيكيين والفرنسسكانيين في أوائل القرن الثالث عشر، إلاّ إثارات وتفاهات لا غناء فيها. وإنما أكثر ما يتصل بهؤلاء القساوسة من الشهرة ، فإنما يرجع الى بعثاتهم التي جابت أنحاء أوربا ، ورغبتهم في اقتسام علمهم مع الناس .

كانت الطبقات العليا ، بطبيعة الحال ، غير منقطعة كل الانقطاع عن خزائن الحكمة الدائمة . ففي خلال العهد الأخير من العصور الوسطى ، كان أسياد الاقطاعات يقرأون ويكتبون ، جرياً على عادة أتبعت ، كما أنشئت لهوم أقاصيص وأغنيات وحكايات تالية عن سياحات ومخاطرات ، وهي من الأشياء التي تؤلف جزءاً عظيماً مما تفخر به الآداب الأوربية الأولى . كذلك كان نواب المدن وكبار رجالها متعلمين تعليماً لا بأس به . وفي الحقيقة ان العثور على طبقة متعلمة تعليماً ثقافياً، قد انحصر في الغالب على كبار رجال الأسر التجارية ورجال البلديات والموظفين الذين كان يحتاج اليهم في معالجة مشاكل التجارة والحياة

التجارية . فن دانتي الفلورنسي، وهو ابن سجل عقود ، انما هو المثل العالي لذلك الضرب من التعليم الذي ذاع في المدن، وبخاصة مدن شمال ايطاليا العامرة في القرن الثالث عشر . ولقد كان في المانيا وفي الفلاندر طبقة مثل هذه تمثل أرقى ما وصل اليه التثقيف في المدن الكبرى.

من هذه الطبقات خرج أعاظم الذين تحمسوا لآداب العالم القديم واحتضنوها وعملوا على تفهمها . أولئك كانوا أوائل النشوريين[1] في عصر النهضة . وبنشوء هذه الطبقة القارئة، نشأت آداب واسعة تناولت العلوم المبسطة ، ونوع آخر من الأدب جمع بين التسلية والتثقيف . وكان من الطبيعي أن تتجه العقول الى أنواع الثقافات الأدبية التي فيها شيء من الروعة أو الغرابة .

من أمثال الكتب التي ذاعت في ذلك العصر كتاب — Romaunt of the Rose — الذي ترجم الى كثير من اللغات وترجمه « شوسر » الى الانجليزية . وكذلك كتاب — Treasure وكتاب Romance of Sidrach وكتاب Image of the World الذي وضعه برونيتو لاتيني أستاذ دانتي وكتاب — Properties of Things — الذي وضعه بارتولوميو الانجليزي وكثير غيرهم ممن قلدوهم . وهؤلاء لم يكونوا في عصرهم أقرب الى مراقي الثقافة العليا، علمية وأدبية، من كثير ممن يكبون على صحف « العلم المبسط » التي تنشر في عصرنا هذا . ان هذه ليست إلا تقليدات إذا قيست بالموسوعات الثقافية التي وضعها البرت الكبير أو القديس توماس الاكويني .

إذا رجعنا إلى عقائد الرجل العادي في حقيقة العالم، فاننا نجد أن آراءه من حيث تأمله في حقيقة البيئة التي وضعه الله فيها ليقضي حياته الفانية ، كانت خليطاً من مشاهدات ، إن دلت على فطنة ورجاحة عقل، فانها في مجموعها قد غلفت تلك الأشياء التي وقعت تحت حسه وفي دائرة حياته المحدودة، وأثرت في حياته اليومية وطبيعة عمله ؛ وقصص خيالية وخرافات كونها فيما تخير من أمور تبعد عن عصره أو عن عقله ، سواء أفي الزمن أم في المكان ؛ وعقيدة مستمدة من الفها في حقيقة الأشياء التي تبعد عن مجال تجاربه وعجز عن تعليلها ، وكانت حزمة الانجيل ، مفسرة على ما يرضي أهواء الأحبار السائدة ، هي المرجع الذي يستمد منه مهيئات تلك العقيدة .

خلق الله العالم ، كما ثبت في مخيلة ذلك الرجل العادي ، في ستة أيام ، جرياً على التقليد العبراني القديم ، فخرج كاملاً بكل تفاصيله، وثبت كما خلق فلم يقع عليه أي تغاير أو تغير.

---

(١) Humanists

وان التغير الذي نلحظه في حياتنا هذه انما يقتصر على حياة الانسان وعلى أعماله . خيل اليه أن الارض صهنٌ عظيم ، يحيط به من جميع الجهات لجٌ من الماء . وبين فوقها امتدت القبة السماوية ، التي سبحت فيها الشمس والقمر والسيارات ، وفي جناتها الفسيحة استقرّ ملائكة يحملون النجوم الثوابت ، كأنها المصابيح .

أما حركات السيارات فكان علمه بها أرقى من علم الانسان العادي في زماننا هذا ، ذلك بأنه عاش في العراء ، فاذا غربت الشمس ، عزّ عليه أن يجد ما يستضيء به ، فشغل نفسه بالتطلع الى السماء ، حتى استطاع أن يقف على مجرى تلك الكواكب السيارة ، وطبيعة حركتها ، ونشأت فيه غريزة الفلاح التي حملته على أن يدرس علاقة حركاتها تلك بحالات الطقس والرياح . فهيأ بما علم من مبادئ التنجيم ، وهي مبادئ انحدرت اليه من أبعد الازمان ، وكانت قد نشأت في تلك البلاد التي يدعوها « بلاد الكفّار » — ويقصد بهم العرب — فاعتمد عليها واتخذها ، كما اتخذها غيره من أهل القرون الاولى ، هادياً في العمل وموجهاً في الزراعة ووسيلة للشفاء ، ومستقرأ للمستقبل . أما المجازات المشرقية التي وردت في كتب العهد القديم ، فقد فهمها بحرفيتها ، وربما كان قد عطف على ذلك الاعتقاد القديم الذي قال :

ليست السماء كرة ، بل خيمة أو مظلة « انه هو ... الذي مد السماوات حجاباً ، وبسطها خيمة تعاش فيها » . تقول الكتب المقدسة إن لها قبة . وليس للكرة قبة . وكذلك كتب : علت الشمس عن الارض عند ما هبط لوط أرض صوغر (١) Zoar . الارض منبسطة ، والشمس لا تمر من تحتها خلال الليل ، بل تمر بالاجزاء الشمالية ، كما لو كان يحجبها جدار . والشمس تغرب ومن ثم تسرع الى المكان الذي منه تشرق » .

***

اتخذ الراهب « قوزماس » من هذه التعبيرات أداةً ، وأكبّ في القرن السادس على تأليف كتاب ذاع صيته وانتشر بين الناس على اختلاف طبقاتهم حتى القرن الثاني عشر ، فصوّر الدنيا في هيئة خيمة عظيمة مستطيلة الشكل ، محوطة بالماء ، ومنها يتساقط المطر على الارض .

غير أن كثيراً من الذين وصلت الى أيديهم كتب العلوم المبسّطة في القرنين الثاني عشر

(١) واذ أشرقت الشمس على الارض دخل لوط الى صوغر . فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريت وناراً من عند الرب من السماء . وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الارض . ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح . تكوين : ١٩ : ٢٣ الى ٢٦ .

والثالث عشر ، كان علمهم أقوم من علم هذا الراهب والذين أخذوا عنه . فقد برهن بسهولة على أن الارض كروية ، وان من حولها تدور الافلاك والسيارات .

جاء في كتيب من مخلفات القرن العاشر :

في اليوم الثاني خلق الله السماء وسميت القبة ، وهي مؤلفة بالذين ، هيولية الاوام . ومع هذا فقد يتفق ان لا تراها لعظم ارتفاعها وتراكم السحاب وضعف أبصارنا . تقوم السماء في صدرها الذي يرتها وهي لا تنفك تدور من حولك ، بأسرع مما تدور أية من عجلات الفخاريين ، وهي من تحت الارض كما هي من فوقها ، على بعد واحد . انها مستديرة من كل أطرافها ، كاملة البناء ، تامة الخلق مرصعة بالنجوم . وفي الحق ان الشمس تمشي بأمر الله بين السماء والارض لتطلع نهاراً وتهبط ليلا . وهي دائمة الحركة من حول الارض ، وبذلك تضيء الجزء الاسفل من الارض عند ما يكون ليل في جزئها الاعلا. والشمس عظيمة الحجم فائقة القدر ، وانها على ما تقول الكتب ، تعرض الارض واناسها ، ولكنها تظهر صغيرة لبعدها عن أبصارنا . والاشياء كلما بعدت عنا ، ظهرت أصغر حجماً مما هي . والقمر والنجوم تستمد نورها من الشمس . والشمس في السماء نظير مخلصنا للمسيح في الارض ، فانه شمس الحق والنور . أما الكواكب والنجوم فهي في السماء ، نظير المؤمنين بالله في الارض .

السماوات من فوق الارض ، وتبعد عنها بعداً شاسعاً عظيماً ، حتى أن حجراً كبيراً اذا هبط من السماء ، فانه لا يصل الى الارض في أقل من مئة سنة . ولا شك في أن أكثر المتعلمين كانوا على إلمام بالمبادئ الأولية التي قام عليها الفلك اليوناني ، وهو علم اقتصر الاشتغال به على فئة من المنقطعين للدرس ، ولو أنه كان في ذلك العصر مطوقاً بالأساطير متدفقاً في الخرافات .

في سفر « صدراك » أن الشهب المنقضة على الارض ، هي مدارج الرياح ، أو هي الرطوبات التي تنفثها الارض فتصعد من صدرها حتى تصل طبقات الهواء العليا ، أو ربما تكون أنباساً من النار يرمي بها الملائكة الطيبون الملائكة المغضوب عليهم ، إذا أرادوا أن يدخلوا خلسة ملكوت السماء .

إن الرجل العادي لم يكن ليعرف شيئاً من الجغرافيا ، اللهم إلا ما يتلقفه من أفواه المسافرين ، وكان من الغرارة بحيث يقبل أي شيء يروى له عن البلاد البعيدة عن محيطه ، وما تأهل به من أقوام غرباء ، شأنه في ذلك شأن أمثاله في عصرنا هذا . ولا ينبغي أن يغرب عن فهمنا أن كل الأقاصيص المثيرة التي ذاعت في « العصور الوسطى » انما استمدت أصلاً من كتب القدماء ، من الرومان أمثال بلينيوس ومن اليونان بعد العصر القديم ، وهي أقاصيص نتخذها مثالاً للمعتقدات التي ذاعت في الحضارة القديمة والعصور الوسطى . والحقيقة انها لا تدل على تأخر عقلي أو انحطاط ذهني ، بل تدل على انها أرقى ما وصل

اليه العقل البشري في ذلك العصر ، الا نبذة من المختارين في العلم .

فهناك السواحير (١) على شكل الانسان، مفرطو الالوف ، عظيمو الجباه ، بأرجل أشبه شيء بأرجل الماعز . ولقد رأى القديس «انتوني» واحداً منها في الفلاة .... ان هذه الوحوش الغريبة ذوو قدرة على النوس في الماء . وقد سمي بعضها « المكيات » (٢) Cynocephali — لان رءوسها كرءوس الكلاب ، ويظهرون في تصرفاتهم أشبه بالبهائم منهم بالانسان . وقد يسمى بعضهم «مستديرات العين» Cyclops (٣) ويسموا بذلك لان لكل منهم عيناً واحدة مستقرة في وسط الجبهة ، وقد يكون بعضهم بغير رءوس أو أنوف ، وعيونهم في أكتافهم ، ولبعضهم وجوه مسطحة بغير خياشيم ، والشفاه التي قد تمتد وتطول حتى تغطي وجوههم ، اذا ما أحرقتهم الشمس . وفي «إسكوثيا» Scythia (٤) — أقوام منهم أذانيون (٥) أي عظام الاذان سخامهم ، حتى انهم قد يشترون آذانهم فيغطون بها كل أبدانهم . وهؤلاء يسمون Panchios (٦)

في أثيوبيا غير هؤلاء خلق كل منهم قدم واحدة ، غير انها من العظم والضخامة ، بحيث يستطيعون ان يستظلوا بظلها اذا ما استلقوا على ظهورهم ورفعوا أقدامهم الى أعلا ، ليتقوا بها حرارة الشمس . وهم مع ذلك عداؤون ، في سرعة كلاب الصيد عدواً ، ولذا سماهم الاغارقة Cynopods (٧) أي الكلابية الارجل ، اشارة الى السرعة الى الصورة . وهناك من يبسط جلد كفوف أرجلهم الى ما وراء أقدامهم ، ولهم ثمانية أصابع في كل قدم ، فيستطيعون بذلك الجولان والتنقل في جنبات صحراء لوبيا ».

***

ولم تكن الغرائب المروية عن السوائم والنباتات بأقل مما ذكرنا غرابة :

---

(١) Satyrs : were nature-dieties or daemons of mountain forests and streams, of a subordinate or subaltern character, and therefore especially the attendants of Dionysus, like whom they represented the luxuriant vital powers of nature. etc. Class. Dict. 842.

(٢) Cynocephali — Dog's Heads : Class. Dict. 263.

(٣) Cyclops = round-eyed. In Greek Mythology, a race of one-eyed giants, represented in the Homeric cycle of legends as Cicilian shepherds. Cent. Encycl. p. 299.

(٤) Scythia : a name applied to very different countries at different times. Class Dict. 855.

(٥) اذانيون : ورجل أذاني وآذن عظيم الاذن طويلها ونعجة أذناء وكبش آذن. المرسى المحيط ١ : ١٩٥

(٦) Panchios : Panchion (Panchoni Encycl. Dict. p. 365 Vol. V. Panchion : (Perhaps a corrupt. of puncheon). An earthenware vessel wider at the top than at the bottom, used for holding milk, and other purposes. Encycl. Dict. p. 369 Vol. V.

وفي الاسم اشارة الى الصفة الخرافية التي تخيلها أهل تلك الازمان

(٧) Cynopods : Gr. Kuon = dog + pod = foot.

أي الذين اقدامهم مثل أقدام الكلاب

يقول ابن سينا ان الدب تلد قطعة من اللحم ناقصة التكوين كريهة الصورة ، فتلحس الام تلك الجزلة وتصور الاعضاء بالتلحس ... فان الفار يكون قطعة من اللحم لا تزيد عن القدر حجماً ، وليس له عينان أو أذنان ، فتلحس الام هذه القطعة من اللحم وتصور منها الفار . ومن أعجب الاشياء التي تروى عن « ثيوفراسطوس » ان لحم الدب اذا أخذ في حالة ما يكون الدب في خدره الشتائي وطبخ ، فلا يفلى منه في القدر غير كمية قليلة من الاخلاط : humours

ويروى شيء آخر هو غاية في العجب : في بعض بقاع من بلاد الحبش ، يصطاد الاثيوبيون الفيل بالطريقة الآتية : يعمد الى الحرجة فتارة عدة رماح ليس عليها غير البشة ، محلوقة الشعر ، تنصل احداها حرة والاخرى سيفاً ، ثم توضعان في الفناء منفردتين ، فيطرب الفيل بصوت الفناء ، ويقبل نحوها ويلحس حلقتها ، ثم يغشى عليه النوم فيخر صريعاً من نشوة الفناء . فتنتهز احداها هذه الفرصة وتحز رقبته أو جنبه بالسيف ، وتتلقى الاخرى دمه في الجرة ، وبهذا الدم يصبغ الناس ثيابهم ويلونونها بهذه الطريقة .

التنين أعظم الحيات وكثيراً ما يتوى فيخرج من كهفه ، ويرتفع في الهواء ، فيتحرك الهواء بحركته ، وكذلك البحر ، فانه يتلون بلونه . وله قنزعة وفم صغير ، ويستنشق الهواء من أنابيب صغيرة ، وله أسنان كالمنشار . وله قرة وبطش ، لا في أسنانه وحدها ، وانما في ذنبه أيضاً ، وله قدرة على القضم والقمع فيقضم بأسنانه ويلدغ بحمته ، على ان ما فيه من كمية السم أقل مما في بقية الحيات .

وقد يحدث ان يجتمع أربعة أو خمسة منهم ، فيصلون أذنابهم بعضها ببعض ويحكمون وصلها ، ثم يرتفعون برؤوسهم ، ثم يحلقون فيقطعون البحار ويجتازون الانهار طلباً لمرزق الطيب من اللحم . وبين التنين والفيل عداوة مؤصلة . فاذا تصاولا يصيب الفيل الانهاك قبل النهاية فيمسي بصره ، فاذا سقط على التنين ، قتله بثقل جسمه . والسبب في أن التنين يطلب الفيل ان دم الفيل بارد ، فيرغب فيه التنين ليتبرد به .

يقول القديس « بيروم » إن التنين وحش عطشان شديد التعطش الى الماء ، وقلما يجد من الماء ما يكفي لاطفاء غلته ، فيثير فاه نحو الجهة التي يهب منها الهواء ، لعله يخفف بذلك شيئاً مما يحس من ألم العطش . وهذا هو السبب في ان التنين اذا رأى السفن تدفعها الرياح ، مضى نحوها طالباً الهواء الذي يدل عليه انطلاق أشرعتها به ، وقد يغلب السفن أحياناً بقوة جسمانه ، اذ يصطدم بالاشرعة . فاذا رأى الملاحون التنين يقترب منهم ، وقد يعرفون ذلك بتحطم الامواج التي من حولهم وانتفاخها ، فانهم يسرعون بطي الاشرعة ، وبذلك يسلمون من شره .

وعلى هذا النمط تجري الأقاصيص عن عجائب الأرض ، وكلها تفيض بصور شتى من الخيال والتصوير . فان تحدث عن شيء فانما تتم عن سمة في الأفق ، ولو انها خيالات .

***

فمن الأشياء التي رواها « بارتولوميو الانجليزي » عن انجلترا ، ان هذه الجزيرة التي تحيط بها المياه من كل جوانبها ، هي من أعظم جزر البحار ، وان نبلاء طروادة Troy وكراءها بعد أن تحطمت مدينتهم وأصبحت انقاضاً ، غادروها ومعهم أسطول بحري عظيم ، ونزلوا

تلك الجزيرة معتصمين بجبالها المشمخرة ، وانهم فعلوا ذلك بإيعاز من إلاهتهم « فلاس » Pallas ، فقاتلوا عساكر الجزيرة الذين غمروها منذ أزمان بعيدة وتغلبوا عليهم ، بالحيلة حيناً وبالقوة حيناً آخر ، حتى أكرهوا اخضاع الجزيرة لأمرهم ، وسموها أرض بريطانيا نسبة الى « بروطه » Brute أميرهم الأعلى .

***

فاذا وصف انجلترا في عصره وصفها وصفاً فيه دقة في التعبير . فقال انها ركن الدنيا ، وهو يقصد بذلك ركن أوربا ، وانها أرض لا تحتاج الى غيرها في حين أن غيرها يحتاج اليها ، وان أهلها محبون للحرية مقدسون للصدق والاستقامة ، ولكن الأرض نفسها هي التي بثت فيهم روح الحرية وعلمتهم الصدق بروائها وحسن منظرها وطلاوة اقليمها ، فدتهم البيئة الطبيعية بهذه الصفات وغرستها في فطرتهم . وكذلك اذا تكلم عن فرنسا ، فانه يخلط تاريخها القديم بالأساطير ، فاذا وصفها كما كانت في عصره ، تكلم فيها بشيء من موضوعية الذهن وتوخي الواقع بقدر المستطاع .

فاذا انتقل من ذلك الى الكلام في الهند طغت عليه الأسطورة وتغلب عليه الخيال . فقال ان الهند أغنى بلاد الأرض ولكنها مع ذلك أكثرها أعاجيب . ويقول إن بلينيوس قد صدق عند ما قال إن الهند أرض المدهشات . ففيها أعظم الوحوش وأعظم كلاب الصيد . أما أشجارها فقد تعلو وتسمق حتى ان واقفاً تحت شجرة إذا أطلق سهماً من قوسه ، فقد لا يبلغ السهم في رميته قمة الشجرة . وذلك هو السبب في الغنى الذي تنعم به هذه الأرض ، وفي اعتدال الاقليم والهواء وغزارة الماء . وقد تمتد أشجار التين هنالك ، حتى أن كتائب برمتها قد تستظل بواحدة منها وتقيم تحتها ولائم وأعياداً . وهنالك أنواع من القصب تعلو وترتفع حتى أن القنة الواحدة من قصبة منها ، قد يحمل ثلاثة رجال عبر الماء اذا تشبثوا به . ومن أقوام الهند قوم لا تلد نساؤهم غير مرة واحدة ، فاذا وضعن كان أولادهن بيض الرؤوس شيباً منذ الولادة . وفي شرقي الهند حيث ينبع «نهر الكنج» قوم من الهنود لا أفواه لهم ، يكتسون بالمواد النباتية ويغتذون بالروائح والشمومات التي يستنشقونها بمخاشيمهم ، فهم لا يأكلون ولا يشربون ، وان الروائح الكريهة تقتلهم .

اسماعيل مظهر

موضوع يهم الوالدين

الفطـــام

الفطام هو تعويد الطفل هجر ثدي أمه أو مرضعته واعطاءه لبناً خارجياً أو طعاماً آخر غير اللبن . وتختلف السن التي يبتدئ فيها الفطام باختلاف البلدان ، قديماً ، وحتى أيامنا هذه أيضاً ، كان فطام الطفل يبدأ حينما يبلغ الثانية أو الثالثة من عمره ، ولا نزال نرى بعض الشعوب في أنحاء الشرق الأقصى تترك أطفالها يرضعون ثدي أمهاتهم حتى السنة الخامسة أو السادسة . وهناك أيضاً شعوب أخرى من الاسكيمو يرضع أطفالها إلى السنة الثامنة أو العاشرة ، وغيرهم إلى السنة الخامسة عشرة ، لكن الآراء الحديثة والتجارب العديدة دلّت على ان الطفل لا يستفيد فائدة ما من الرضاعة بعد الشهر التاسع من عمره ، بل بالعكس اذا استمر على ارضاعه لبن أمه بعد تلك السن ، فمن الجائز أن يصاب بالأنيميا نظراً لعدم وجود مقدار الحديد الذي يحتاجه الطفل في لبن أمه . صحيح ان ثدي الأم أو المرضع يفرز اللبن كالعادة ، ولكن عناصره المغذية تفقد ولا تعود تصلح للطفل .

ومن هذا كله نرى ان الحدّ الكافي لارضاع الطفل هو الشهر التاسع من عمره — اذا كانت صحته جيدة . ومن الأطباء من يستحسن فطام الطفل في نهاية السنة الأولى من الرضاعة. وعلى كل حال لا يجوز فطام الطفل قبل نهاية الشهر التاسع لئلاّ يتعرض لأمراض شديدة سوف يأتي البحث عنها . والأوفق أن يكون الفطام تدريجياً ويبتدئ ، كما قلنا ، من الشهر التاسع، فيعطى مرة أو مرتين في اليوم بعض الأطعمة المصنوعة باللبن أو باحدى المواد النشوية بدلاً من الرضعات الطبيعية او الصناعية ، وبالتدريج تنقص وجبات الرضاعة الطبيعية ويستعاض عنها بالمسحوق النشوية : كدقيق القمح او دقيق الأرز او الشعير او الذرة او البطاطس او الأرارروط مثلاً ، مطبوخة بالسكر او بمرق اللحم الى أن يترك الطفل ثدي أمه من تلقاء نفسه بدون أن يشعر بتعب او ارتباك ما في أمعائه . وفي ذلك الحين يكون ثديا الأم قد تعوّدا ترك الارضاع، ويكون افراز اللبن قد قلّ منهما شيئاً فشيئاً .

ويمكن أيضاً تعويد الطفل على التغذي بلبن البقر او الجاموس او غيرهما ابتداءً من الشهر السادس من عمره حتى تألف معدته الرضاع الصناعي . ولا ترتبك حالته الهضمية عند فصله عن ثدي أمه . فيُعطى الطفل مثلاً وجبة من لبن البقر او الجاموس المخفف بالماء المبرَّد الى درجة حرارة الجسم، وذلك بدلاً من رضعة الثدي الطبيعي، ويستمر على ذلك ثلاثة او اربعة أيام ، ثم يعطى بعد ذلك وجبتين من الطعام المعوَّض للبن أمه ، ويستمر على هذا المنوال في زيادة عدد الرضعات الصناعية وتقليل عدد الرضعات الطبيعية الى أن يفصل الطفل عن ثدي أمه بتاتاً في نهاية الشهر التاسع

وهنا يجدر بنا الحذر من الفطام الفجائي ، اذ ان مثل هذا العمل حادث خطر محزن ومؤلم للطفل . فهو يرى نفسه بعد أن كان متمتعاً بلبن أمه وثديها بالأمس ، قد حُرم منه اليوم بدون انذار او ذنب فيثور ضد ذلك ويبكي ويرفض ما يُقدم له من الأطعمة مهما كان نوعها وان كان متعوداً أكلها من قبل ، وقد يتقيأها اذا أُرغم على أكلها . ويستمر أحياناً في رفض الأكل حتى يضعف او يمرض . وهذا ما يدعو الى اتباع نظام الفطام التدريجي في كل الاحوال ولو كانت سن الطفل كبيرة، ويُستحسن ان يخرج الطفل من البيت كثيراً حتى يتلهى عن أمه ومرضعته

والذي تجب ملاحظته هنا هو ان حرارة الصيف غالباً ما تعكر أمزجة الاطفال وتسبب اضطراباً في معداتهم ، ولهذا يقتضي تدارك هذه الحالة لئلا تؤدي الى عواقب سيئة، وعدم فطم الطفل في أشهر الصيف الشديدة الحرارة ، ذلك لأن اللبن يكون أكثر تعرضاً للتلوث بالجراثيم في هذا الفصل . كذلك عدم فطمه في أثناء بروز أية سن من أسنانه ، وخصوصاً اذا كان مصاباً بتيء او اسهال او في دور النقاهة من أي مرض من الامراض . وأحسن طريقة لذلك هو الغاء كل طعام مدة يوم او يومين في فصل الصيف ، فيقتصر فيهما على اعطاء الطفل حساء الخضر ، وتحضيرها يكون على الوجه التالي :

يؤخذ قدر ملعقة حساء من كل من العدس والذرة والقمح المجروشة ، والحمص والشعير المجروش ، ويُغلى كل ذلك في ثلاثة لترات ماء مدة ثلاث ساعات . وبعد تنضيج يصفّى من هذا المغلي نحو ثلاث لترات وتُملّح وتقدَّم للاطفال .

ويمكن أيضاً أخذ ٦٠ غراماً من البطاطا ، و ٤٥ غراماً من الجزر و ١٥ غراماً من القنت و٦٠ غرامات من القاصوليا و ٦ غرامات من الحمص اليابس ، وتغلى كلها مدة أربع ساعات في لتر من الماء ، ثم يصفّى منها لتراً من الحساء ويُملّح . اما كمية الحساء الواجب اطعامها للطفل في كل وجبة فمنوط بعمره وبحالة امعائه — أي بمقدار الارتباك الحاصل له . والعادة

أن يعطى مصاصاً غير مملوء . اما اذا كان رضيعاً فيوضع له في مصاصته نحو ١٥٠ غراماً كل ساعتين ونصف ساعة بدلاً من الرضعات الطبيعية . ولا يجب أن تحفظ هذه الماء أكثر من اربعة وعشرين ساعة ، وتعتبر هذه الماء نفسها أحسن غذاء أيضاً لمراهقين المصابين بالحمى التيفية او بالالتهاب المعوي الحاد وغيره من الأمراض المعوية.

﴿ الحالات الموجبة فصل الطفل عن ثدي أمه ﴾ في بعض الأحيان يُضطر الى فصل الطفل فجأةً عن ثدي أمه قبل انقضاء الشهر التاسع ، سواء كان لقلة مقدار لبنها ، أو لجفافه من ثديها ، او بسبب التعب ، او لضعف يعتريها في جسمها ، او لاصابتها بمرض يمنعها عن ارضاعه ، او ايضاً لوجود أسباب عائلية او اجتماعية خاصة الخ . ففي هذه الحالات يُستعاض عن الارضاع الطبيعي بالارضاع الصناعي . وأحسن الألبان التي يتحملها الطفل بعد لبن أمه هو لبن البقرة الصحيحة ، ويأتي في الدرجة الثانية لبن الجاموس المخفف بالماء المغلي قبلاً — بعد تبريده الى درجة حرارة الجسم ، وسواء كان هذا اللبن او ذاك يجب تخفيفه قبل اعطائه للطفل ، وكلما كانت نسبة الماء كثيرة في اللبن قلّ احتمال اصابة الطفل بالاضطرابات الهضمية

ويحترس من اعطاء الطفل الأطعمة النشوية قبل بلوغه الشهر السادس من عمره ، لأنه لا يستطيع ان يهضمها مهما يكن نوعها ، بل انها تكون كالسمّ لعدم تكوُّن المادة التي تحوّل النشا الى سكر وتجعله صالحاً للهضم حتى ذلك التاريخ . فان أربعة اخماس الاطفال الذين يموتون في أشهر السنة الأولى بعد الولادة سبب موتهم الطعام ، لأن الذين يربونهم يحسبونهم قادرين على هضم الأطعمة النباتية كالخبز والنشا لأنها اذا كانت ليّنة لا تحتاج الى مضغ ، فلا يبخلون عليهم بها . وهذا خطأ ، فان الطفل لا يستطيع أن يهضم المواد النشوية مهما يكن نوعها . فاذا بلغ الشهر السادس فما فوق يجوز حينئذٍ أن يضاف الى اللبن الذي يرضعه قليلا من الأطعمة النشوية كالاراروط مطبوخاً بالسكر أو بمرق اللحم .

أما كيفية صنع الاغذية الصناعية فكما يلي : تضاف ملعقة صغيرة من أحد المساحيق النشوية التي أتينا على ذكرها الى كمية من الماء البارد وتمزج به مزجاً جيداً ، ثم يسكب هذا المزيج شيئاً فشيئاً في إناء يحتوي ١٢٠ أو ١٥٠ غراماً من اللبن المغلي ، ويغلى على النار مدة عشر دقائق ، وفي خلالها يحرك بالملعقة ليمتزج جيداً ويضاف اليه قليل من الملح أو السكر . وبعد مدة قصيرة يضاف اليه قليل من الزبد ويتناوله الطفل بالملعقة . فاذا أصيب بامساك مثلاً يعطى مسحوق الشعير . واذا أصيب بسهال يعطى مسحوق الأرز . واذا كان مصاباً بضعف البنية أو بفقر الدم يعطى مسحوق الخرطال Arrow . وعلى كل يعطى الطفل قبل بلوغه الشهر العاشر نوعاً واحداً من الأغذية النشوية ، وتستأنف الرضاعة من

الثدي أو من المرضع . وتكون الفترة بين الطعام الثدي ونوبة رضاعة الطفل كافية لتتمكن معدة الطفل فيها من الهضم .

وقد نوحظ أن الاطفال يميلون كثيراً الى الاطعمة المضروبة بمخرق الكاكاو ، لكن هذه كثيراً ما تسبب لهم امساكاً وتهيجاً ، فضلاً عن انها تجعلهم يكرهون المساحيق الغذائية الاخرى نظراً الى الفرق بين مذاق هذين النوعين من الاطعمة .

ولما يبلغ الطفل الشهر الخامس عشر من عمره يستحسن تنويع طعامه ، فيعطى مثلاً خمس وجبات يومياً : ثلاث منها ٢٠٠ غرام من اللبن ، وبرة واحدة من الأرز الخفيفة الخالية من الدهن (كل يوم نوع واحد) ، وبرة أيضاً بيضة واحدة مع البطاطا المسلوقة المدهوكة purée أو أحد الاطايب كالنشا المحلى بالسكر ، أو (كريمة) مصنوعة بالبيض واللبن والسكر .

وعند ما يبلغ الشهر الثامن عشر من عمره يعطى ٤ وجبات يومياً فقط في أوقات محدودة ، أي الساعة السابعة صباحاً ، والساعة الثانية عشرة ظهراً ، والرابعة عصراً والسابعة مساءً . ففي الصباح مثلاً يأكل الخبز واللبن والبيض ، أو الخبز والزبد والمربى . وفي الظهر يأكل لب الخبز مغموساً بمرق اللحم ، والسمك والارز والجبن الخلو والخضر والفواكه الناضجة والمطبوخة . وفي الأصيل الزبد والخبز والمربى . وفي المساء الحساء والخبز واللبن وما يشبه ذلك من الطعام الساخن .

واذا جاع الطفل بين وجبة ووجبة يعطى كسرة خبز وكأساً من اللبن . ولا بدَّ من تنويع الأكل كما قلنا ، وإلاَّ عافه الطفل كما يعافه البالغ .

فالطعام اذاً كما ترى أهمية كبرى من ناحية مستقبل الطفل خصوصاً وان هذا يكون معرضاً في خلاله لأغلب الاضطرابات المعدية المعوية التي تؤثر في حياته تأثيراً بالغاً ، وليست هذه الاضطرابات إلاَّ نتيجة أخطاء التغذية . وكم من الأغلاط تقع فيها غالباً الأمهات الشابات سواء وقت ارضاع الطفل من الثدي ، أو وقت فطامه أيضاً لجهلهن اتباع التغذية الصحيحة له وتطبيقها وفقاً لحالته الصحية مما تؤدي نتيجته الى اصابة الطفل بالقبض أو الاسهال أو القيء أو فقد الشهوة للطعام الخ . لذلك يجب أن نبحث عن الأخطاء الناتجة عن سوء تدبير الغذاء ونعمل على ازالتها ما أمكن — وهذا لا يتم إلاَّ باصلاح القانون الغذائي وتعيين مواعيد محدودة لطعام الطفل مع استعمال بعض الادوية اذا اقتضت الحاجة لها ، مع العلم أن هذه الادوية ليست إلاَّ كمساعد فقط بصورة مؤقتة لاعادة الشيء سريعاً الى حالته الأولى ، لأن مفعولها لا يزيل الاَّ الاعراض وليس السبب ، وبازالة السبب يزول المسبَّب .

ومن هذا كله ندرك أهمية العناية بتغذية الطفل خلال مدة الفطام واتباع القانون الصحي في تغذيته وهذا أفيد بكثير من استعمال الأدوية لمعالجة ما يتناوله من الاضطرابات الهضمية وغيرها فيما اذا لم يراعَ أي نظام في تغذيته وفي نوع الطعام الموافق نسبةً لسنه .

﴿ عوارض الفطام المبكر ﴾ ويجدر بنا هنا قبل ختام هذا المقال أن نأتي على ذكر بعض العوارض الناتجة عن الفطام المبكر . وهذه العوارض تظهر في اليوم الخامس عشر الى اليوم الخامس والعشرين بعد فصل الطفل الرضيع عن ثدي أمه ، وفي بعض الأحيان يكون ظهورها في اليوم الثاني او الثالث الذي يستعاض فيه عن لبن الأم باللبن الصناعي . ففي هذه الحالة الأخيرة يفقد الطفل من وزنه حوالي ٣٠٠ غرام او اكثر من ذلك ، غير ان هذه الخسارة تكون وقتية ، والطفل لا يلبث أن يسترجع بعدها وزنه الأول . وبالعكس لما تبدو الأعراض متأخرة فالحالة تكون شديدة الخطورة وغالباً ما تؤدي الى الوفاة . وبوجهٍ عام اذا مضى اليوم الخامس والعشرون على الفطام ولم يحدث في خلالها عارض للطفل ، فلا يبقى ثمة من خطر عليه من هذه الناحية ، ويمكنه أن يتحمل بعدها الرضاع الصناعي بالراحة والسهولة .

وأهم العوارض التي تحدث على أثر الفطام المبكر هو ، كما قلنا ، هبوط الوزن . ففي الحالات البسيطة يبقى عادةً وزن الطفل على حاله مدة اسبوع واحد الى اسبوعين . اما في الحالات الخطيرة فيخسر الطفل من وزنه في الأيام الثلاثة الأولى ٨٠٠ غرام تقريباً دون حدوث اي اضطراب معدي او معوي فيه . فالطفل الذي كنت تراه حتى وقت ابتداء الارضاع الصناعي بشوقاً طروباً لعوباً ، ووزنه منتظم ، وينام ويهضم طعامه جيداً بدون تجشؤ او قيئات ، وبرازه طبيعيٌّا لا رائحة فيه — تراه الآن يتبدَّل فجأةً بين عشية وضحاها بدون سبب ظاهر ، فيضعف ويزول ويفقد من وزنه ٥٠ ثم ٨٠ ثم ١٠٠ او ٢٠٠ غرام فأكثر . وقد تبلغ هذه الخسارة من وزنه كيلو غراماً واحداً وأكثر أحياناً ، بتقدُّم الوقت . وفي تلك الأثناء تظهر عوارض أخرى فتكسب الحالة هكلاً خاصًّا . وأهم هذه العوارض الضعف الذي يزداد يوماً بعد آخر بسرعة فائقة . واذا نظرت الى الطفل تجده غائر العينين ومنظره منظر شيخ هرم ، وبطنه منكمش وجلده متحمد ولونه شاحب وأنشيته الخاطية باهتة ولسانه جاف وهيئته حزينة كالحة . وفضلاً عن ذلك تراه يميل دائماً الى النعاس ويفقد شهوة الطعام ، وقد ترتفع الحمى فيه الى ٣٨ و ٣٩ بل ٤٠ درجة مئوية ، وينتهي الأمر أخيراً بموته عاجلاً ، بعد ان يفقد ربع او خمس وزنه . كل هذه الأعراض تحدث والطفل لا يصاب بأي اضطراب معوي او قيئ ، ولا تيء ولا تبدُّل في حالة برازه .

لكن في كثير من الحالات لا ينتهي الأمر بالوفاة ، والطفل بعد ان يهبط وزن جسمه

كما قلنا لا يلبث أن يستعيد وزنه الأول شيئاً فشيئاً وتعود شهوته للطعام الى حالها ، ويغدو أكله سهلاً ويعود نموه تدريجاً الى حالته الطبيعية وتزول بعدئذٍ الاعراض الاخرى .

فما السبب يا ترى الذي يؤدي الى عوارض القطام هذه التي تظهر بدون اضطراب في الهضم ولا إقياء ولا قيئات ولا أي مرض آخر ؟ هذا ما لا يزال أمره مجهولاً . والغالب أن حرمان الطفل من لبن أمه يحرمه بعض أنواع الڤيتامينات اللازمة له ، ويؤيد ذلك زوال خطر الاعراض المتنوّه بها سريعاً حينما يعود الطفل نفسه الى ثدي أمه . ولا بد من التنويه هنا ايضاً وفي هذا الصدد بأن عوارض القطام الآنف ذكرها تزول تدريجاً ، باعطاء الطفل في مدة الـ ٢٥ أو الـ ٣٠ يوماً التي تعقب القطام الباكر : ٥٠ الى ١٢٠ غراماً يومياً من لبن أمه أو لبن امرأة أخرى صحيحة البنية .

الدكتور عبره رزق

طبيب مستشفى البصاء وللاحة بالفاو (العراق)

من أدب الغرب

سياسة انجلترا الخارجية

BRITISH FOREIGN POLICY. By Sir Edward Grigg.
M. P. Hutchinson. 7s. 6d.

كان سير إدوارد جريج سكرتيراً خاصاً لستر لويد جورج في خلال عامي ١٩٢١ و١٩٢٢ فأهله ذلك الى الوقوف على داخلية السياسة الامبراطورية في اثناء ذلك الزمن الذي عدل السياسة الاوربية عما جعلها مقدمة للحرب العالمية الثانية التي بدأت في ١٩٣٩

ونظريته التي يدور من حولها البحث في ذلك الكتاب هي قوله بأن الخطأ الاكبر الذي ارتكبه الحلفاء في عهد السلام الاول (أي عقب الحرب العالمية الاولى) هو إرهاق فرنسا ، وكان هذا الارهاق نتيجة لسوء تقدير المأمور من ناحية بريطانيا والولايات المتحدة من جهة ، ولقصد روسيا عن الميدان السياسي من أخرى .

وأخذاً بهذه النظرية يعنى في بحثه مستهدياً بهذه النظرية نواحية . حاثاً على ان لا تفيض أذهان الساسة في تدعيم نظام السلام الجديد ، وان تكون الاعدة التي تأتم بها بريطانيا خاصة والامم المتحالفة عامة

ولا ريب في أن الشرق العربي بعد هذه الحرب وتكوين جامعة الامم العربية وفوز اكثر شعوبه بنوع من الاستقلال السياسي ، ينبغي ان يوجه اهتماماً اكبر الى السياسة الاوربية ، باعتبارها عاملاً مؤثراً فيه ، ينعم اذا سادها السلام ويألم اذا سطرت أحواله . ولقد يأتي يوم إذا نهجت اتجاهات السياسة الاوربية على نهايتها ، أن تصبح عاملاً فعالاً في توجيه نواحي منه ، هي النواحي ذوات العلاقة المباشرة برفاهية الشرق وخدمة سياسياً واقتصادياً .

الصباح

أطلّ الصباح وثوبُ الدُّجى على الأرض متّقدٌ مسبلُ
ولمّتْ يدُ الصبح ما أحكمتْ يدُ الليل نسجاً وما تغزلُ
وحالتْ بهيم الدُّجى بجمرٍ من لظّى يهملُ
فللنور إثر الرُّبى منهلٌ يسيل ودون السما مشعلُ
تنفست الأرض عند الضحى كأنّ جناحَ الدُّجى الجندلُ
وساور عطفَ الربى هزةٌ من الطّيش واصطفّقَ الجدولُ
وللغصن من مَرَحٍ رقصةٌ وللطّير قرآنُه المُنزَلُ
وللريح في الروض شكوى الحزين إذا عصف الوجد في الأضلعِ

***

تدفق بالنور رحبُ الفضاء تدفّقَ سيلٍ جرى واصطفقْ
إذا عصف الضوءُ في جانب من الأفق خِلتَ حضمًا غَدَقْ
وعجب ما احمرَّ من غربه حريقاً يشبُّ بجنح الغسقْ
أو البرق أومض خلف الدجى على غاربٍ من لظّى وائتلقْ
وإنْ قدحَ الفجرُ أضواءه حسبتَ إزار الظلام احترقْ
فما كنت تعلم من روعةٍ أبحرٌ طغا أم حريقٌ دفقْ
تباقطَ نظمُ جُمانِ الضّياء تساقُطَ غيثٍ بليلٍ ودقْ
فهبَّتْ طيورُ الربى في الضحى تُرجّع أنشودةَ الموجعِ

***

تنبهت الأرضُ من هجعةٍ على ثغرِ ضوءِ الضحى المشرقِ
فجاشت بأعطافها سورةٌ من الوجد والأمل الشيّقِ
وكادت لِمَا جاش في صدرها من الشوق تجهرُ بالمنطقِ

وتلق الأزاهر قد فتحتْ إلى النُّور مُقْلَةَ مُستوثِقِ
ترقب ما سال فوق الثرى من الفجر في لهفة الشفق
تنعكس بالرأس كالطرق وتغمض بالجفن كالمُحْنَقِ
وتملك أعطافها هزةٌ من الزهو والعجب المغرقِ
وموج الضحى زاخرٌ غربُه على يانع الشفق المتمِّقِ

***

جرى ذائبُ الفجر فوق الثرى كما لو بأرضٍ خِضَمٍّ زخرْ
إذا لمع الضوء في جدول حسبت به قبساً من شررْ
فما كنت تدري أماءٌ جرى على الأرض أم لجّةٌ من صقرْ
تلاطَمَ ذوب نضار الضُّحى تلاطُمَ سيل بقفر هدرْ
وإن راحت البُهْمُ تبغي الورود لتطفئ بالماء جمر الوحرْ
ترى البُهْمَ من حيرة أمسكتْ عن الماء مما رأت من صورْ
فلم تك تدري أماءٌ يسيل أم النور يلمع لمع الدررْ
فيكبحها الشك مما رأت وتدفعها ذلةُ المطمعِ

***

أرى الكون من جذل بالضحى تبسم عن أملٍ زاهرِ
وأشرق بالبشر ثغرُ الزمان وهشّتْ به بسمة الظافرِ
وراح الهزار على غصنه يُرَجِّع لحن الهوى الساحرِ
وماست على نغمات الهوى غصونٌ بقادمتي طائرِ
ولكنَّ قلبيَ لا يأتلي من الوجد يزفر كالثائرْ
يحن إلى عهده الغابر ويبكي على ربعه الدائرِ
ويخفق في أضلعي كالذبيح تقمّصهُ مخلبُ الكاسرِ
اذا بارق شعَّ في مقلة تساقط من شجن مدمعي

دمشق — عدنان مردم بك

بحث سجمي : في الفلسفة واللاهوت

الافلاطونية الجديدة Neo-Platonism

١ — مذهب فلسفي وديني ، يتألف من مزيج من الآراء الافلاطونية ومبادئ من التأله الشرقي . وكانت نشأة هذا المذهب في الاسكندرية خلال القرن الثالث الميلادي ، ومن أكبر رؤوسه أفلوطين Plotinus الذي يدعوه العرب « الشيخ الاسكندري » وفرفوريوس الصوري Porphyry ، وإفروقلوس Proclus : ويقول العلامة « ليكي » Lecky إن الافلاطونية الجديدة وضروب الفلسفة المتصلة بها كانت في جوهرها وحدية.[1] قضى بذلك في كتابه تاريخ الخلقيات الأوربية .

Neoplatonism and the Philosophies that were allied to it were fundamentally pantheistic.

٢ — يقول لوس O. H. Lewes : إن ما في هذا المذهب من التجديد ينحصر في أخذ الجدليات الافلاطونية مرشداً (ا) في بحث التأله [2] والوحدية [3] (ب) وفي جعل العقل مبرراً للعقيدة (ح) وأن ممثليه من حيث الجدليات كانوا أفلاطونيين ، ومن حيث فكرة التثليث كانوا تأطيسيين، ومن حيث مبدئهم في الفيض أو الاشراق[4] كانوا وحديين، أي من أصحاب القول بوحدة الوجود.

(٣) تدرجت الافلاطونية الجديدة في أدوار ثلاثة : الاول : عصر أمونيوس سقاس[5] وأفلوطين في القرن الثالث، والثاني : عصر فرفوريوس الصوري وإيامبليخوس[6] في القرن الرابع ، والثالث : عصر إفروقلوس.

وقد انقرضت مدرسة الاسكندرية في عصر يوستنيانوس[7] (٤٨٣ — ٥٦٥) م.

وعن دائرة المعارف البريطانية :

With the exception of Epicureanism, which was always treated as the moral enemy of neoplatonism, there is no outstanding earlier system which did not contribute something to the new phiosophy. Encycl. Brit. (9th Ed.) XVII, 333.

ومن هنا يتضح أن كاتب المادة في المعلمة البريطانية يعتقد أن الابيقورية اعتبرت العدو

(١) Pantheistic (٢) Mysticism (٣) Pantheism (٤) Emanation (٥) Ammonius Saccas
(٦) Iamblichus (٧) Justinian

بحث معجمي : في الفلسفة واللاهوت

الرهبانية : Monasticism

اشتق لفظ الانجليزي Monastry من اللاطينية Monastrium ومن اللفظ اليوناني (Monasterion) ومعناه فيها مكان منقطع أو منفرد . ودلالته للانجليزية تنصرف الى أشياء : (١) النظام الخاص الذي اتبعه جماعات دينية مراعية فيه شرائط الفقر والعزوبة والطاعة العمياء لرئيس (٢) نظام الرهبانية وأساليبها (٣) حالة العيش على أسلوب الرهبان بالانقطاع عن الدنيا (٤) نظام من نظم الحياة قائم على المعيشة في عزلة عن الناس . والرهبانية في معناها الاوسع الاخذ بقواعد النسك Ascetism والتأله Mysticism وليست الرهبانية وليدة النظام المسيحي ، فقد عرفت وموجودة في الهند وأقاليم آسيوية أخرى ، حيث نشأت تطبيقاً عمليا . ولم يعرف الاغارقة هذا النظام ، وانما عرفه اليهود قبل العهد المسيحي . ثم ظهر ثانية في المسيحية عندما امتنع الرجال والنساء من الزواج وأكل اللحوم وشرب الخمور ، ورفعوا أعمارهم على ضروب من العبادات ورهب الصدقات . ثم عاش للنساك Ascetics معتزلين العالم ، وكثروا في مصر في منتصف القرن الثالث ، وانتشرت دعوتهم في غربي أوربا في عهد القديس أثناسيوس ثم القديس بندكتوس ، وهو الذي وطد دعائم هذا النظام في الغرب .

الاول للأفلاطونية الجديدة ، وانه فيما عداها لم تترك الافلاطونية الجديدة من مذهب سبقها لم تأخذ منه نتفاً وأطرافاً .

(٤) قوام هذا المذهب الفلسفي عناصر أفلاطونية مدخولة بمعتقدات شرقية . وتأثر في عصوره المتأخرة بفلسفة فيلون [٨] والأدرية [٩] والنصرانية . وقد أيد الافلاطونية الجديدة بصورتها الاولى كثير من أعلام النصارى مثل كليمان [١٠] الاسكندري وأوريغن [١١] وقد ختم تاريخ هذا المذهب في القرن السادس المسيحي .

(٨) Philo (٩) Gnosticism (١٠) Clement (١١) Origen

واذا أردت التوسع فارجع الى مادة Justinianus : في معجم الاعلام الدينية تأليف Smith والمعجم الانسكلوبيدي Encyclopaedic Dict. ص ١٨ ج ٥ ومعجم سنتشوري Century Dict. ص ١٢١٩ ج ٢ مادة Consul & Consulship وفي غلق مدارس أثينا في عصر يوستنيانوس عد الى تاريخ مؤرخي العالم Historians History of the World ص ٨٥ ج ٧ ، وعن أوريغن عد الى الجزء الاول من تاريخ الكنيسة المصرية تأليف History of the Church of Egypt E. L. Butcher

نهضة أوربا

في القرن الثاني عشر

أساسها اللاهوتي ثم الفكري

تدرجاً وعلى مر العصور ، وضعت أوربا أساس حياة ثقافية خاصة بها . ولقد زودت الزراعة شعوب الغرب بفضلة من الرفاهية ، تحولت نزعة الى اجتناء ثمرات بعيدة عن مجرد الحاجات الموضعية . فنمت المدن ذوات الأسواق واتسعت لتبادل السلع الأهلية وتوزيع البضائع الكمالية المجلوبة من الشرق . ومع وجود أهل المدن وانتشار الرفاهية والمصالح المادية بدأ التطلع العقلي يحقق وجوده ، وأثبت ذاتيته ، بالنظر في العقائد السائدة ، والولع الروحي نحو الحكمة المفتقدة .

لقد بدأ تسارع الحياة الروحية بتأسس دير كلوني Cluny العظيم في القرن العاشر ، فأدى الى الاصلاحات التي بدلت الكنيسة من نظام موضعي ، الى نظام بابوي شامل فيه عشرات من المؤسسات التي آنس الناس في ظلها متسعاً لسد حاجات التطلع العقلي والنفسي ، وكانت في العصور المظلمة نظاماً قام على دير هنا ودير هناك ، استغرقهم ديونون انصرفوا الى المخطوطات القديمة يستعمقون في طياتها ، كلما سمحت لهم ظروف الفراغ من قطع أشجار الغابات أو زراعة الأرض

ضاعف ذلك من عدد أولئك الذين تسلطت عليهم الشهوة العقلية ، كما هيأت البيئة لتفريخ الميول الجديدة في الفكر . فنشأت ثقافة شعبية تبدت في أدب الغناء والقصص حتى غزت القصور الاقطاعية وبيوت الأثرياء من التجار في المدن . أضف الى هذا أن مجازفة التوسع التي نعرفها باسم الحروب الصليبية ، كانت مبدأ احتكاك الكثيرين من أهل الغرب بالحضارات الشرقية الراقية ، لحضارة العرب والبربر ، كما كان غزو قوات الصليبية الرابعة لمدينة القسطنطينية (١٢٠٣ — ١٢٠٤) أول تماس فعلي لرجالها بحضارة إغريقية ، وبالحري بحضارة الروم .

ولكن مهما كان لهذه الحوادث من قيمة وأهمية ، فانه خليق بنا أن نعترف انه ليس من احتكاك أو نظام ، كان السبب في بلوغ الشعوب الغربية حد الرشد ، بل كان السبب في ذلك نماء الجمعية الأوربية في العصور الوسطى ، نماء مطرداً وان كان بطيئاً ، وبخاصة في حياتها الاقتصادية .

منذ بداءة القرن الثاني عشر وفي أثناء القرن الثالث عشر ، استطاع رجال أوربا الغربية

أن يقيموا حضارة فيها نظام وفيها ألفة وتجانس . واذا سقنا القول في بحث العقائد والمعاملات ، فانما نشير بذلك عامة الى الحياة الثقافية في القرون الوسطى . وانه لمما يثير العجب ان ذلك العصر قد شهد أول خطوة خطتها الشعوب التي تحكم الآن كرة الأرض ، نحو تنشئة ما يقال «بجتوز» إنه «حضارة» أو «ثقافة» . ولن نقع على فترة ، حتى ولا على لحظة واحدة منذ نهضة القرن الثاني عشر حتى الآن ، يمكن أن يشار اليها فيقال إن قوى التطور في الغرب قد وقفت فلم تتابع سيرها ، أو أن الماء العتي والاقتصادي قد تبدل فصار حياة سكون أو جمود في حياة تلك الشعوب ، أشبه بذلك الذي شهد في حياة الصين والهند أو الشرق بوجه عام ، أحقاباً برمتها في التاريخ .

لقد عملت الطاقة البشرية ، كما عمل الذكاء الانساني منذ ذلك العصر ، فعدل وبدل ، وازاد وأربى من ورثات تلك الشعوب ، ثم تسارع ذلك فبلغ في هذا العصر أعظم مبالغة . ولا شك في أن هنالك آراء عامة وأخرى رسيمة من الآراء التي امتازت بها العصور الوسطى كما كان هناك وجهات من النظر ، ظلت جامدة نسبيًا ، ومضت ثابتة قروناً عديدة . هذه الآراء والمثاليات ، هي بذاتها وفي الحق ، أساس النصرانية الحديثة ومدنيتها . ولقد ظل كثير منها رسيماً في معتقدات العديد الغالب من الناس حتى الجيل الفارط ، ولقد قبل بعضها ، فاتخذ على انه من الأشياء الجوهرية في عصرنا هذا .

فاذا وقف الرجل الغربي اليوم موقف من ينظر الى العقل الاوربي في العصور الوسطى نظرة انه غريب عنه دخيل عليه ، فان ما وقع خلال الزمان منذ تلك العصور الى اليوم من الانقلابات والتغيرات وما تخللها من تعديلات وفقت بين مختلف نواحي الفكر ، لا يمكن أن تفهم حق الفهم إلا في ضوء الماضي وما فرط من عمر تلك الحضارة . والغالب أن أقوم طريق لتفهم حقيقة الآراء والعقائد ، أن يفقه الباحث انها ارتكاسات — reactions — برزت استجابة لعوامل خاصة .

أما واننا سوف نبدأ البحث بالقرن الثالث عشر ، فواجب علينا أن نصور كيف تبدت الحياة الانسانية لأهل ذلك العصر ، وماذا كان شعورهم تلقاءها . سوف نبين عما ظل ثابتاً مطرداً من مفصلات تلك الحياة وما تقوض منها وباد ، كما اننا سوف نبين عن تلك المستكشفات المتتالية التي بدلت من حياة دنيا العصور الوسطى وخلقت منها دنيانا التي نعيش فيها .

قارن « أنتول فرانس » في كتابه «حديقة أبيقور» مبيناً الفرق بين دنيا العصور الوسطى ، ودنيانا الحديثة ، فقال :

لا ذلك يتعذر شيء من الانقلاب اذا أردنا أن نصور نظر الانسان في العصر القديم ، حيث اعتقد اعتقاداً لا يرقى اليه الشك أن الارض هي مركز النظام الدنيوي ، وان كل الكواكب تدور من حولها .

قد شعر تحت قدميه بأرواح الذين أصابتهم المنية يتقلبون في الدم ألماً ، وربما سمع بعد أن رقى بين رأسه ، وتم بدات آلته ، أدخنة تكثيرت تنبعث من جسم ، مثلثة من خلال صدع من السقف . فإذا رفع رأسه الى أعلا تطلع الى الافلاك الاثنى عشر ، الى فلك الكواكب وفيه نجومه وأنواره ، ثم أفلاك القمر وعطارد والزهرة التي زارها لا دانتي لا في يوم الجمعة الخريفية سنة ١٣٠٠ ، ثم أفلاك الشمس والمريخ والمشتري وزحل ، ثم الآلية الزرقاء التي تلقى فيها النجوم كأنها المصابيح ، ومن خلف هذه ، يرى بعين عقله ، السماء الثامنة أو الفلك الثامن مستقر القديسين ، ثم المحرك الاول أو الفلك الجوري (١) ، ثم في النهاية المطهر (٢) مقام المتعبدين ، وإليه تتطلع نفسه بعد الموت ، إن يتقنها ملكان يفسان لبياض ، كما فعلت نفسه في مطهر الطفل الوليد ، فتغسل بالنعيد ، وتطهر بريت السر المقدس ، (٣) ان ذلك القصر لم يكن لله من أولاد غير الانسان ، أما بنية خلقه فقد نظم بطريقة أقرب الى الطوباوة ، وفي صورة شعرية ، فكأنها كاتدرائية (٤) عظيمة ، فاذا تصورنا الكون على ذلك ، ألفيناه بسيطاً ، حتى لقد تتخيله في سكونه ومختلف صوره وحركاته ، كأنه جملة ساعات مصورة تحركها آلات .

اما الآن فقد فرضنا الافلاك الاثنى عشر ، وكذلك الكواكب التي كان يولد الانسان في ظلها سيداً او شقياً ، مشتري الحياة او زحليها . تلك الكلية الفعلية التي هي السماء ، قد تهشمت وتطايرت شظاياها في اعتبارنا ، وبذلك اختفت العيون والافكار أغوار الكون اللاانهائية ، فلا نجد اليوم ذلك المطهر ، مستقر الصالحين والملائكة ، قائماً من خلف انسيارات ، بين مئات الملايين من النجوم ، تحوطها من الاقطار والبقاع ما لا تراه العين المجردة . وفي وسط تلك العوالم اللانهائية يتم عالمنا ، كأنه ذرة من غاز ، وأرضنا كأنها ذرة من طين .

اقول لم تمت لانها تولد ، انها تولد وتموت الى غير نهاية . والخلق ، بحكم انه قاصر وبعيد عن الكمال ، لا بد من أن يتطوره التغير بغير انقطاع . ان الشموس تخطئ ، فلا نعلم ان اكوان اذ كانت بدات النشوء هذه ، تبقأ بموتها على هذه الصورة ، حياة أخرى في صورة سيارات ، فتكون حياتها الجديدة حياة مفيدة مصلحة بالخير ، كما لا نعلم أن تحول ما اذ كانت السيارات قد تتحلل فتصير شموساً ثانية أخرى . كل ما نعرف ان الكون غير كائن ، لا في السماء ولا في الارض ، وان سنة السعل والجهد ، تحكم العوالم وتقدر مصايرها الى ما لا نهاية .

هنالك شموس انطفأت امام أعيننا ، وأخرى تومض بضعف كأنها لهب شمعة كادت تذهب . أما السيارات ، التي خيل للناس انها ثابتة لا تتغير ، فانها لا تعرف شيئاً من معنى الابدية ، الا أبدية انها مسوقة في مجرى الاشياء . The Garden of Epicurus, by Anatole France.

غير أن أهم ما يدور بأذهاننا عن ذلك الكون المركب في هيئة صندوق ، والذي تخيله عقل الانسان المتخلط في العصور الوسطى ، إنما هو الغاية الأساسية التي من أجلها وجد غاية أن يكون مسرحاً لتمثيل تلك المأساة التي هيأها الله لسلالة آدم . ومهما يكن من أمر معرفة الانسان في العصور الوسطى وضبطها ، فان الشك لم يتسرب الى نفسه إزاء أمر واحد : هو أن الأرض والسماوات وكل الأشياء التي فيهن ، قد خلقت له حتى يحيى حياته ، ويصطنع فيها مصيره الأخير .

أما رواية ذلك الخلق ، والمناظر المثيرة التي وقعت فيه ، والصور التي عبرت بجلاء عما قام في ذهن الانسان انه سوف يقع ، فكانت أشياء معروفة لديه مروية في أسطورة أو قصة ، فلأت أفكاره وأفعمتها ، كما أفعمت صورها الكاتدرائيات العظمى ، نحتاً في الحجر أو تصويراً على الجدران .

(١) Primum Mobile or Crystalline (٢) Empyrean (٣) Sacraments (٤) Cathedral

على أنك إذا أردت أن تعرف كيف فقه الرجل الوسط المكان حقيقة التاريخ، وكيف أمل أن يكون مصير الانسان، فان الفيلسوف « مشيليه » يرويه في قالب صريف، أخذاً من الصورة التي أثبتها الأسقف « بوسويه » في كتابه « علم التاريخ العام » الذي ألفه في أواخر القرن السابع عشر، واليك ما قال:

كان في البدء، على ما تروي القصة اللاهوتية، ملك سماوي يطير على بساط ذي أجنحة من موسيقيين وأتوار[٢]. وجد ذلك الملك من أزل الآزال نفسه كان متمماً خلال كل أزليته وعند ما تأتي الساعة المناسبة، أن تخلق كائنات زمانية قبل أن تكون صورة ناقصة منه بنسب متفاوتة. هذه الكائنات، التي كان الانسان أعظمها شأناً، بدأت سنتها الأولى سنة ٤٠٠٤ ق.م. وانها سوف تعيش زمناً غير محدود. ولكن يحتمل أن الانساق الزماني سوف لا ينفصم حتى تجيء سنة ٤٠٠٤ بعد الميلاد.

إن هذه المأساة قد بدأت، وسوف تختتم، بصورتين فيهما الروعة.

فأول شيء، وطوعاً لكلمة الله، أخذت الشمس والقمر والنجوم والأرض مع ما يتبعها من نبات وحيوان، يركوها المقسوم لها، وطفرت الطبيعة الى الوجود بكل ما فيها من السنن والقوانين، وخلق الله أول انسان من طين، وخلق أول امرأة من أحد أضلاعه. عندما كان في نوم عميق ووضع الاثنين في حديقة حيث كان في مستطاعهما أن يروا الأرض الجنة بعد الجنة، وحيث كانا يتنزهان في رطوبة المساء. وجعلهما يتبوآن منها حيث يشاءان وأن يأكلا من ثمارها التي غرسها فيها، وأمرهما أن لا يقربا شجرة معينة؛ ولكنهما بتغرير شيطان، انتهكا ذلك الأمر، فأخرجا من هذا الفردوس تتبعهما لعنة الله. فاخرجا يعيش بعرق جبينه، والمرأة تحمل وتلد وتتألم. والأولاد الذين يلدونهما يرثون منذ أن استقروا في رحم الأم تلك الطبائع الملعنة التي اكتسبها أبواهم اثماً لهم ولذريتهما ليحطوا [illegible] الشدة والتعوض، حيثما يكونون وأينما يكونون، في أنفسهم، وفيما حولهم من الأشياء.

ولكن الله، حذر أن يندثر ذلك العمل الذي عملت يداه، [illegible] أن يستنقذ بعض بني آدم ويردهم الى الحياة الطبيعية. على أن هذا الاستنقاذ كان [illegible] النهاية مع أحفاد حواء، الذين قدر لهم أن تطأ أقدامهم رأس الأفعى[٤]. ويتم هذا الاستنقاذ كان سوف يقع بحوادث جزئية سبقت في علم الله. فكان لا بد من أن يستنقذ نوح من الطوفان، ولوط من سدوم، واسحق من التضحية، وموسى من مصر، والأسرى اليهود من بابل، وكذلك كل الذين يؤمنون بفساد الكفر والوثنية.

(١) Discourse on Universal History.

(٢) الاتوار: الرسل، واحدها توز: رسول (٣) لعنة لا أزلية ولا أبدية

(٤) التي تحكمت في سورة الشيطان وأغرت حواء وآدم على الاكل من الشجرة المحرمة.

هنالك قبيلة واحدة أخرجت من زمرة الانسانية منذ البداءة تتكرن خفيفة على كلمة الله مشيدة بذكره مدربة بأحكامه : محبية لوصاياه ، مذكرة بوعوده . في حين أن بقية الانسانية ، قد نبذت ، فتسلطت عليها نقائصها الطبيعية ورذائلها النفسية فأخذت تتحدر شيئاً بعد شيء في غور الجرائم والمنكرات .

ان الطوفان الذي أرسله ليغسلهم من هذه الخطايات لم يفد فيهم شيئاً . جدد الطوفان الدنيا وبرزت الأرض بعده على وجه الماء مطهرة ، ولكن هذا التجديد قد خلف من وراءه وبصورة أزلية ، إشارات من الانتقام الالهي . فالى الزمن الذي حدث فيه الطوفان كانت الدنيا والخلوقات في مخشونة تقاوم فواعل الطبيعة ، ولكن الله قد أمر أن يعم هذا الطوفان الأرض ويغطيها ، ويطول مكثه عليها ، فماتت كل العصارات ، فتشبع الهواء بالماء ، فنشأت بذلك زوائل جديدة ، واستحدثت براعث أخرى من الفساد والفوضى ، ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل ان صلابة الخلق الأصلي أصابها ضعف ووهن ، فأخذت الحياة الانسانية تتناقص في مداها ، بعد أن كانت حياة الفرد قد تبلغ ألف عام . وكذلك فقدت الأعشاب والجذور خصائصها الأولى وتأثيراتها القطرية ، فبدل طعام الانسان بطعام أخشن وأصلب ، وأكل لحم الحيوان .

خيم الموت على الحياة ، وهمر الناس بأنهم مأخوذون بالأيدي والأذقان . ولكنهم لم يزدادوا على مرّ الأيام إلا شقاوة وعناداً ، فكان من الطبيعي أن تلم بهم على الأيام شقاوات جديدة . ولقد قدّر عليهم تقييد طعامهم أن ينحدروا الى الفساد والتكس ، ومع اصرارهم في هذا وتمكن الضعف في نفوسهم ، زادوا نهماً وتعطشاً للدماء .

من ثم كان في الوجود روحان ، أو فئتان ، أو كما قال القديس أوغسطين ، مدينتان ، في هذه الدنيا : مدينة الشيطان ، وهي مهما بلغت من الفن أو الحرب أو الفلسفة ، فانها مدينة منتكسة كافرة بعيدة عن التقوى . ان مسراتها ليست أكثر من قناع يحجب حقيقتها ، وجمالها خلاء كاذب . انها ملعونة في عين الرب ، كما هي ملعونة في عين التقي لما فيها من غرور وقساوة وتعاسة منبثة في تضاعيفها ، وجهلها بكل ما ينبغي أن يعرف مما يؤهل بالانسان الى الخلود والحياة الأبدية .

الى جانب هذه المدينة كانت مدينة الله ، التي وعد بها أرواح أولئك الذين قدّر لهم الخلاص . كانت مفقودة في ذلك العهد الذي صورنا به مدينة الشيطان ، أو كانت على الأقل غير مستبانة إلا كسراب . هي مدينة مهما بلغ من امتحاقها وتواضعها لأهل الأرض ، فان الموعودين بها وعلاقتها وأصولها الأولى ، ثابتة في اللانهاية . ممن وعد بهذه المدينة البطارقة والأنبياء ، أولئك الذين ظلوا طوال أعمارهم قانتين صاعين الى تلك الايحاءات التي إن ظهرت

لهم أول الأمر سذوقة بضباب البداية ، فقد انتظروا بصبر وجد انطلاق الأكبر الذي لابدّ ان يأتيهم يوماً ما . من أمس هذه المدينة أولئك المجوس الذين تتبعوا تنقل النجم حتى استقر فوق الحظيرة في بيت لحم ، وسمعان الذي توقع خلاص بني اسرائيل ، ويوحنا المعمدان الذي توقع مثل ذلك وشق طريقه الى الحق قويم مستقيماً ، وبطرس الذي لم يستشف ألوهية المسيح من قوى لحمه ودمه . وإنما قاض الآب بها عليه من السماء . ذلك بأن الخلاص لم يأت إلاّ بعد أن تهيأ له الزمان ، وانه ليس كما يقول اليهود الشهوانيون ، عبارة عن فعل دنيوي انبرت به الأرض شبابها وقوتها ، بل حدث بتجسّد ابن الله في مريم العذراء ، وموته على الصليب ، وهبوطه الى جهنم ، ثم رفعه الى السماء في اليوم الثالث من موته ، على ما تقول الأناجيل . والى هذه المدينة أيضاً ينتسب أولئك الذين يؤمنون برسالة المسيح وحقيقتها وأثرها ، والذين يلتجئون الى فضله ويستمطرون هدايته ، ويتبعون وصاياه بكراهة هذه الدنيا والزهد فيها .

ليس التاريخ في حقيقته وماهيته إلاّ رواية الصراع الهائل الذي قام بين تينك المدينتين ويرمز لها بفضيلتين : إحداهما طبيعية ، والأخرى فوقيطبيعية . أو هما بالايجاز فضيلة الشهادة ، وفضيلة الغيب . أو هما فلسفتان : إحداهما عقلية ، والأخرى وحيية . هما ضربان من الجمال : أحدهما جسداني ، والآخر روحاني . أو جلالتان : إحداهما زمانية ، والأخرى أبدية ، أو نظامان أحدهما الدنيا ، والآخر الكنيسة .

المدينتان مختلفتان كل الاختلاف متنابذتان كل التنابذ ، أجنبيتان في أساسهما ، إحداهما من الأخرى ، برغم ما قد يلوح بينهما من الترابط أو التفاهم بعض الأحيان .

ستظلان متنابذتين متجادلتين أزماناً بعد أزمان ، حتى يأتي يوم الحصاد . وما يوم الحصاد ذاك إلاّ كنه اليوم الذي تتفق فيه الخطة والشيم على اقتسام الأرض ، فتثبت كل منهما في مكان يقسم له ، فيتفاهمان بعد طول الصراع ، على اقتسام الأرض .

أما أولئك الذين اعتقدوا أن أشياء الدين انما هي خيالية ولا حقيقة لها . فسيرون الله يوم الحساب ، وقد أخذتهم الرجفة ، هابطاً من سحاب السماء ، والملائكة ينفخون في الصور ، وقد خرج الناس من قبورهم كأنهم جراد منتشر ، ليلقى كل منهم جزاء ما عمل ، فالناجون يدخلون في ملكوت الله ونعيمه ، تحف بهم حاشية ترتل الأناشيد حتى يصلوا الى عالم كله ضياء ، في حين يكون الذين أصابتهم اللعنة يتصورون ألماً ، صارخين صاخبين ، منكسين في صور وحوش كريهة المنظر شائهة الوجوه . تلفحهم نار لواحة لبشر ، لا تبقي ولا تذر

المدينتان في تناقض وتضاد ، في الحقيقة وفي الجوهر ، ولهذا فلا بدّ من أن تنفصلا في النهاية ، ولا بدّ لكل منهما أن تحمل ثمراتها الطبيعية تامّة عن حقيقتها .

المذهب العقلي : Rationalism

العقلي (ج : العقليون) Rationalist(s)

المذهب العقلي : Rationalism

١ — المعنى العام : (١) الاعتقاد بتفوق العقل في الحكم على المعتقد والمدرك ، على العكس من القول بخضوع العقل لسلطان ما . (٢) التفكير الذاتي أي الحر .

في اللاهوت : (١) أسلوب يرمي الى تفسير قضايا التاريخ المقدس للقول ان به "أثراً" فوقطبيعياً Supernatural بطريقة مطابقة لمنطق . (٢) القول بأن العقل هو المرشد الاوحد في الحكم على المسائل الدينية . (٣) مبدأ استخدام التفكير العقلي في نقد مذاهب الدين . (٤) إخضاع المذاهب الدينية ، وتفسيرات الكتب المقدسة ، لنقد العقل الانساني أو الفهم ، ورفض القول بسلطان المعيدة على أنه مناقض للعقل وحرية الضمير .

٢ — في العصر الحديث : مذهب يؤيد النظريات والمبادىء التي تنكر الوحي ، سواء أكان فوقطبيعياً Supernatural أو مفروضاً بسلطان ما ، ويقضي بأن العقل وحده ، دون احتياج الى الاستعانة بالهام أقادر على ادراك كل الحقائق الدينية التي يمكن ادراكها .

والمذهب العقلي باعتباره نظاماً لاهوتياً : يقضي بأن العقل هو الحكم الوحيد بل الملة النهائية الصحيحة التي ينبغي ان تحتكم في مشكلات الدين ومسائله . وبهذا يكون المذهب مناقضاً لمذهب التأله : Mysticism القائل بأن في الانسان قوة روحانية تستعلي على موهبتي الادراك والعقل

أما باعتباره نظاماً مذهبياً أعتقادياً ، فيتضمن كل المبادىء التي قامت على الفلسفة العقلية . غير انه يرفض السلطة المستمدة من الكتب المقدسة وأصول التدريس ، القول باستمدادها من الفوقطبيعة ، في حين يسلم بفكرة وجود الله وخلود النفس على انهما من الفكرات الترجيحية او التأليفية ، ولكنه يقضي ، الى جانب هذا ، بأن مبادىء الخلق Moral حقائق لا تقبل الجدل . اما من حيث تفسير الكتب المقدسة ، فالمذهب العقلي على ان هذه الكتب نفسها تؤيده وتتضمن مبادئه ، فتنفي عنها عناصر القداسة والفوقطبيعيات

واصطلاح « المذهب العقلي » Rationalism لا يخلو من غموض . ذلك بأن وجوه استعماله ومدلولاته في الجدليات اللاهوتية الحديثة ، قد كثر التحوير فيها حتى امتدت الى نواح غير محددة الاغراض والمعاني

٣ — في الميتطبيعيات او الميتافيزيقا : Metaphysics

(١) الاعتقاد بوجود معرفة بديهية : a priori (٢) القول بأن المعرفة لا تتكون بفضل الاشياء الخارجية على الحواس لا غير ، بل يتألف بعضها من التكيف الطبيعي الذي يتكيفه العقل ، فيدرك الاشياء على وجهها الصحيح

العقلي : العقليون : Rationalist

(١) المعنى العام : من يقدم وحي العقل ، ويرفض الخضوع لسلطان في التفكير والتأمل . (٢) من يعتمد في استدلاء الغيب على المعقول والمأثور . (٣) من له كفاية التفكير الذاتي . (٤) مجهز بكفاية العقل . (٥) من في قدرته أن يستخدم كفاية العقل بأسلوب صحيح . (٦) قارىء (١) في الحكم على حقيقة الاشياء . (٧) عاقل . (٨) رشيد .

(٢) عقليو النصارى : من يعتمدون أن كفاياتهم العقلية فوق تصورهم النصراني .

في اللاهوت : من يطبق قواعد النقد الذاتي على كل ما يقرر بسلطان البديطيعية أو قداسة الوحي ، وعلى التدين أحد رجال المذهب أو الحزب الذي ظهر في ألمانيا في القرن الثامن عشر ، ومبدؤه الاول الاستناد بأن العقل الانساني مستقل بذاته ، وانه من غير استعانة بضرب من الوحي القدسي ، في مستطاعه الوصول الى الحقائق الممكنة ، وان الكتب المقدسة مادة أولية للوصول الى الحق ، من طريق البحث والمقارنة والاثبات والنفي ، وليست وحياً منزلاً .

---

(١) قره كتكرم : براعة وقراءة : حذق ، ابو قره بين الفروهة ج قره كركم : التاموس (٤ : ٢٨٩)

الوساطة والمحسوبية
والاستثناء

الوساطة هي التوسط بين اثنين طالب ومطلوب منه، أو ذي حاجة ومن عنده الحاجة ؛ والمتوسط يسمى وسيطاً وواسطة ، وقد رُزِقَ لفظ الواسطة هذا أكبر حظ من الذيوع والانتشار، فقلما يدور حديث حول قضاء المصالح والوظائف والأعمال في دواوين الحكومة بدون أن يجري لفظ الواسطة على الألسنة يراد به أحياناً الوسيط وأحياناً الوساطة، كأن يقال : لا بدَّ من الواسطة : ابحث لك عن واسطة : لا يقضى أمر إلاَّ بواسطة : الدلالة على الواسطة : ونحو ذلك . والمفهوم من معنى الوساطة أنها تكون بين ثلاثة طالب ومطلوب منه ووسيط بينهما ، والمفهوم من معناها كذلك أن يكون للوسيط دالَّة على من بيده الحاجة أو له عليه سلطان ، وأنه يستطيع بهذه الدالة أو بهذا السلطان أنْ يضطرَّ من بيده الحاجة إلى أن يتخلى عن إرادته وعزمه ويخضع لارادة الوسيط وعزمه فيحقق رغبة الطالب .

والمحسوبية في العرف علاقة بين اثنين أحدهما محسوب ويكون صغيراً قدراً ، والآخر محسوب عليه ويكون كبيراً قدراً ، أما هذه العلاقة فهي قرابة أو مصاهرة أو صداقة أو خدمات يؤديها المحسوب للمحسوب عليه ، وهذه العلاقة تقتضي أن يتخلى المحسوب عليه للمحسوب عن إرادته وعزمه ويخضع لارادة المحسوب وعزمه بدون وسيط بينهم .

فالوساطة والمحسوبية يجتمعان في أنَّ كلاً منهما يضطرُّ من بيده الامر أن يتخلى عن إرادته وعزمه ويخضع لارادة غيره وعزمه ، ويفترقان في أنَّ الوساطة فيها وسيط وأن المحسوبية لا وسيط فيها ، والأصل فيهما مخالفة الحق والعدل .

والاستثناء في العرف هو مخالفة القوانين والقواعد في شؤون الدولة العامة كالتوظيف والترقيات والعلاوات والتنقلات وتوزيع الاعمال ونحو ذلك ، وهو في ذاته حسن وضرورة لابدَّ منها لأن القوانين والقواعد العامة ناقصة إذ لا يمكن أن تشمل كل المستحقين فهو مكمِّل لنقصها . وإنما يذمُّ الاستثناء إذا كان نتيجة للمحسوبية أو الوساطة ومخالفاً للحق والعدل .

ونحن — معاشر المصريين — لا نكاد نعول في جلب المصالح ودفع المضار إلاَّ على الوساطة والمحسوبية. فالولد خير يأبى والده أن يوافقه على ما يريد لاعتماده على مكانة عنده

وهي من المحسوبية ويلح ، فان لم ينجح عمد الى الوسيلة الثانية وهي الوساطة ، فيبحث له عن واسطة من الأسرة أو من غيرها حتى يضطر الوالد الى الموافقة . وكذلك جميع آحاد الأسرة الأقربين والأبعدين . والمرءوس حين يأبى رئيسه أن يوافقه على ما يطلب ولم يكن له عليه محسوبية يسارع الى البحث عن واسطة له دالة على الرئيس أو له عليه سلطان ، فيضطره الى الموافقة. وكذلك كل الناس فالزراع والصناع مع أصحاب المزارع والمصانع والمشتري مع البائع والمستأجر مع المالك والجمهور مع الحكام وغيرهم إذا أراد أحد من أحد شيئاً لا يوافق عليه المطلوب منه، ولم يكن للطالب على المطلوب منه محسوبية لجأ الطالب الى الوساطة فيقضى الأمر

هذا شأننا يدرج عليه أطفالنا ويراهن عليه كبارنا في حياتنا المنزلية والاجتماعية منذ مئات السنين، للآن حتى صار عقيدة راسخة وخلقاً ثابتاً فينا لا يكاد مصري يسلم منه ، فان أبى الانسان أبي النفس أن يستغل المحسوبية أو أن يستعين بواسطة على قضاء ما يريد لا يسلم من أن يرغمه غيره ارغاماً على أن يتوسط له في أمر أو أن ينزل على ارادة وسيط إن كان ممن بيدهم الامور . انها خلة عامة ، فقلما تجد من لا يفكر في محسوبية أو في وساطة .

وحاجات الخلتان المحسوبية والوساطة من مستلزمات القرابة والصداقة والمصاهرة والصليحة. فاذا رزق انسان جاهاً أو سلطاناً كان عليه أن يفكر فيمن حوله من الأقرباء والاصدقاء والأصهار وذوي الخدمات ممن يعلقون عليه الآمال ، والويل كل الويل له اذا تخلى عن واحد منهم فلم يؤثره بخير لا يستحقه الا لانه قريب أو صديق أو صهر أو ذو خدمات ، والويل كل الويل لكل واحد من هؤلاء إذا لم يتوسط لدى من رزق هذا الجاه او السلطان لمن يطمع في وساطته عنده .

وان من مستلزمات هاتين الخلتين الذميمتين المحسوبية والوساطة في الأصل انحياز المطالب الشاقة للحق والعدل . وإذ كان الجمهور المصري يدين بهما فقد أصبح من بيده حق من حقوق الناس لا يرده لاصحابه إلا بواحدة منهما بالمحسوبية أو بالوساطة. فكثيراً ما تبقى الحقوق معطلة حتى تنجزها المحسوبية أو الوساطة ، وبذلك أصبحت المحسوبية والوساطة وسيلتين لقضاء المصالح ما كان منها باطلاً وما كان منها حقاً .

وإنا لندفع عن هاتين الخلتين الذميمتين فحشاً فادحاً لانهما شر معاول الهدم للنظام الاجتماعي وأقساها ، إنها تستل بناءه حجراً فحجراً ، حتى تأتي عليه من القواعد بما تجني على الطالب والمطلوب منه والوسيط وعلى الامة .

فأما المطلوب منه فانه يضطر الى أن يتخلى عن ارادته وعزمه ويخضع لارادة غيره وعزمه فينقض اليوم ما أبرمه أمس ، أو يبرم اليوم ما نقضه أمس ، ويغير ما عقد عليه النية وأضمر عليه

من قول أو عمل، فان كان ما رجع عنه هو الباطل وما رجع اليه هو الحق، فهو مذموم لأنه لم يتحر الحق والعدل في أعماله حتى جاءه المحسوب أو الوسيط فرده الى الصواب، وإن كان ما رجع عنه هو الحق وما رجع اليه هو الباطل فهو أدهى لأنه قوض بيديه وهو عالم عامد أركان الحق والعدل وأقام على أنقاضها صروح الظلم والباطل وآثر ارضاء المحسوب أو الوسيط طمعاً في خير يرجوه أو اتقاء لشر يخشاه على ارضاء ضميره

وقد يتفاقم شر المحسوبية والوساطة فيضطر بعض القابضين على أزمة المصالح العامة الى ان ينظروا الى هذه المصالح بمنظارين أحدهما يرون به الناحية العامة التي يجب أن يقصدوها والآخر الناحية الخاصة وما قد يكون فيها من ارضاء هذا أو اغضاب ذاك، وما قد يكون في هذا أو ذاك من خير يرتجى، أو شر يتقى، فيؤثرون من تلقاء أنفسهم المصالح الخاصة على المصالح العامة ويصبح هذا دأبهم وفي هذا وحده شر الأضرار نصيب المطلوب منه أولاً والأمة ثانياً.

وأما الوسيط فقد يضطر الى الكذب والخديعة والملق والنفاق ويقف مواقف المذلة والهوان، وقد يمتلىء غروراً ويضري على الاستخفاف بالمصالح العامة وإيثار المصالح الخاصة عليها

وأما الطالب فان كلاً من المحسوبية والوساطة تميت في نفسه خير الخلال وهي الاعتزاز بالنفس والثقة بها والاعتماد عليها دون غيرها في جلب المصالح ودفع المضار، ومن راض نفسه على احداهما باء بالخسران المبين، لأنه ينصرف عن خير وسائل التقدم والرفعة في هذه الحياة الدنيا، وهي الجدُّ والاجتهاد وتوخي أمثل الطرق للنجاح.

وفيما يصيب هؤلاء الثلاثة من أذى، أذًى أبلغ للأمة مما يتضافرون عليه من هدم الحق والعدل وهما أساس الملك، ومما يجنون على أنفسهم من آثار المحسوبية والوساطة السيئة وهم أعضاء في جسم الامة، والجسم اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فعليهم وعلى الأمة معهم يقع وزر هاتين الخلتين الذميمتين المحسوبية والوساطة وما ينشأ عنهما من استثناء وغيره، لأنهما من الخلات المتأصلة فيها، والأمراض الوبيلة الفتاكة بها، وهي غافلة عنهما لا تفكر في أسبابهما وفي القضاء على هذه الأسباب. واذا تحمّل من بيده الأمر اذا خالف الحق والعدل مُكرَهاً تحت تأثير الوساطة نصيباً من الوزر، فان الوسيط اذا ألحّ وأصرّ يحمل نصيبين، وصاحب الحاجة إذا كان في غنىً يحمل ثلاثة، والأمة تحمل ستة أنصبة تعدل أنصبة الثلاثة.

أما أسباب تفشي هاتين الخلتين الذميمتين فينا فيمكن اجمالها في ثلاثة:

السبب الأول — الحكم الفردي المطلق الظالم: فالحاكم المطلق الظالم يستأثر بكل خير في

البلاد ولا يختص بما عنده منه الا المقربين ذوي المحسوبية ومن يتخذ من هؤلاء المقربين ومن غيرهم من وسطاء . وهذا من شأنه أن يحمل الناس على الذل والخضوع لمن بيده السلطان لتكون لهم عليه محسوبية ومن لا يُوفق لهذه المحسوبية يلجأ الى الوساطة .

وقد قضت مصر التسعة القرون الطوال تحت هذا الحكم الفردي المطلق الظالم في أكثر عهوده ، وأقرب هذه العهود من عصرنا الحاضر العهد التركي الذي دام خمسة قرون ونحو نصف قرن . ثم عصر الاحتلال البريطاني، فأي بيئة أخصب من هذه البيئة، وأي ظرف أصلح من هذا الظرف، لاتماش هاتين الخلتين المحسوبية والوساطة اللتين يُنال بكل منهما ما عند الحاكم الفردي الظالم من خير ويتقى بكل منهما ما يخشى منه من شر .

وقد عاش أجدادنا العرب كسائر الأمم القديمة بالحكومة الفردية المستبدة الظالمة . وكان آحاد الأمة لا يعوّلون في جلب الخير لأنفسهم وفي دفع الشر عنها الا على الزلفى والمحسوبية عند أمرائهم وعظمائهم ممن بيدهم نفعهم وضرهم من البشر، أو على التوسط بمن هم أعلى منهم حرمة ومنزلة عند هؤلاء الأمراء والعظماء ، فأي ظرف أصلح من هذا الظرف ، وأي بيئة أخصب من هذه البيئة لاتماش هاتين الخلتين الذميمتين المحسوبية والوساطة في أجدادنا العرب

وقد تجاوز أجدادنا الفراعنة مراتب السيادة الانسانية الى مرتبة السيادة الالهية فكان كل فرعون ملكاً وإلهاً معاً بيده ملكوت السموات والأرض وحياة الناس في الأولى والآخرة . لايتحرك مصري حركة ولا يسكن سكنة إلا اذا طلب المعونة من فرعونه، ملكه وإلهه معاً . بالزلفى والمحسوبية إن كان ممن يستحقها أو بوساطة واسطة من هؤلاء المقربين المحسوبين وهم الكهنة فأي ظرف أصلح من هذا الظرف ، وأي بيئة أخصب من هذه البيئة لاتماش هاتين الخلتين الذميمتين المحسوبية والوساطة في أجدادنا الفراعنة .

فنحن — معاشر المصريين — في ماضينا القريب وفي ماضينا البعيد ، من ناحيتي أجدادنا العرب وأجدادنا الفراعنة، عشنا عيشة ملائمة كل الملاءمة لاتماش خلتي المحسوبية والوساطة الذميمتين كل الاتماش .

السبب الثاني — فساد التربية فساداً عاماً شاملاً :

فأما التربية العقلية فقد تُرك العامة وهم سواد الأمة الأعظم في جهالة جهلاء وضلالة عمياء لا يعرفون القراءة والكتابة ولا يعرفون ألزم ما يلزم من الحقائق العلمية التي تكتنفهم آثارها وتقوم عليها أعمالهم، ولا من الحقوق والواجبات الوطنية فانقطعت صلتهم بالحياة انقطاعاً تاماً وانبعثوا في ميادين البدع والخرافات والأوهام والضلالات الواسعة انبعاث الحُمر الضالة يلجؤون في أتفه الأشياء وفي أشد المحن الى من يتوسمون فيه النفع والضر

لا من الأحياء فحسب ، بل من الأموات متخذين عندهم الزلفى والمحسوبية أو الوساطة . ولعلَّ ذلك من آثار وثنية أجدادنا العرب والفراعنة .

وأما التربية الجسدية فلا وزن لها ولا رعاية وإن سواد المصريين الأعظم لهي معيشة ضنك غذاءً ولباساً وفراشاً وغطاءً وما كن ونظاماً ، وهم من ذلك في ضعف جسدي شديد وفي أمراض فتاكة . وحسبنا أن الفحص الطبي للتجنيد أثبت أن تسعين في المائة من المرشحين للتجنيد لا يصلون للجندية لضعف أجسامهم وضعف الجسم من شأنه مع ذلك أن يضعف النفس والعقل ويعوق الضعيف عن الكسب ويضطره الى الاستعانة بغيره بالزلفى والمحسوبية أو بالوساطة لأجل أن يعيش .

وأما التربية الخلقية فليست أحسن حظاً من أختيها بل هي أسوأ منهما لاهمالها وللعوامل التي تهدم بنيانها كالشهوات التي ركّبت فينا فهي تدفعنا الى ما يرضيها ، وقد يكون محظوراً ، ولما يكتنفنا من مغريات ومفسدات ، ولما لاضمحلال الاجسام وانحطاط من تأثير سيء في الاخلاق ، وأبرز ما في أخلاقنا من عيوب الاتكال . إننا أمة لا تعرف معنىً ولا سبيلاً الى التربية الاستقلالية فكلُّنا عامة وخاصة ، إلاّ من عصم الله ، إتكاليون نعتمد في حياتنا على غيرنا لا على أنفسنا ، وهذا الاتكال أكبر باعث على التماس الزلفى والمحسوبية والوساطة ولعله أثر من آثار الوثنية وسوء فهم التوكل في الشريعة الاسلامية .

والسبب الثالث — هو الفقر : والفقر لا يكون إلاّ عن عجز عن الكسب إما لضعف الجسم وإما لضعف العقل . والعجز عن الكسب يدفع الانسان دفعاً الى الاستعانة بغيره والاستعانة تضطره الى الزلفى والمحسوبية والى التماس الوساطة .

من ذلك يتضح أن المحسوبية والوساطة وما ينشأ عنهما من إيثار من لا يستحق على من يستحق واختصاصه بالخير دونه مرضان قديمان متأصلان في الأمة المصرية تأصلاً عميقاً وأن لهما أسباباً ثلاثة قوية كل القوة ، وهي الحكم الفردي الاستبدادي الجائر ، وسوء التربية بضروبها الثلاثة ، والفقر .

أما القضاء على هذه الأسباب فيكون بالوسائل الآتية :

الوسيلة الأولى : نشر التعليم وتعميمه بين الشعب كله بأكبر قسط منه ممكن ، فان التعليم كفيل بأن يوقظ ما في أبناء الشعب من ذكاء ومواهب عقلية كامنة ويقوي مداركهم وينير بصائرهم ويعينهم على ترقية أعمالهم ومستوى معيشتهم وفي نشر التعليم وتعميمه معونٌ على القضاء على الفقر والمرض .

الوسيلة الثانية : نشر الصناعة وتعميمها وإن لنا في ميدان الصناعات لمجالاً واسعاً كل

السعة، فالصناعة خير الوسائل لتربية الأمم لأنها تحيي روح الكدّ والعمل والنظام والتعاون والاعتماد على النفس والصبر واحتمال المتاعب والاحتيال لحل المشكلات والدقة والذوق السليم والتفكير وغير ذلك من جميل الصفات ، وهي فوق ذلك كله ترفع السواد الأعظم من الشعب من هوة الفقر التي أنقته فيها الزراعة .

الوسيلة الثالثة: رفع الأجور والأخذ بنظام التأمين الاجتماعي وكفالة أبناء غير القادرين من الشعب بإطعامهم وكسوتهم وتعليمهم .

الوسيلة الرابعة : إبقاء الحكم الجمعي المقيّد وهو الحكم الدستوري القائم الآن مع اصلاحه بتحريره من سيئاته، فإن أخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا طغت عليه فكادت تجعله حكماً فرديًّا في ثوب جمعيّ ، وحكماً مطلقاً في ثوب مقيّد، وهذا الاصلاح لازم لذاته ولأن القوانين التي يضعها ويقرها المجلسان لا تعتبر جزءاً من الشريعة الإسلامية واجب الطاعة إلا إذا روعي في تكوين المجلسين ثلاثة أمور خطيرة . الأمر الأول: حرية الناخب حرية تامة وهو لا يستطيع أن يملك هذه الحرية إلا بالحكومة العادلة وبتحرره هو من الفقر والضعف الجسدي والنفسي وبتعلمه القراءة والكتابة ونصيباً محموداً من الثقافة يساوي التعليمين الأولي والابتدائي وشيئاً من الثانوي بدون لغة أجنبية . الأمر الثاني: حرية النائب وهو لا يمكن أن يملكها هو الآخر كاملة الا بقدر محدود من الثقافة وبقيام الأحزاب وهي عماد الحياة الدستورية على المبادىء لا على الأشخاص، وباستقرار المجلسين وعدم تعرضهما للحل الا بعضي المدة القانونية وبكف الناخبين وغيرهم إذا تعلموا واغتنوا عن ضغطهم على النواب بالطلبات التي تضطرهم الى استجداء الهيئة التنفيذية التي يراقبونها ويوجهونها . الأمر الثالث: أن يكون في كلٍّ من المجلسين فريق من علماء الاسلام العاملين الذين يعرفون الشريعة الاسلامية حق المعرفة ويعملون بها أصدق العمل ليبصروا المجلسين بما قد يخفى عليهما من أحكامها ليتمشى التشريع فيهما على سننها ويصير المجلسان بهذين الفريقين هم أولي الأمر المقصودين بقوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ويجب على المسلمين طاعتهم فيما يشرعون .

ولعلك تقدر بعد ذلك كله خطورة المحسوبية والوساطة وخطورة أسبابها ووسائل علاجها [1].

عبد الله أمين

(١) وهذا الفصل مقتبس من مجلة المنار التي حبها الله وأستاذي السيد الامام محمد رشيد رضا

الحيتان

Cetacea = Whales and Dolphins. From Gr. Cete = any monster or large fish, particularly a whale

جاء في معجم الحيوان للمقتطف ص ٥٨ : « رتبة الحيتان ، حيوانات بحرية لبونة تشمل البال والمركول وعجل البحر والعنبر والدلفين وغيرها » — ومن معجم شرف ص ٣٠٠ : « السيتا » الحيوانات القيطسية ، رتبة الحيوانات الثديية البحرية ، تشبه الاسماك ، منها العنبر : odontoceti والحيتان ذوات السنام الكنارة Hump-backed whales ، أو الحدباء والدلافين والبال » ٥ . وترى شرف « السيتا » خطأ في التعريب .

***

الحيتان قبيلة (١) من الثديات ذوات الرحم : monodelphia ، وتلحق بالمفترسة : Educabilia وتشمل الحيتان والدلافين والبال وغيرها . والثانية منها اليوم قبيلتان (٢) : الاولى السنانية : Denticete ، والثانية البلينية : mysticete . وأجناس هذه القبيلة وأنواعها كثيرة ، ويحصرها الوالديون عادة في عشر فصائل (٣) .

تمتاز هذه الحيوانات بأن الحوض والاطراف الخلفية متضمرة قليلا أو كثيراً بحسب الاجناس ، وهيأ جسم يشبه جسم السمك ، معد للسبح في الماء ، وينتهي بذنب أفقي الوضع . والاطراف الامامية قصيرة ، أشبه بزعانف السمك ، ومن أصابعها أصبع تزيد فيه السلاميات على عشرة ، والرقبة قصيرة . أما فقارات الرقبة ، فقد يكون عدد منها ملتصقاً بعضه ببعض ، وهذا العدد يزيد وينقص بحسب الاجناس . وهي من الحيوانات الثديية ، تلد وترضع صغارها ، والامهات من أرأم ما يعرف في عالم الحيوان .

ولقد عدد الاستاذ « بورادين » : Borradaile الصفات المميزة لقبيلة الحيتان ، وحصرها في أبواب هي :

(١) الجسم مكون على غرار الاسماك ، وليس له آذان ظاهرة ، أو اطراف مؤخرية او قرو . ولكن لها أدمة ناعمة تهيؤها للسبح بسرعة خلال الماء .

(٢) الاطراف المؤخرية قد استحالت اعضاء دافعة لها وظيفة الزعانف الجنبية في الاسماك .

(٣) يغلب ان يكون لها زعنفة ظهرية .

(٤) الذنب اعلوطان عريضتان زيدتا من قدرتها على السبح ، ولكنهما أفقيتين ، لا رأسيتين كما في الاسماك ، وبذلك تزداد قدرتها على حركتي الصعود والهبوط ، وهما حركتان ضروريتان لها ، لحاجتها الى استنشاق الهواء .

(٥) الجيتومان في اعلا الرأس ، حتى لا تحتاج إلا لرفع جزء من الجسم فوق الماء ، ويمكن سدهما بجهاز خاص

(٦) الحلقوم مستطيل ويلتقي بالمنخرين المؤخرين ، فيكونان مسلكاً ينفذ منه الهواء الى الرئتين ، وبذلك يمكن غلق الفم في اثناء التنفس تحت الماء .

(٧) المجموع الوعائي ضفائر كثيرة : rita mirabilia ، ويرجح ان تكون وظيفتها اختزان كمية كبيرة من الدم ، ينتج عن ذلك اختزان كمية كبيرة من الاكسجين .

(٨) وجود طبقة سميكة من الشحم تحت الجلد ، للاحتفاظ بحرارة الجسم ، ويعوض ذلك عليها ما تفقده من الحرارة بسبب تجرد الجسم من الشعر ، كما تجعل الجسم أكثر قدرة على الطوم .

(٩) العظام خفيفة .

(١٠) البول صغيرة .

(١١) غدد الدمع والمرق والعاب فاقدة ، إذ لا فائدة منها لاحياء تعيش وتتغذى في الماء .

(١) Order (٢) Sub-orders (٣) بصيغة التصغير اللاتينية : Families

تولستوي

ان البلاد الروسية التي خاضت غمار حرب طاحنة كانت ولا تزال وطن الادباء ومنبت الكتبة والشعراء الذين ظهروا كواكب لامعة فأثروا حالك ليل من الجهل خيم على تلك البلاد طويلاً وهم كما قال فيهم كاتب فرنسي كبير « انه اذا وضعت الامبراطورية الروسية في كفة ميزان ووضع ادباؤها وشعراؤها في كفة أخرى رجحت كفتهم لانهم لا يكتبون بل يوحون، ولا يقولون بل يفعلون، فأدبهم هو وحي النفس والقلب المتألمين. فاذا غمسوا القلم فبدم القلب وذوب النفس»

واذا ذكر ادباء الامة الروسية وفلاسفتها كان تولستوي الزعيم المقدم. او على حد التعبير الروسي انه « الرجل الواقف على برج الادب العاجي » وها كم نبذة من حياته.

ان سنة ١٨٢٩ لم تنزل هاوية الابد قبل ان اكتحلت عيناها برؤية تولستوي طفلاً تحبوه آلهة الفن والآداب أثمن عطاياها، وشهر آب من تلك السنة لم تتصرم انفاسه قبل ان اودع ذمة الدنيا مولود الفلسفة نابغة من نوابغ العالم

في ياسانا بابولياه، تلك القرية الصغرى المجهولة في رقعة البلاد الروسية ولد رسول الفن فاعترت بعد خمول وشرفت بعد ضعة وأصبحت كبيرة بين البلاد الروسية بل بين بلدان العالم أجمع

ان القدر، وما أمرّ قضاء القدر، شاء ان يلقي على هذا الطفل الدروس، فحرمه ابوين متحدرين من أشرف انيوتات الروسية، فكفلته عمة له كانت له الام الرءوم، وظل يذكرها طول حياته. دعت له نخبة من الاساتذة فخرجوه في العلوم واللغات. ولما حان الوقت لادخاله الجامعة ارحل الى جامعة قازان. الا ان عهده لم يطل فيها اذ دعي الى الجندية دفاعاً عن وطنه. لان حرب القرم نشبت اذ ذاك. فخاض غمارها وشرى ويع على حد قول عنترة الفوارس. أوحت الينا تلك الحرب مواضيع عديدة عالجها بعقل الفيلسوف وقلم الاديب، فجاءت قصصاً متينة المبنى بليغة المعنى شيقة الاسلوب. أو كما قال فيها احد المعجبين بها انها « وعاء ذهبي للحقيقة وبيت للحكمة»

عرفت بقصص من سفستوبول

طارت شهرة هذه القصص في الآفاق الروسية وأقبل الناس على قراءتها إقبالهم على الماء النمير، وتوقعوا نكاتها تسلم صولجان الكتابة، فتم له ذلك وأصبح الهلال بدراً كاملاً

ولما وضعت تلك الحرب أوزارها عاد الى بطرسبرج او لينين غراد كما يدعونها اليوم، واذا بنوادي الادب ودور الجامعات تتسابق الى دعوته وتحسب اقتناءه اليها شرفاً ما بعده شرف، وفتحت له قصور العظماء وردهات الكبراء، فاغترف من ملاذ الحياة بكلتا اليدين وطابت له

مناهل تلك العاصمة الصاخبة بمظاهر الشرف والبذخ ، وقف على حياة الخاصة والعامة وما يتخلل الاولى من فساد وما عليه الثانية من بؤس وشقاء

فعافت نفسه الحياة الاولى الجوفاء وعز عليه ان يرى الحق عبثاً والباطل سيداً والرذيلة فضيلة والفضيلة معرة وجموداً والنفس منغمسة في وحأة المفاسد ، فهجر تلك العاصمة ووجهته قريته المتواضعة ، فتزوج من امرأة جاءت له ببنين وبنات ، وعكف على الكتابة معالجاً مواضيع عديدة اجتماعية وادبية وتاريخية وفلسفية وأبرزها في ثوب من الروايات قشيب ، فعلا نجمه وأتته الشهرة تجرر أذيالها منقادة اليه

ترى ما الفكرة التي تخللت كل مؤلفاته وما واسطة العقد في رواياته ؟

وما الغاية من استخدامه القلم ؟ الربح الجزيل ؟ وهو الغني الكبير ! انه نفسه يكفينا مؤونة البحث عن هذه الفكرة التي ملكت عليه زمام القلب والعقل ، انها فكرة الحق والجهاد في سبيله ، الحق الذي جرأه فنا بالي بسطوة عظيم ولا عيء بسخط كاهن قديم . كانت فكرة الحق المحور الذي تدور عليه مؤلفاته جميعها كبيرها وصغيرها ، فانفتحت لتلك الصيحة أذان صمّ وأقضت تلك الصخرة مضاجع الكثيرين من ذوي السلطان العالمي والروحي ، وانهم كما انهم صنوه في القديم سقراط الفيلسوف اليوناني ، انه يفسد الشبيبة فكادوا له كثيراً ، وضاقت نفسه بما رحبت بدسائس أولئك الاقوام فرفع الصوت جهرة مهدداً انه سيغادر أرض روسيا الى انكلترا موطن الاحرار وموئل الفكر ، كما قال في ندائه الى بني قومه ، ولو وقف الامر عند هذا الحد لهان ، الا انه رأى ان الحق الذي نذر حياته كلها يقضي عليه ان يشاطر الفلاحين أرضه الواسعة فحاول ذلك فهبت عائلته تعارض فكرته هذه وترى فيها القضاء على مستقبلها اذ يسلبها مورد عيش رغيد ويساويها بالفلاح الوضيع فتكدر صفو حياته ، وصمد لتلك الصدمة وساوى نفسه بالفلاح فارتدى ملابسه وعاش عيشه يشق الارض بمحراثه ويخالطهم مخالطة رفعت شأنه في عيونهم ، ثم نصب نفسه استاذاً لابنائهم ، فأنشأ مدرسة قام هو بنفقاتها واختط للتربية خطة جديدة مبتكرة أخذ بها الكثيرون في تربية نشئهم في الكثير من البلدان الاوربية ، ومن شاء الاطلاع على اساليبه في التدريس فعليه ان يقرأ كتابه « مدرسة ياسانا بوليانا » المترجم الى معظم اللغات الحية . وأصبحت تلك التربية كعبة يؤمها الناس من كل فج عميق بينهم الاساتذة والعلماء والادباء ورجال الفكر . وكثيرون من طلبة الجامعات حذوا حذوه وماثلوا عيشته مهتدين بهديه وفي هذه الآونة أخرج روايته « الحرب والسلام »

ويجدر بي ان اذكر شيئاً عنها وهي غرة مؤلفاته وعنوانها ينبئك عن موضوعها ، انه عالج فيها مشكلة الحرب وما يحول دون السلام معتقداً ان فكرة الفرد المستبد هي مثار كل حرب ، وذلك الفرد هو نابليون الكبير والبطل الثاني القائد الروسي كوتوزوف . فنابليون

الاول تدور أعماله على محور ارادته ولا يقيم للنتائج السيئة وزناً ولو خرب العالم وغرق أبناؤه في بحار من الدم والحديد ما دامت ارادته الدافعة الى ذلك

والثاني شيخ علت به السن مفكر جد مفكر : ويظن التفكير لا يعارض في حسن ولا يسمح بضار ، ويرى ان سوق الجنود الى ساحات القتال لا يسلم أمره الى رجل واحد ، ثم يمضي في وصف القتال أبلغ وصف . وأبطال هذه الرواية عديدون ومختلفون مهنة ونظراً الى الحياة فهي نهر تصب فيه جداول عديدة من نزعات النفس ورغائب القلب ، وانك إذا قرأتها لا تقول ما أعجب هذه الرواية وما أغرب ترتيبها التاريخي ، بل تشعر انك تعلك واحد من أولئك الابطال وأنهم ينطقون عما تشعر به ولهم صلة شديدة بك ، أو كما قيل تقرأ فيها نفسك ، وكل من قرأها اعترف أن مؤلفها رسول الفن ونبي الادب وهو نفسه كان معجباً بها أيما إعجاب وكان كلما قرأ منها شيئاً على زوجه حرك رأسه قائلاً « صوفيا » وحق الله ان الشيخ يكتب حسناً ، انها انجيل ثان لاوروبا . وأني عند كتابتها كنت أبني قطعة من جسدي في الدواة . وله روايات أخرى مثل البعث ، وانا كارينينا ، وكتاب دوائر القراءة وهو كتاب اقتطفه مما استحسنه من آراء وأقوال لكبار الفلاسفة والحكماء والادباء فجاء في جزئين وجعل لكل يوم من أيام السنة فصلاً خاصاً وفي آخر كل أسبوع قصة أو بحث ، منه ما عربه بنفسه ، ومنه ما لخصه لكبار الادباء ، ومنه ما وضعه بنفسه . وإذا علمت أيها القارىء الكريم أن تولستوي قرأ في حياته أربعة عشر ألف كتاب في لغات متعددة وترك على هوامشها تعليقات كثيرة أدركت ما لهذا الكتاب من أهمية ، فهو كما يقول فيه الروس أقنعهم . دائرة معارف للنفس والقلب ، النفس السابحة في فضاء اللانهاية والقلب النابض بحب الانسان ، ففي هذا الكتاب حكمة الانسان في شتى العصور ، ولكن أمة هدفها الاعلى في حياتها فيه ، فهو لم يكتب لأمة من الأمم ولا لجنس من الاجناس بل للانسانية جمعاء . لأن مؤلفه رسول الانسانية فلا غرو إذا رأينا المرحوم شاعر النيل حافظ ابراهيم يرثيه بهذه الابيات مكبراً وفاته ومعظماً حكمته :

ولست أبالي حين أبكيك للورى حواك جنان أم حواك سعير
فاني أحب النابغين لعلهم وأعشق روض الفكر وهو نضير
حياة الورى حرب وأنت تريدها سلاماً وأسباب الكفاح كثير
تحاول رفع الشر والشر واقع وتطلب محض الخير وهو عسير

هذا هو تولستوي ، وما تولستوي ممن يستوفى حقه من البحث في مقال وجيز مثل هذا وما ذكرناه قليل من كثير .

أديب سعادة فهمي

المذنبات

ماذا تعرف عنها

اعتقد القدماء أن للمذنبات نذر سماوية ، هي مقدمات لحرب أو وباء أو موت أو غير ذلك من الكوارث التي تحل ببني الانسان . وفي رواية بوليوس قيصر لشكسبير يقول كلبورنيا لقيصر : « عند ما تموت الدهماء لا ترى المذنبات » .

مر بأرضنا هذه أكثر من ألف مذنب ، ذلك منذ علمنا اليونان والحساب ، منها أربعة عشر جوناً قبل ان يعرف الغراب (التلسكوب) . وقلما تظل المذنبات التي تظهر لاهل الارض مرئية أكثر من بضعة أسابيع ، ولكن المرصد قد تتبعها سنين عديدة . وجميع المذنبات من بنات النظام الشمسي وتتبع في دوراتها افلاكاً من حول الشمس كبقية السيارات . غير ان هذه الافلاك مستطيلة استطالات تبعد أكثر المذنبات بعداً تاماً عن الشمس وبخاصة عندما يكون المذنب في المنحى القابل للمحترق الحابل للشمس .

ما هو المحترق ؟ . اثبات أن السيارات تدور حول الشمس في افلاك اهليلجية الشمس ثابتة في احدى محترقيها . والمحترق في الشكل الاهليلجي ، وهو شكل يشبه ، احدى فطيرتين تتم كل منهما في ناحية من ناحيتي الاهليلج عند أعظم استطالة فيه . فاذا انحدرت المذنبات مبتعدة عن الشمس متخذة سمتها نحو المحترق الآخر مخترقة طريقها بين السيارات ، فان مداراتها تتأثر بجذب تلك السيارات فتتغير بذلك شكل افلاكها بعض الاحيان ، فتصبح هذلولية (١) أو شلجمية (٢) بدلاً من ان تظل أهليلجية . ولذا فهي قد تهيم في الفضاء ولن تعود الى محيط الارض ثانية .

من المذنبات حوالي خمسين مذنباً لها أفلاك تخترق دورتها أقل من قرن ، لتعود الى حيث ترى من محيط الارض . واعظم هذه المذنبات هو مذنب « هالي » الذي يتم دورته حول فلكه في خمسة وسبعين سنة ، وكان آخر ما ظهر لاهل الارض في شهر مايو سنة ١٩١٠ ، ولاح ذنبه قبيل الفجر ممتداً في روعة وجلاء من أفق الارض الى سمت السماء .

والذنب المذنبات تمتد دوماً الى الجهة المخالفة لموقع الشمس . والسبب في ذلك ان الذنب يدفع عن نقطة الرأس بضغط الاشعة المنبثة من الشمس . والمذنبات ، على العكس من السيارات اضواؤها ذاتية ، غير مكتسبة من ضوء الشمس . وهي ليست كالشهب التي تحترق من جراء اصطدامها بجو الارض

ولا تقترب المذنبات من الارض اقتراباً يدخلها في منطقة الارض ، ولكن حدث سنة ١٩١٠ ان اقترب ذنب مذنب « هالي » من تلك المنطقة . ولكن الذنب كان من اللطافة بحيث لم يشعر به سكان الارض ، بل انه لم يحدث أي ضرر ، وكذلك لا يحدث ذنب أي مذنب آخر ضرراً ما ، ولو ان القدماء كانوا يتطيرون به أشد التطير . وقد يتخذ لمعان بعض المذنبات ، فترى في وضح النهار كما حدث في المذنب الذي ظهر سنة ١٨٨٢ ، وهي السنة التي احتل فيها الانجليز قطرنا المصري

والمعتقد ان المذنبات تتألف من مجموعات عظيمة العدد من الجسيمات الصخرية تتجمع بقوة الجذب الذي . فاذا اقتربت هذه المجموعات من الشمس تسخن وتشتت . اما الذرات التي تتصعد تلك الجسيمات فتنفصل عنها ومن ثم يدفعها ضغط اشعة الشمس الى الجهة المعاكسة فتكون منها الذنب . وبذلك يتخذ لمعان الذنب كلما اقترب من الشمس ، فاذا اخذ يبتعد عنها ، متبعاً فلكه غير النظيم ليبدأ رحلة قد تبلغ بلايين الاميال وإلى الابعدة ، يأخذ لمعان نقطة الرأس في التضاؤل شيئاً بعد شيء حتى يصير لا شيء .

---

(١) Hyperbolic (٢) Parabolic

الفقر

صديق الحضارة الاغريقية[1]

كل البدايات غامضة : إما لدقتها وإما لتفاهتها الظاهرية . وهي لا تستعصى على الادراك ، وان أفلتت في الغالب من الملاحظة . لذلك فان مصادر التاريخ ، ينبغي أن تستخلص تتابعاً ، خطوة بعد خطوة . انه يجب أن تفتقد في نبعها الأول ، كتيار في غدير ، ينبع من منحدرات جبل شاهق . هـذه الخطوات أو الدرجات هي ما ندعوه الاستنباط . والاستنباط نوعان : يقتضي أنه إما أن يستمد منه أسباب ، وإما أن يستمد منه مسببات .

ان الاستنباطات التي هي من هذا الطراز لا مفرّ منها ، ولكن يغلب أن تكون خاطئة . فانه بالرغم من ان كل سبب أو علة مستقلة ، تحدث باطراد نفس النتيجة ، فان هذه القضية إذا عكست لا تصح نتائجها دائماً . فان كل مسبب أو معلول لا يكون باطراد نتيجة سبب واحد بعينه . والحالة التي يشير إليها إصطلاح « تعدد الاسباب » لها أثر ذو بال ، وليست هي في عالم الفكر ، بأقل منها فعلاً في عالم الكون الطبيعي . ولكن العملية المضادة لهذا السياق ، تائجها أقرب الى الصحة في الغالب . ذلك بأنها تبدأ بجملة من الاسباب ، أي بمتوالية منظومة من العوامل النفسية الواضحة ، ظاهرة أو سهلة الظهور ، مستبانة أو قريبة الاستبانة ، بحيث تكون قد أثرت في الحوادث المراد معالجتها ، وليس فيها من موضع للشك ، إلا في مقدار التأثير الذي لها في هذه الحوادث .

في مثل موقفنا هذا ، حيث تعالج الحياة العقلية العليا في أمة ، ينبغي أن يحتل المكان الأول من اعتبارنا ، حالاتها الجغرافية ، وصفات مواطنها وخصائصها .

---

(١) نقلا عن كتاب Greek Thinkers . a History of ancient Philosophy

By Theodor Gomperz :

Professor of Emeritus at the University of Vienna, and Member of the Imperial Academy: Hon. LL. D., Dublin and Cambridge; Hon. PH. D., Konigsberg; Corresponding member of the British Academy for the Promotion of Philosophical, Historical and Philological Studies.

إلاّس [1] أرض جبلية يحيط بها البحر كأنه منطقة . ومُحصَّل ثراها راجع إلى ضيق وديانها النهرية . وفي هذا نقع على أول مفتاح نعالج به أول باب يسلم بنا الى بعض الظواهر الرئيسة للتطور الاثيني الصحيح .

فمن الواضح مثلاً ان أية بزرة من بزور الحضارة كان يتفق أن تزرع هنالك ، قد تجد مكاناً دائماً وظرفاً مواتياً . فان تخومها الجبلية هي بمثابة جدران مشيدة تكسر من حدة تيارات الغزو ، تلك التي تجد في السهول مرتعاً خصباً تعرع فيه . وكل إقليم من أقاليمها الجبلية هو بذاته مستقر مثالي له أثره في تنشئة الثقافة ، وفي كل منها قدرة خاصة على توليد طراز برأسه من طرز تلك التفريدية الفذة القوية الممتازة ، التي انقلبت في النهاية عاملاً مكوناً لحضارة الاغارقة المتنوعة الصور ، العديدة الجوانب ، كما كانت عاملاً معوقاً ، منع قواها السياسية عن التركز والاتحاد ، فاقليم أرفديا مثلاً ، وهو إقليم أصابه الترهل والخدر الريفي كان له نقيضه على الشاطىء المقابل حيث يمتد البحر ، ويلتوي ثم يدور .

شواطىء إلاّس أطول من شواطىء اسبانيا ، ومساحة أرضها أقل من البرتغال . أضف إلى ذلك حالات أخرى كسبت بها تلك الهبات الطبيعية المتفرقة . فان تجارات متباينة الانواع والضروب ، وصناعات متفرقة الغايات ، كانت معروفة بمترية منها . فهنالك فلاحون ورعاة ، وقناصون وفلاحون ، تكاثروا ونموا بجوارها ، فأنتج التخالط العائلي بين إلاّس وهؤلاء ، خلال أجيال درجت ، محصلة من المواهب العقلية والكفايات ، كانت ثمرة لفعل التكامل الذي حدث بذلك الاختلاط . أضف إلى ذلك إن حوريّات السماء ، اللواتي أشرفن على ميلاد إغريقية ، لم يكن في مستطاعهن أن يضعن في مهدها من هديّة يحيّينها بها ، أعظم من « الفقر الذي نزل على وجه الدوام ، صديقها الحميم » .

لقد عمل الفقر من ثلاث جهات مختلفات ليقوّي في حضارتها روح الارتقاء . عمل في صورة ضغطاس اضطرها إلى إبراز كل قواها . وعمل في صورة مانع صرف عنها الغزو الخارجيّ ، لأن الأرض المعدمة لا مطمع فيها ، وهي حقيقة لاحظها عن أقليم « أتّيكا » ، فيلسوف المؤرخين القدماء ، وعمل في الثالثة ، وهي الأهم ، في صورة حافز قوي لا يقاوم صرف أهلها نحو التجارة وفن البحار والهجرة وإقامة المستعمرات [2]

(١) إلاس Hellas أو إلس Hellen أو غريقية Greece : وقد دلت كلمة إلاس في الجغرافية القديمة عند اليونان على الامكنة التي قطنها الاثينيون من المدن القديمة حينما كانوا . فكان قورينة في شمال افريقية أو سيراقوز في صقلية أو مرقوم في ايطاليا أو أزمير في آسيا الصغرى ، كانت تنعوي تحت اسم إلاس ، ولكن جغرافي اللاتين قصروا دلالتها على وسط إغريقية وأخرجوا منها البلوبونيز وكل ما يقع شمال خليج مالية . وإلى هذا يشير العلامة بوسمرتر في وصف إلاس

(٢) Cp. Bursian, Geographie von Griechenland, i. 5-8; Kiessen, Italische Landeskunde, ii. 216: "Nowhere else in so restricted an area is so striking a variety of

إن الخلجان التي هي أصلح الموانىء على شبه الجزيرة الاغريقية ، تواجه منافذ الشرق والجزائر والجزيرات المتناثرة في هذا الصقع ، هي بمثابة درجات من السلم ، تسلم إلى مقار الحضارات الآسيوية القديمة . يجوز أن يقال إن أغريقية تنظر إلى الشرق وإلى الجنوب ، وتستند ظهرها إلى الغرب وإلى الشمال ، بما يقوم فيهما من حالات أشبه بأن تكون همجية .

حالة أخرى ، هي من حالات الحظ الاستثنائي الطيب ، يمكن أن تضاف إلى تلك الامتيازات الطبيعية . قامت إغريقية الطفلة في جانب ، والحضارات التي تعجز الذكريات عن تلمس بدايتها في جانب إزاءها . فمن ذا الذي قسم له أن يربط بينهما ؟ لقد وجدت الحلقة الرابطة ، وكأنها اختيرت عمداً لتقوم بتلك المهمة التاريخية . أولئك المخاطرون الأهداء الأيدون الذين اقتحموا البحر ، تجار فينيقية ، الذين هم إن لم يكونوا من شعب ذي شأن من الناحية السياسية ، فانهم من شعب ملىء جرأة وصلابة وطمعاً في الكسب . حدث إذن أن الاغارقة قد استمدوا عناصر الثقافة من بابلونيا ومصر ، من غير أن يدفعوا ضريبة الاستقلال عن بقية الدنيا . والفوائد التي تجنى من مثل هذا الظرف ظاهرة لا تحتاج إلى بيان . فان الأمة الحصوة مثل ذلك تهيأ في العادة بمنهج ارتقائي ثابت الخطا مطرد السوق ، وتطور متصل غير منفصم الحلقات ، ومناعة نسبية عن التضحية بمواردها القومية . وإذا أردت برهاناً على صحة هذه النظرية ، فاعتبر مصير الكيلت Celts : والجرمان الذين استعبدتهم روما في البرهة التي مدنتهم فيها ، أو اعتبر مصير القبائل الهمجية في عصرنا هذا ، وهي التي تتلقى مراحم المدنية من يدي أوربا الكابية القدرة ، وكثيراً ما تنزل بهم النعمات .

ومع هذا فان المؤثر الفاصل في نشوء الحياة العقلية عند الاغارقة ، ينبغي أن ينتقد في نظامهم الاستعماري . فان الاستعمار الأغريقي قد وجد في كل وقت ، وفي ظل كل ضرب من ضروب الحكومة . فالملوكية ، وقد قطعت عهدها في تناحن مستمر ، كثر ما شهدت متوطنين أخلوا مواطنهم لقبائل مهاجرة ، باحثين عن مواطن جديدة وراء البحار . وحكومة الأقلية التي قامت على التحالف الثابت بين نبل المولد وامتلاك الأرض ، مضت على سياسة إبعاد أولئك « السادة الماكين » لأنهم رمز القلق ومبعث الفوضى ، فزودوهم بأملاك في بقاع أجنبية ، حيث تبعثهم إليها وهيكاً تنابذ الأحزاب ، وتطاحن العصبيات والفساد والقتل .

في نفس ذلك الوقت ، تطلب نماء التجارة البحرية عند الاغارقة ، وتكاثر الانتاج

bays, promontories, mountain ranges, valleys, plains, highlands of all kinds to be found... Cp., too, G. Perrot, Révue des Deux Mondes Feb., 1892 : Le sol et le climat de la Grèce," especially p. 544. For the "Poverty... her familiar friend... cp. Herodotus, vii. 102; and for the most philosophical historian....., cp. Thucydides, i.2.

عن « الفقر وانه صديق الحضارة الاغريقية » انظر هيرودوتس ج ٧ : ص ١٠٢ ، « فيلسوف المؤرخين القدماء » ثوثوديدس : انظره ج ١ ص ٢ .

الصناعي ، وزيادة عدد السكان ، ضرورة تأسيس مراكز ثابتة للتجارة وطرق آمنة لاستيراد مواد الغذاء . استخدمت هذه المسالك بذاتها ، وبخاصة في ظل الديمقراطية ، لاغاثة المعدمين ذوي الخصاصة ، وتسريح الزائد من السكان . بذلك ، وفي زمان مبكر من بداية تحضرهم ، نشأ الاغارقة تلك الحلقة العظيمة من المستعمرات التي إمتدت من مواطن القوزاق على نهر الدّن إلى الواحات الصحراوية ، ومن شواطئ البحر الاسود الشرقية ، إلى سواحل إسبانيا .

قد نقول أغريقية العظمى ، إذا قصدنا بذلك الجزء الآسيوي من جنوبي إيطاليا . أما إغريقية العظمى ، فتشملها مجموعة المستعمرات في خارج بلاد « إلاس » . إن عدد هذه المستعمرات وتنوعها ، قد حققا بطريق عملي ، ما يتوقع عادة من نشاط يصيب أيما شئت من بزور حضارية ، فتفرخ وتثمر ، إذا ألقيت في أرض ملائمة . ولقد ساعد على تحقيق ذلك والتوسع فيه ، وبلوغه درجة من الرقي والنماء نادة باهرة ، طبيعة تلك المستعمرات ، والاسلوب الذي اتبع في تأسيسها . فان مواقعها قد اختيرت بعناية ، فقامت في نقط ساحلية منحت التجارة أعظم اليسر ، ووهبتها أضخم المرافق . وكان المهاجرون أنفسهم في الاكثر من عنصر الشباب ، وفيهم نزوع إلى المخاطرة وميل إلى الجرأة ، فورّثوا أخلافهم ، صفاتهم الفردية العليا . أما أولئك الذين هاجروا من بقاع لم تضف الطبيعة على أهلها مثل ذلك من الصفات ، والذين عاشوا في ظل السلطة والسيادة ، وفي حمى الفراغ والخمول ، فلم يدفع بهم من دافع إلى مغادرة مواطنهم ، غير الحاجة والفقر .

زد إلى ذلك إن دولة مدينية (City-state) بعينها ، إن بادرت إلى تأسيس المستعمرات ، فانها كانت تتزود في الغالب ، بطائفة كبيرة من الاجانب ، فيقع بذلك بين القبائل الاصلية المتفرقة تلاقح ، يعززه فيما بعد تلاقح يتلوه ، بدماء غير إغريقية ، بحكم الضرورة التي تفرضها زيادة عدد الرجال زيادة كبيرة على عدد النساء ، بين رواد المهاجرين لدى أول هجرتهم .

بمقتضى ذلك ، كانت كل مستعمرة كأنها بوتقة أدت غرض التجربة والاختبار . فالعناصر الاغريقية وغير الاغريقية ، ظلت تتلاقح بنسب مختلفة ، وكانت نتيجة هذه التجربة ، ما شهدناه مطبقاً في حياتهم العملية من قوة الاحتمال والمقاومة . أما العادات المحلية والاساطير القبلية ، فزالت بفضل ما اتصفت به الجاليات من حس كان أرهف ، وذوق كان أسمى . واتصال هؤلاء بحضارات أجنبية ، مهما كانت خلة من حيث النماء والتطور ، ما كان ليحدث إلا إتساعاً في الافق العقلي ، بعيد المدى ، قصيّ المرامي[1] .

(1) On the extension of the geographical horizon, cp. further H. Berger, Geschichte der wissenschaftlichen Erdkunde, i. 16. Ed. Meyer, Geschichte Egyptens, 367. Settlers from Samos in the Libyan Desert are mentioned by Herodotus, iii, 26.

ذكر هيرودوتس أن مستعمرين من ساموس هبطوا صحراء ليبيا : ج ٣ ص ٢٦

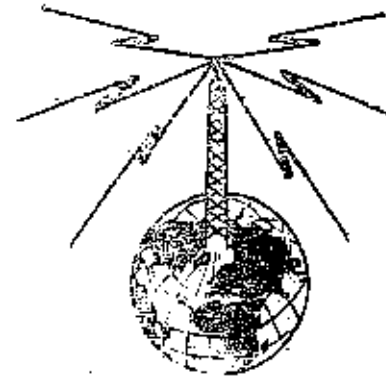

تيار المغنطيس

حملت الينا مجلة انكليزية نبأ علميًّا خطيراً نظن أنه سيبدأ صفحة مشرقة جديدة في تاريخ العلم ، وربما أدت نتائج هذا الكشف الى ممكنات واسعة النطاق يعود تطبيقها على الانسانية والمجتمع بخير عميم ونفع كبير . وما أظن العالم العلمي إلاّ قد قابل هذا النبأ بهزة إعجاب واستغراب . ولذا نود اشراك قراء المقتطف الاغر في التفكير فيه وتقدير بعض احتمالات استغلاله في الصناعة والحياة .

تمّ هذا الكشف على يدي العالم النمسوي إهرنهافت Ehrenhaft ، وهو عالم ذائع الصيت ملحوظ المكانة في المقامات العلمية ، وكان قد هرب فيمن هرب من ظلم النازي القاسي لما احتل وطنه النمسا . ولجأ الى أميركة وسكن نيويورك حيث يقوم بتجاربه الجديدة فأصبح ضيف شرف على حكومة الولايات المتحدة .

يقول هذا العالم مستنداً قوله الى الشواهد والبراهين التجريبية — بأن المغنطيس يسري وقوته تتحرك كما تسري وتتحرك قوة الكهربا . ووجه الغرابة والجدة في هذا الرأي أن النظريات القديمة والحديثة تجمع على أن قوة المغنطيس ساكنة لا تنتقل أو تبدي أي نوع من الحركة الطبيعية ، فيكون الاتجاه مقصوراً على هذه القوة . وهي لا تعلن عن نفسها في الجسم الممغنط نفسه كما يمكن أن تظهر شواهد واضحة على السلك النحاسي الذي تسري فيه الكهربا كالتوهج أو ارتفاع درجة الحرارة أو ارتجاج جسم اللامس . ويتسنى لأقطاب المغنطيس الدائمة أن تحتفظ بقوتها الى أجل طويل دون أن تفتقد منها قدراً ملحوظاً . فتفرق هذه النظريات الكلاسيكية — إن صح التعبير — بين القوة الكهربية والقوة المغنطيسية ، في أن الاولى سيل جارف من الالكترونات المتدافعة السارية في سلك النحاس أو أي جسم موصل عند ما تكون الدائرة مغلقة . أما الدائرة المغنطيسية فلا حركة فيها وحينما نتحدث عن خطوط القوة المغنطيسية التي تنقبض وتمتد ، فانما نتحدث عن شيء وهمي لا ميزة له إلاّ وصف المجال المحيط بالقطب ، ولكن لا وجود ذاتي لها في حقيقة الواقع .

وبينما تكون البطارية جزءاً مهمًّا في الدائرة الكهربية ، تدفع نتيجة التفاعل الكيماوي بين عناصرها الأساسية الشحنات الكهربية عبر الأسلاك ، تكون القوة المغنطيسية كيفما كانت الاتصالات التي تربط قطبيها، مغلقة على نفسها لا يظهر فيها أي انتقال للجزئيات أو أي نوع آخر من الحركة .

أما اهرنهافت فقد برهن على أن في الامكان حفز القوة المغنطيسية على السريان ، بحيث ينتج ما يمكن أن يسمى بالتيار المغنطيسي الذي لم يكن معروفاً من قبل . وكانت إحدى التجارب التي تعوز رأيه بسيطة متقنة ، وقد أجراها على مشهد حافل من علماء أمريكا اللاتينيين. وفي مستطاع طالب المدرسة الثانوية أن يعيدها بنفسه إذا أخذ قطعة من الحديد وألقاها في ماء محمض ـ ممزوج بقطرات من حامض قوي كحامض الكاوردريك أو حامض الكبريتيك .... ـ فانبعثت فقاعات غاز الايدروجين وفق المعادلة .

$$H_2SO_4 + Fe \rightarrow FeSO_4 + H_2 \uparrow$$

وهذا التفاعل يشبه طريقة استحضار الايدروجين في المختبر عند إلقاء قطع الخارصين التجاري المحبب في الحامض المخفف . وتتم التفاعل لأن الحديد أو الخارصين أعلى من الهيدروجين في جدول الاحلال . فيحل كل منهما محله ويتحد مع جذر الحامض على حين ينطلق الايدروجين حرًّا .

أخذ إهرنهافت قطعة الحديد ومغنطها ثم ألقاها في الحامض مرة أخرى، فلم تنبعث فقاعات الايدروجين وحدها ، وإنما رافقتها فقاعات غاز الأكسجين أيضاً . ولاشك أن هذه التجربة تعيد إلى الأذهان طريقة فولتا في تحليل الماء كهربيًّا إلى عنصريه الأساسيين الأكسجين والايدروجين . فكأنما ترى في الماء المحمض تيار يشبه التيار الكهربي ويسمه تحليل الماء أيضاً . وليس هذا التيار الجديد — كما هو واضح — تياراً كهربيًّا . فيكون اهرنهافت قد برهن بذلك على وجود تيار مغنطيسي ، أي أن القوة المغنطيسية تسري وتتحرك وتفعل

كان قضيب المغنطيس لعبة ساذجة يعبث بها التلاميذ ، ولكنها منذ الآن مستودع غني بالطاقة ، وما إن يضع العلم يديه على مفاتيح هذا المستودع حتى يفضي بابه إلى نتائج عملية غير متوقعة، ربما يفيد منها كل فرد ، وتكون المشكلة بعد ذلك مشكلة صنع المغنطيس القوي وخزن طاقته إلى أن تمس الحاجة لاستهلاكها . ولدينا ثلاث طرق بسيطة للمغنطة : أولاها أن يوضع قضيب الحديد في اتجاه شمالي جنوبي ، ثم يطرق قليلاً فيؤثر مجال الارض — وهي مغنطيس جسيم — في القضيب ويولد فيه قوة مغنطيسية : إلاَّ أن هذه القوة ضعيفة لا يمكن الاستفادة منها عمليًّا . والطريقة الثانية دلْك القضيب في اتجاه واحد بقضيب آخر قوي

المغنطيسية. وهذه الطريقة ايضاً لا تجدي لأن مشكلة الحصول على قوة مغنطيسية كبيرة للدّلك تبقى غير محلولة. أما الطريقة الثالثة ففيها الخير كل الخير، وبها يتيسر صنع مغنطيس قوي، وهي تتلخص في أن يحاط قضيب الحديد أو أي سبيكة معدنية من خواصها الاحتفاظ بقوة المغنطيس، يحاط القضيب بملف كثير الدورات يحمل تياراً كهربائيًّا عالياً، فبعد لحظة قصيرة من اقفال الدائرة يتحول الحديد الليت مغنطيسًا قويًّا حيًّا. وقد رأت الحرب الحاضرة تقدماً عظيماً في تصميم المغنطيس الضئيل الحجم الذي يخزن طاقة كبيرة بالنسبة لحجمه ووزنه.

***

لا نستطيع أن نتكهن باحتمالات الفوائد العملية التي قد تنجم عن تسخير التيار المغنطيسي. فقد نستغني عن خطوط التواصل الكهربية التي توزع القدرة المولدة في محطة مركزية، بأن نلجأ الى هذه القدرة الجديدة ونوله من تيارها النور والحرارة وغيرها من الحاجات المنزلية. وربما حمل كل فرد في المستقبل في جيبه قضيباً مغنطاً صغيراً كما يحمل اليوم مصباح الكهربا اليدوي ويستعمله عند الحاجة في أغراض مختلفة، يفارق واحد: هو أن هذا المنبع الجديد للطاقة أقوى وأفعل. وحينما نستهلك الطاقة في القضيب نعود به الى المخزن ونشحنه مرة أخرى كما نفعل بمراكم السيارة أو بطاريات الراديو الصاصية، ولكننا في الحالة الأولى لا ننتظر وقتاً طويلاً للحصول على قوة المغنطيس لأن شحنها لا يستغرق أكثر من بضع ثوان.

***

كان أمير الكهربا «فراداي» العالم الانكليزي المشهور يجري تجاربه ويحاضر جمهوراً من المستمعين. وما إن انتهى حتى بادرته إحدى السيدات قائلة: «ولكن ما فائدة ذلك؟» فأجاب: «أتستطيعين يا سيدتي أن تقولي ما فائدة الطفل ساعة ولادته» كانت تجاربه تقوم حول ماهية التأثير الكهرطيسي. وقد نجم عن كشوفه الدينامو (المحرك والمولد) وكلنا نقدر قيمة سيطرة الانسان على توليد الكهربا ونقلها وتوزيعها ليسعد بها المجتمع وتتحول الصناعة وتتقدم.

لقد انبثق فجر العصر الكهربي بإكتشافات «فراداي» هذه، أفلا يصح لنا أن نظن إذا ثبتت النتائج لبحوث العرنهات — أن فجر العصر المغنطيسي يوشك أن ينبثق وتطلع شمسه مشرقة زاهية. إن المستقبل مفعم بكل جديد ومن يعش يره.

فايل السالم
السلط — شرق الاردن

مدينة الشمس

Prof. Hermann Junker deduced from known data that Heliopolis must be in the neighborhood of Helwan. Science Digest, June, 1945.

يقول علماء الخطط (الخططيون) Archaeologists انهم قد توصلوا الى حل لغز من اعظم ألغاز التاريخ القديم — ذلك بأنهم عينوا موقع مدينة الشمس المقدسة ، عاصمة مصر التي درست منذ أكثر من ٦٠٠٠ سنة مضت .

يقول دكتور ايتو درويوتون مدير دار الآثار المصرية ، ان خططياً مصرياً يعمل على تحقيق النظرية التي روجها استاذ الماني في برلين ، قد سقط على نقش في قبر قديم يؤيد بالدليل القاطع ان مدينة الشمس القديمة كانت بمقربة من حلوان ، على عشرين ميلا جنوبي مدينة القاهرة .

كان من رأي الاستاذ « هرمن يونكر » الذي عمل في مصلحة الآثار المصرية ، وعلى استنتاجات استمدت من معلومات عديدة ، ان مدينة الشمس كانت في مكان ما بمقربة من حلوان . وقد وصل الى مصر من طريق البلاد المحايدة في اثناء الحرب ملخص محاضرة له ايد فيها هذه النظرية . وقد اصبحت هذه النظرية الآن حقيقة واقعة .

إن مساحة عظيمة من القبور التي لم تكن قد حقق امرها من قبل ، قد اتضح انها مدينة الموتى Necropolis وبالطبع مدافن مدينة الشمس ، اما المدينة نفسها ، فلم يعثر على مكانها الاصلي بعد .

الخططي المصري ، صاحب هذا الكشف ، هو الاستاذ زكي سعد ، الذي يعمل برعاية جلالة الملك فاروق وقد بدأ بحوثه بالحفر بين القبور بمقربة من حلوان ، فكشف عن قبر يرجع تاريخه الى عصر الاسرة الحادية عشرة وعليه نقش معناه ان هذا القبر قد اقيم لفرد صاحبه بين « عظماء مدينة الشمس » Heliopolis .

والمعروف انه كان لمدينة الشمس مكان مرموق وأثر ثابت في العصر الفاصل السابق على العصر الفرعوني ، ونكون قليلا ما يعرف عن تلك المدينة التي درست في خلال الحروب التي أدت الى اتحاد مصر العليا ومصر السفلى حوالي سنة ٥٠٠٠ ق . م .

وكان من عادة المصريين القراعنة ان يدفنوا موتاهم في الناحية الغربية — اي في الضفة الغربية من النيل . ويقول دكتور درويوتون ان سكان مدينة الشمس كانوا من عباد الشمس ومذهبهم مخالف لمذهب القراعنة ، وقبورهم لا تقع في الناحية الشرقية فحسب ، بل في شرقي المدينة الاصلية ذاتها .

اما القبر الذي عثر فيه على النقش الذي ورد فيه اسم مدينة الشمس ، فيرجع الى عهد الاسرة الحادية عشرة اي حوالي سنة ٣٠٠٠ ق . م . ولكن هناك قبوراً ترجع الى عهد الاسرة الاولى اي حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل عهد تلك الاسرة . اي حوالي الزمن الذي درست فيه مدينة الشمس .

Condensed from The New York Times, by Sam Pope Brewer.

القواعد الاساسية

في تأليف معجم لغوي تاريخي (١)

تألفت لجنة بمجمع فؤاد الاول للغة العربية سميت لجنة المعجم ، اجتمعت ونظرت في انواع المعاجم التي تحتاج اليها اللغة العربية ، وبخاصة المعجم اللغوي التاريخي الذي يجمع شتات المفردات التي استعملت في اللغة منذ عصور الجاهلية الى الآن ، وبيان المعاني التي تمافت على الالتقاط في الاستعمال اللغوي مرتبة بحسب العصور ، واظهار المعاني الحقيقية من المعاني المجازية ، الى غير ذلك من الاشياء التي تحسن ذلك المعجم سجلا للغة وتاريخ لفاظها ، وتطور معانيها ، والفصل بين القديم والمولد والمعرب والدخول من اللغات الاخرى . وكان الاستاذ الدكتور انيس قد بدأ في كتابة معجمه اللغوي التاريخي الذي انتهى به الى آخر القرن الثالث الهجري ، وقد جزءاً من جزازاته الى مصر ، ولا تزال محفوظة بدار المجمع ، فاتجهت النية الى ان يعتب المجمع على عمل الاستاذ فيبدأ معجمه بالقرن الرابع الهجري الى الآن . ولهذا الغرض كلفت بأن اضع تقريراً عن الطريقة التي تتبع والخطوات التي تتخذ قبيل في تأليف هذا المعجم ، فلم أجد طريقة اجدى من الرجوع الى مقدمة معجم اكسفورد اللغوي التاريخي لاستخلاص منه القواعد التي جرى عليها مؤلفوه والطرق التي اتبعوها ، فاستخلصت من تلك المقدمة تقريراً قدمته لجنة المعجم في اوائل سنة ١٩٣٩ ثم استفلت من المجمع في صيف ذلك العام . وظل العمل في هذا المعجم العظيم ، الذي لا يجمع شتات اللغة فحسب ، واقفاً عند هذا . فاذا نشرت هذه صفحات المتنطف ما استخلصت من مقدمة معجم اكسفورد في هذا الظرف ، فاني انما أمثل ذلك وكلي امل في ان يشمر المجمع عن ساعده ويرسل دعواه الى العالم العربي كله ليؤيده في هذا الجهد الذي سوف يكون ، إذا تم ، سجلا للغة وتاريخ مفرداتها وعاملا يؤيد جامعة العرب . وعندي ان أعظم ما تخدم به جامعة العرب شيئان : معجم لغوي تاريخي ، وموسعة كبرى أي دائرة معارف تجمع الى العلوم والآداب الحديثة ، آداب العرب وتاريخهم . شيئان من اعظم مقومات الجنسية العربية ، مصر ، بتأييد العرب ، أقدر الامم العربية على الاضطلاع بهما .

اسماعيل مظهر

***

بدأ العمل في معجم اكسفورد اللغوي التاريخي الحديث في سنة ١٨٥٩ ، وتم طبعه في ١٩ من ابريل سنة ١٩٢٨ ، فكان العمل فيه قد استغرق قرابة سبعين عاماً . ولم يشرف طبعه على التمام حتى كانت نسخه قد نفدت ، فأعيد طبعه ، وظهرت طبعته الثانية في سنة ١٩٣٣ فزيد اليها ملحق يكمل ما استدرك على الطبعة الاولى . ولقد نال القائمون بهذا العمل الفذ من التشاريف ، ما يجدر أن يصدر عن شعب يعرف قدر لغته ويعرف أن اللغة جزء لا يتجزأ من القومية . فقامت الاكاديميا البريطانية بصك مُدَلاَّة نقشت عليها صورة أول من قام على

(١) مستخلصة من مقدمة معجم اكسفورد الحديث للغة الانجليزية ومقدمة الى لجنة المعجم بمجمع فؤاد الاول للغة العربية

تحرير هذا المعجم من العلماء تخليداً لذكراه ؛ وأضفيت الالقاب العلمية على كثير ممن تولوا العمل فيه ، وكان لهم في تحريره أثر رئيس

***

وكان السبب الذي حدا علماء اللغة من الانجليز الى القول بضرورة تأليف معجم جديد على قواعد جديدة شعورهم بأن معاجم اللغة الانجليزية، منذ بداءة القرن السابع عشر ، كانت تقصر عن ادراك أغراض الأدباء وأهل العلم باللغة والفنون ، وان الزمن كلما تقدم بالأدب الانجليزي ازدادت المعاجم قصوراً عن ادراك اغراضه والقيام على حاجاته بما يحقق الغرض منها ، حتى لقد شبه معجم « كودري » Cawdrey الذي طبع في سنة ١٦٠٤ الى جانب معجم أكسفورد الحديث، بالبزرة اذا قيست بشجرة البلوط العظيمة

ولقد كان السبب الأول في عظم ما نجد من فرق بين تلك البزرة الدنيئة وتلك الشجرة العظيمة ، دخول ثلاثة مبادىء جديدة في تأليف المعجمات الانجليزية : فان مؤلفي المعاجم كانوا قد عكفوا على الطريقة القديمة في جمع المفردات الغريبة التي لا تعرض لعامة الناس ، على اعتبار أن ما بقي من الكلمات هي من البيان والتداول بحيث لا ينبغي ان تدخل في معجم اللغة الانجليزية، ولكن عدل عن هذه الطريقة في القرن السابع عشر وأخذت المعاجم تتسع لكثير من الالفاظ التي كان يرى أن اثباتها غير ضروري . وفي القرن الثامن عشر ألف جامعو المعاجم طريقة إثبات جميع الالفاظ التي يمكن أن تتداول في اللغة . أما الخطوة التالية لهذه فقد خطاها الاديب الكبير « جونسون » Johnson إذ عمد الى إثبات الشواهد التي توضح التعريفات الموضوعة للالفاظ وتؤيدها ، ثم أعاد النظر في معجمه وأضاف اليه ، في ملحق ، كل الالفاظ التي كان قد أهملها ، وألبتها بشواهدها . وأما كل هذا البناء العلامة اللغوي « رتشاردسون » Richardson بخطوة ثالثة هي التوضيح التاريخي للالفاظ ، واتباعاً لهذه الطرق ، وجب أن يكون المعجم الكامل للغة الانجليزية ، كتاباً من أضخم الكتب العالمية

ومن العجيب أن معجم « رتشاردسون » لم ينل ما يستحق من التفات العلماء وربما كان ذلك لنقص مّا في طريقته . ولقد أمضى نحو اربعين سنة منذ أن ظهر الجزء الاول من معجمه في « المعلمة الجامعة » Encyclopedia Metropolitana قبل أن تقبل الجمعية اللغوية النظرية التاريخية في وضع المعجمات قبولاً تامّاً ، وكذلك لم يؤثر طبع معجم « رتشاردسون » مستقلاً عن تلك المعلمة في سنة ١٨٣٦ — ١٨٣٧ أي أثر في المعجميين (أي مؤلفي المعاجم) Lexicographers الذين ظلوا يتبعون نفس القواعد التي اتبعها « جونسون » في انجلترا ، و « ويبستر » في امريكا . ومن العجيب ان تلك الثروة الهائلة من الشواهد التي أتى بها

«رتشاردسون» لم ينتفع بها وظلت غير مستخدمة في أغراض اللغة، في حين انها كانت مستودعاً طبيعياً خصباً يمد كل من فتش في جوانبه بجواهر لغوية حديثة وقديمة ، تضاف الى ما جمعه « جونسون » وأتباعه .

كانت الخطوة التالية بعد تلك الأربعين من السنين التي مضت على ظهور معجم «رتشاردسون» حتى اقتنعت الجمعية اللغوية بضرورة اتباع المبدأ التاريخي في تأليف المعجمات ، أن عهدت الجمعية الى لجنة مؤلفة من ثلاثة من أعضائها بأن يجمعوا الالفاظ الانجليزية غير المسجلة في المعجمات ، وأن يقدموا بذلك تقريراً عند انعقاد الجمعية في شهر نوفمبر من سنة ١٨٥٧ . وكان السبب في ذلك أن الجمعية أرادت أن تثبت في ملحق للمعاجم جميع الالفاظ التي أهملها « جونسون » و « رتشاردسون »

غير أن هذه اللجنة لم تقدم تقريرها اذ ذاك . ولكن أحد أعضائها وهو الاسقف « ترنش » Trench قرأ جزءاً من كلمة ألقاها في « بعض النقائص في المعجمات الانجليزية » في الخامس من نوفمبر سنة ١٨٥٧ وأجل تقديم تقرير اللجنة الى الثالث من شهر ديسمبر التالي. فأعطى هذا التأجيل فرصة طيبة للاسقف « ترنش » لكي يقرأ الجزء الباقي من كلمته على الجمعية في اليوم التاسع عشر من نوفمبر من تلك السنة فأصدرت الجمعية قراراً على أثر سماعها تلك الكلمة (تضمن أنها طلبت من أسقف ومستستر أن يطبع كلمته الشيقة المفيدة وانه وافق على قرار اللجنة) فطبعت تحت العنوان الآتي : —

On some deficiencies in our English Dictionaries, Being the substance of two papers read before the Philological Society, Nov. 5 and Nov. 19, 1857. By Richard Chenevix Trench, D. D. Dean of Westminster.

ويقول كاتب المقدمة في معجم أكسفورد الحديث إنه بالرغم من مضي ثلاثة أرباع قرن (١٩٢٨) على ما كتب الاسقف « ترنش » ، وبالرغم من تقدم البحوث والدراسات الانجليزية في أثناء ذلك ، فان ما ارتأى الاسقف « ترنش » من آراء، لا يزال حافظاً لقيمته العلمية باعتباره أساساً لما يجب أن يكون عليه المعجم الكامل للغة الانجليزية . ثم قال حرفياً :

« ولا يقرأ أحد (ما كتب ترنش) حتى يدرك على أية صورة من الجلاء والبيان استطاع أن يستشف كل التفاصيل التي ألف على مقتضاها معجم الجمعية ، وكانت جميعها في التحقيق نتيجة لمذهب التاريخي الذي جعله الاساس الثابت المعقول لعمل المعجم » .

وقبل ان انتقل الى الكلام في شيء آخر، آمل ان توصي لجنة المعجم بهذا المجمع الوفير بالحصول على هذا البحث الذي اتخذ اساساً لوضع معجم اكسفورد الحديث ، لكي يدرسه تلميذ من النظر ما لا يتيسر لنا بدراسة هذه المقدمة وحدها ، وأقترح الاتصال بالاستاذ « جب » بجامعة اكسفورد وتكليفه الحصول على نسخة منه وارسالها الينا .

***

في الثالث من شهر ديسمبر التأمت الجمعية اللغوية ، وقرىء عليها تقرير اللجنة التي عهد اليها البحث في « نقائص المعاجم الانجليزية » فقررت حفظه واستعانت عن لجنه بأن قررت أنه سوف يعرض على الجمعية عما قريب مشروع كبير لتأليف معجم حديث كامل للغة الانجليزية . ذلك بأن بحث الاسقف « ترنش » كان قد أقنع الجمعية بما تضمن من آراء ومقترحات ، وأبان أنه لا معدى للجمعية عن القيام بتأليف معجم حديث ، إذا هي أرادت أن تكفي حاجة اللغة الانجليزية .

ولم تضع الجمعية وقتاً في تنفيذ الفكرة الجديدة ، ولم تستخف بضخامة العمل التي هي مقدمة عليه ، ولا بعدد السنين التي تلزم لاكماله ، بل بالتي ينبغي أن تتفق قبل البدء به . وفي السابع من شهر يناير سنة ١٨٥٨ أصدرت الجمعية القرارات الآتية .

١ — يستعاض عن الملحق الذي أقرت الجمعية تأليفه تعقيباً على المعاجم الانجليزية المأثورة ، بتأليف معجم حديث للغة الانجليزية باشراف الجمعية اللغوية .

٢ — يعهد بعمل المعجم الى لجنتين : الاولى لجنة أدبية تاريخية : والثانية اشتقاقية ، وفي حالة الشك في حقيقة أية مادة ، يكون حكم اللجنة الادبية التاريخية نهائياً ومقبولاً (وكانت اللجنة الاولى مؤلفة من ثلاثة أعضاء والثانية من عضوين)

٣ — تشكر الجمعية جميع الذين اشتركوا متطوعين للعمل مع «لجنة الالفاظ غير المسجلة» وتطلب مساعدتهم ومساعدة متطوعين آخرين للعمل الجديد . ويتلو ذلك ثلاث قرارات إدارية لا حاجة لنا بذكرها هنا ، لأنها تتعلق بالطبع وتمويل المشروع بأموال الجمعية وغير ذلك .

***

ومما هو ثابت في القرار الثالث ، نجد أن — « لجنة الألفاظ غير المسجلة » ، كانت قد نجحت نجاحاً كبيراً أثناء حياتها القصيرة ، في اذكاء روح الاهتمام بعمل اللجنة وفي تطوع مساعدين يعملون على تنفيذه . وأشار الى ذلك الاسقف « ترنش » في بحثه الذي ألمعنا اليه ، فأثبت في نهايته كلمات تشجيع فقال : «وأني لأذكر أن ستة وسبعين متطوعاً قد انضموا فعلاً الى اللجنة ، مطالبين بتعيين نصيبهم من العمل . وأن واحداً وعشرين ومائة من المؤلفين الانجليز قد وزعت مؤلفاتهم على هؤلاء المتطوعين ، وقد اختص في حالات عديدة متطوع منهم بكامل المؤلفات الصادرة عن مؤلف بعينه . وأزيد على ذلك أن واحداً وثلاثين عملاً كاملاً قد وردت الى اللجنة حتى الآن » — ثم يقول كاتب مقدمة معجم اكسفورد الحديث : «وبهذا وضع نظام القراء المتطوعين الذين لولا مساعدتهم الفعالة ، لما تم استجماع المادة اللازمة

لتأليف معجم الجمعية اللغوية ، التهم إلا بمبالغ طائلة من المال وأحقاب مديدة من الزمن ، لو لم يوفرها المتطوعون لاستحال انجاز العمل » .

ومضى زمن قبل أن أتيح للجمعية نشر تفاصيل عملها العظيم . ففي سنة ١٨٥٩ نشرت مقترحات لنشر معجم انجليزي حديث تقوم به الجمعية اللغوية . وقد يتضح من هذا المنشور مبلغ ما أتفق في تصميم هذا المعجم من الاستغراق في الدرس والتفكير ، واحتم بذكر الأسس التي سيقوم عليها المعجم ، وقد اكتفى كاتب المقدمة بذكر الأول والرابع منها باعتبارهما لب الموضوع وهما :

١ — ان الحاجة التي ينبغي أن تتوفر في أي معجم ، أن يتضمن كل كلمة استعملت في آداب اللغة التي يتناولها .

٢ — في معالجة كل لفظ بذاته ، يجب أن تتبع الطريقة التاريخية بغير استثناء . ويتضمن المنشور عدا ذلك ارشادات للمتطوعين من جامعي الألفاظ بحسب ما اتفق عليه في اللجان الأدبية والتاريخية والاشتقاقية ، ثم تنظيمات آلية وعملية (تتبع في تدوين الألفاظ) ، ويتلو ذلك كله قوائم الكتب (أي المراجع) تدل كل قائمة منها على مقدار ما بذل في وضعها من جهد ومشقة . وقد نظمت كالآتي :

الأولى — قائمة بالمراجع الانجليزية المطبوعة من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٥٢٦

الثانية — قائمة بمراجع العصر الثاني أي من سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٦٧٤ .

الثالثة — قائمة بمراجع العصر الثالث أي من سنة ١٦٧٤ الى سنة ١٨٥٨ .

ولقد روعي في اختيار هذا التقسيم حادثان تاريخيان الأول : طبع العهد الجديد (الأناجيل) بالانجليزية في سنة ١٥٢٦ ، والثاني وفاة الشاعر ملتن «Milton» في سنة ١٦٧٤ . ويرجع هذا الاختيار الى «هنري كولردج» H. Coleridge ، غير أنه وقع أيضاً عن مصادفة ، أن هذين التاريخين هما مبدأ الزيادة العظمى في مفردات اللغة الانجليزية ، فأقرا واتبعا في تبويب المؤلفات بحسبهما .

وبدأ عمل المتطوعين يثمر ويؤتي أكله ، ويزود اللجنة بمادة تعمل على بحثها وتحقيقها . ففي شهر ابريل من سنة ١٨٥٩ نشرت الجمعية تقريراً يتضمن أسئلة عن معالجة بعض المعضلات الاشتقاقية وكثير من العبارات الصعبة في الكتب الانجليزية القديمة ووزعته على أعضاء الجمعية وعلى المراسلين العاملين في المعجم ، وطلبت منهم تأويلها . ولقد قام « كولردج » باستخلاص ما له قيمة علمية من الردود التي تلقتها لجنة المعجم والتي يرى انه من المفيد أن تطبع وتنشر ، وتقدم بهذه الخلاصة الى الجمعية اللغوية في بحث عنوانه :

« محاولات لتبيان أصول بعض الكلمات الصعبة والعبارات الغامضة عند كتاب الانجليز . وفي العاشر من شهر نوفمبر من تلك السنة تقدم « كوارديج » ، وكان قد عيّن محرراً للمعجم ، تقريراً عن « معجم الجمعية » المراد تأليفه فكان من نتائجه أن أصدرت الجمعية في الثامن من ديسمبر ثلاثة قرارات :

الأول — تأليف لجنة تضع قواعد يسترشد بها محرر المعجم .

الثاني — تأليف اللجنة من سبعة علماء لوضع هذه القواعد .

الثالث — الترخيص للجنة بطبع القواعد التي تضعها اللجنة وأن توزع نسخاً منها على أعضاء الجمعية . وأن تعين إحدى الليالي المخصصة لاجتماع الجمعية لمناقش الأعضاء في تلك القواعد .

فأخذت اللجنة ، وبالطبع أخذ « كوارديج » بالنيابة عنها ، تتوالى في تحرير تلك القواعد ثم ناقشت فيها الجمعية متوسعة في بعضها مهذبة البعض الآخر في جلسات عقدت في شهر ديسمبر من سنة ١٨٥٩ ، ويناير من سنة ١٨٦٠ ، ثم أعيد النظر فيها ونوقشت مرة أخرى في شهري ابريل ومايو من سنة ١٨٦٠ ، ثم طبعت نهائياً بعنوان : « قواعد معجمية لغوية : أو الأسس التي ينبغي أن تراعى في تحرير المعجم الانجليزي الحديث الذي تصدره الجمعية اللغوية » — وهذا عنوانه في الانجليزية :

Canones Lexicographici, or rules to be observed in editing the new English Dictionary of the Philological Society.

وقبل ان انتقل الى الكلام في مسائل اخرى اقرر انه ينبغي لنا الحصول على هذه القواعد المعجمية اللغوية — لعلنا نسترشد بأشياء فيها قاعدة على وضع قواعد في تأليف معجمنا ربما غابت عنا وانتفع بها مؤلفو المعجم الانجليزي ، ويمكن الحصول عليها اذا اتصلنا بالاستاذ « جي » بجامعة اكسفورد .

***

وكان العمل كلما تقدمت به السنون ، ازداد القائمون بأمر المعجم بصيرة بحقيقته وعظمته وضخامته . فان محرره الأول « هنري كوارديج » قد بدأ بتحرير جزء من حرف الألف في سنة ١٨٦١ ليكون مثالاً يحتذى في تحرير مواد المعجم . ولكن اتضح أن كل عمل من هذا القبيل ، انما يكون سابقاً لأوانه حتى يتم جمع أكثر مواد المعجم من المظان الأدبية واللغوية . وحتى بعد ذلك ، لا يمكن أن يكون تحرير المواد نهائياً وكاملاً ، وانما يكون تمهيداً لتحريرها بحيث يضاف الى كل مادة ما يعثر عليه في المظان من الاستعمالات في أثناء قراءة الكتب المعتمد عليها والمتخذة أصولاً لجمع مواد المعجم . ومن هذا يتضح لنا أن معجماً لغوياً تاريخياً انما هو عمل موصول أوله بآخره . فقد يحتاج محرر المعجم الى إضافة

استعمال الكلمة في مؤلف ظهر في آخر عصور اللغة ، ولا يكون لهذا الاستعمال مثيل فيما تقدم من الأزمان .

وفي ١٢ من يوليو سنة ١٨٦١ ، جمع « فورنيوال » Furnivall ، المحرر الذي عمل في المعجم بعد « كوردج » ، الذي مات في تلك السنة وله من العمر احدى وثلاثون سنة ، أسماء الكتب التي قرئت حتى ذلك التاريخ ، فرقمت في قائمة عدد صفحاتها أربعة وعشرون ، ومما جاء فيها يتضح أن عدد الكتب التي قرئت من العصر الأول كان ١٤٣ كتاباً ، ومن العصر الثاني ٤٨٦ كتاباً ، ومن العصر الثالث ٨١ كتاباً .

وكان « كوزردج » قبيل وفاته قد بدأ يجمع الألفاظ في قوائم سميت « أصول المقارنة » إذ بها يتضح مقدار العمل اللازم لكل حرف من حروف المعجم على حدة ، وما ينبغي أن يبذل في سبيل تحريره من كدّ ونصب ، حتى إذا أريد بعد ذلك توزيع الحروف المختلفة على عدد من المحررين ، أمكن توزيعها بحيث يتوازى عمل كل منهم على وجه التقريب . وكان يذكر في هذه القوائم التي سميت « أصول المقارنة » عدد الجزازات الخاصة بكل مادة بذاتها مع معرفة الشواهد المفرغة في تلك الجزازات وما هو متفق منها ، وما هو مختلف .

وفي أوائل سنة ١٨٦٢ تقدم « فورنيوال » محرر المعجم باقتراحات الى الجمعية اللغوية قبلت برمتها وهذه هي :

١ — تأليف معجم صغير يكون تمهيداً للمعجم الكبير ، ويتخذ العمل فيه أصلاً جديداً من أصول المقارنة يتناول كل العصور التي سيؤرخها المعجم الأعظم .

٢ — أن يكون المعجم الصغير مختصراً للمعجم الكبير وأن يتناول النواحي النطقية والانتقادية والاشتقاقية وأصول الكلمات والبوادىء والكواسع Prefixes and Suffixes والتعريفات وما في بعض الكلمات من الجناس ، وأن يذكر مع كل مادة شاهد أو شواهد لا يتجاوز الواحد منها بضع كلمات مع ذكر التاريخ والمؤلف المأخوذ عنه الشاهد . وذلك من المادة المستجمعة حتى ذلك التاريخ . فاذا كان ما جمع لم يذكر شواهد بعض المواد استعين على ذلك ببعض المصادر الوثيقة التي تكون في متناول المحرر وأضيف اليها كل الأمثال والمعاني التي يحتاج اليها .

٣ — أن يعهد المحرر حسب اختياره بالشواهد المستجمعة عنده الى بعض المراسلين أو الى بعض المتطوعين ، وأن يختار من يثق بهم ليكونوا معاونين له في تحرير هذا المعجم المختصر .

وكانت الفكرة الأساسية في تأليف هذا المعجم المختصر ، هو التمهيد للمعجم الكبير ومرانة على العمل فيه .

في سنة ١٨٧٩ تولى « جيمس موري » James Murray تحرير المعجم . وكانت الجوازات المستجمعة من المطان المقروءة قد ازدادت وضخمت وأصبح من الضروري تنظيمها بحيث يمكن الاستفادة منها استفادة عاجلة عند الحاجة ، فقضى بنظمها وكوّن لها أماكن خاصة تتسع للجوازات مبوّبة تبويباً أبجديًّا ، وأنشأ لذلك مكتباً Scriptorium جمع الى قاطر الجوازات موائد للتحرير ، وأخرى للمراجعة وعكف على تنظيم هذا العمل العظيم تنظيماً يحقق الانتفاع بالمادة المجموعة ، مع الاقتصاد في الوقت قدر المستطاع .

وحتى عند بلوغ هذه المرحلة شعر القائمون على المعجم بأنهم في حاجة الى قرّاء متطوّعين فطبعت دعوة الى العالم الانجليزي في شهر ابريل سنة ١٨٧٩ يطلب المساعدة لاتمام « المعجم الانجليزي الحديث » ، وسرعان ما تقدم الى الجمعية الف قارىء جدد ، وأخذ جمع المادة اللغوية بعد ذلك يسير بخطوات سريعة محققة النتائج .

***

ولقد اتبع في جمع مادة هذا المعجم طريقة نظمت على أساس عملي قام بتنفيذها المتطوعون ومساعدو التحرير . وكان من البين بديًّا أن أول خطوة في سبيل تأليف معجم جديد للغة الانجليزية هي استجماع شواهد وثيقة من الأدب الانجليزي في خلال عصور اللغة المختلفة . وكان « جونسون » و « ريتشاردسون » قد انتقيا من المادة التي استجمعاها ، ومن الظاهر ان هذا الانتقاء ينبغي أن يكون له حدود عملية يسير بمقتضاها ، بصرف النظر عن سعة المادة التي ينتقى منها ، وفي هذه الحالة كان الاشراف على ما ينتقى من الشواهد أمراً غير يسير . وكان الضمان الوحيد لعلاج هذه الصعوبة هي أن يكون من عناية بعض القرّاء وقوة تمييزهم وسمو ذوقهم الأدبي ، ما يمكن أن يسد نقائص الآخرين

ومن الارشادات التي نشرت في سنة ١٨٥٨ وسنة ١٨٧٩ أمكن الوصول الى اتساق في الأسلوب الذي يتبع في عرض الشواهد . فكل شاهد يكتب في جوازة هي عبارة عن ربع فرخ من الورق (ما عدا القرّاء الذين كانوا يستعملون ورقاً من عندهم ، فهؤلاء كانوا يكتبون على جوازات حيثما اتفق نوعها وسمتها) . ولا تكون الجوازة كاملة إلاّ باستكمال ثلاثة وجوه . (الاول) الكلمة المنتقاة وتكتب في الركن الأيسر العلوي من الجوازة (الثاني) التاريخ والمؤلف والعنوان والصحيفة وغير ذلك من البيانات الخاصة بالكتاب المأخوذ منه (الثالث) الشاهد نفسه ، إما كاملاً وإما مختصراً بطريقة لا تعيبه . فمكانت الجوازة الكاملة مثلها كالآتي :

Britisher

1883, Freeman Impressions U. S. iv. 29. I always told my American friends that I had rather be called Britisher than an Englishman, if by calling me an Englishman they want to imply that they are not Englishmen themselves

ومن أجل أن يسهل على القارىء تحرير الجزازة من غير أن يضطر الى تكرار البيانات المذكورة في الوجه الثاني ، أي التاريخ والمؤلف والعنوان والصحيفة الخ ، طبعت هذه الأشياء على الجزازات ؛ وما على القارىء إلا أن يملأ فراغها مع نقل بعض الشواهد فقط ، ومع ملاحظة تقدير العدد اللازم من الجزازات لكل كتاب على ضوء حاجة العمل في كتب مماثلة . كما انه استعيض عن الطبع بطوابع توضع على كل جزازة وعليها البيانات اللازمة .

والطريقة التي أراها ناجحة في تذليل هذه الصعوبة هي ان نعمد الى الارقام فهي اسهل واسرع ، فيطبع على الجزازة الكلمات الآتية ويملأ بأرقام كالآتي :

الكلمة	الكتاب	الفصل	التاريخ	الصحيفة	السطر	الطبعة (١)
اخذ	٣١٥	٢	س ٣٢٠ ق ٢	٢٢٠	١٢	مصر ـ ١٩٤٠

والارقام المبينة للمراجع تفرغ في قوائم يرجع اليها عند تحرير المادة

وقد طلب في الارشادات التي وزعت على القارئين مراعاة الأسس الآتية : (وكان ذلك فيما نشر سنة ١٨٧٩)

١ — ذكر شاهد لكلمة ترى أنها نادرة الاستعمال أو مهجورة أو قديمة المعنى أو خاصة أو استعملت بمعنى خاص .

٢ — يلتفت التفاتاً خاصاً للعبارات التي تظهر أو تتضمن الدلالة على أن اللفظ جديد ومستعمل ، أو أنه في حاجة الى بيان أنه مهجور أو عهد ، وبذلك يمكن تعيين تاريخ استعماله أو اغفاله .

٣ — ذكر عدد الشواهد بقدر المستطاع للكلمات العادية . وبخاصة عندما تستعمل لدلالة خاصة ، والرجوع الى القرينة لتوضيح معناها أو ذكر ما يساعد على ذلك من الشروح

ومن الظاهر أن هذه القواعد تختلف درجات السهولة في تطبيقها باختلاف الكتب ، وأن مهمة بعض القراء قد يتفق أن تكون أكثر صعوبة وأوسع مدى من مهمة البعض

(١) س = سنة ، ق = قرن

الآخر ، حتى إذا تناول كل منهم كتباً تتساوى من حيث الضخامة ، وكذلك كمية العمل والانتاج ، فانها تختلف اختلافاً كبيراً . وفي كلا العهدين الاثنين مرّ بهما تأليف المعجم ، كان من بين القراء من هم المثلُ الأعلى في الانتاج ، وقد تركوا في كل صفحة من صفحات المعجم أثراً يمكن أن يلمسه كل من له خبرة خاصة بذلك . فهؤلاء من ناحية ، مع جيش عظيم من القراء الذين هم أقل منهم انتاجاً واتقاناً في العمل من ناحية أخرى ، استطاعوا أن يضخموا كمية الجوازات حتى ضاقت بها الاماكن التي خصصت لها في المكتب العظيم الذي أسسه الأستاذ « موري » . ومما يدلك على مقدار السرعة التي ازداد بها عدد الجوازات في العصر الذي بلغ فيه انتاجها أعظم مبالغة ، عبارات نشرت ضمن تقرير تناول سير العمل جاء فيه :

في شهر مايو من سنة ١٨٧٩ ، تقدم الى الجمعية ، تلبية للنداء الذي نشرته في أواخر ابريل من السنة نفسها ١٦٥ قارئاً ، منهم ١٢٨ اختاروا الكتب التي يقرءونها بأنفسهم ، فزوّدوا بالجوازات ، وهم عاكفون الآن على العمل أما عدد الكتب التي وزعت فبلغ ٢٣٤ كتاباً.

وبعد مضي سنة على نشر هذا التقرير (١٨٨٠) ، بلغ عدد القراء ٧٥٤ عكفوا على قراءة ١٥٦٨ كتاب ، انتهى العمل في ٩٢٤ منها ، كما بلغ عدد الجوازات المطبوعة التي وزعت عليهم ٦٢٥٫٠٣٥ ، انتفع منها بما لا يقل عن ٣٦١٫٦٧٠ شاهد لغوي تاريخي . ومن هؤلاء القراء امتاز عدد بضخامة الانتاج فتراوح ما أرسل منهم بين ٤٥٠٠ و١١٫٠٠٠ جوازة . وبمضي سنة أخرى ، أي في سنة ١٨٨١ بلغ عدد القراء ٨٠٠ منهم ٥١٠ لا يزالون يعملون في جمع الشواهد ، وبلغ عدد الجوازات في تلك السنة ٨١٧٫٦٢٥ والشواهد المنتفع بها ٦٥٦٫٩٠٠ . وبلغ عدد المؤلفين الذين جمعت مؤلفاتهم ليرجع اليها ٢٧٠٠ ، وبلغ عدد عناوين الكتب ٤٥٠٠ .

أما تفاصيل هذا النشاط العظيم فقد أشير اليها في مقدمة الجزء الأول من المعجم ، كما أن قائمة كاملة تضمنت أسماء القراء ، والكتب التي قرءوها في المدة الواقعة بين سنة ١٨٧٩ و١٨٨٤ مع ذكر عدد الشواهد التي استخلصها كل منهم ، قد ألحقت بخطاب الرئاسة الذي سمعته الجمعية اللغوية في سنة ١٨٨٤ . فاذا نظرت في هذه القائمة اتضح أن الاهتمام بشأن هذا المعجم في الولايات المتحدة قد ازداد بمر الزمن واحتفظ بطابعه . حتى لقد أشار مستر « موري » في خطاب الرياسة سنة ١٨٨٠ الى ما كان من غيرة أهل الولايات المتحدة على العمل والنتائج التي أخرجوها فقال :

« أما من حيث قراءة المراجع ، فاني لا استطيع أن أقوم بواجب التقدير نحو أبدى أصدقائنا في الولايات المتحدة من غيرة وعطف ، فان غيرتهم الصادرة عن حب صحيح للغتنا المشتركة وتاريخها ، والرغبة الكبيرة في اخراج معجم جدير بهذه اللغة ، جُمّاع ذلك قد ترك في نفسي أثراً عميقاً لا يزول . واني لا أوردد في القول بأني قد آنست في الأمريكيين حبًّا مثاليًّا للغة الانجليزية باعتبارها ميراثاً عظيماً ورثناه عن أوائلنا ، وفخاراً بأن لهم صلة بذكرياتها المجيدة ، أشبه بذلك الفخار الذي يتيه به بحاثة فذ من اتصاله بآداب الاغريق الأقدمين . آنست ذلك فيهم بقدر ما آنست من ندرة تلك المشاعر بين الانجليز نحو لغتهم . ومن هنا استنتج معتمداً على قرائن عديدة ، أن الأمريكيين سيكون لهم القيادة العليا في البحوث الانجليزية بعد مضي زمن ليس ببعيد » .

ولا يقل عمل الذين تطوعوا في مساعدة التحرير شأناً عن عمل القراء . ولو لم يقم هؤلاء بعمل سوى تصليف ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ جزازة من جزازات المعجم ، لكان في هذا العمل وحده من اقتصاد في الوقت والمال ، ما لا تقدر له قيمة حقيقية . ولكن الواقع يشهد بأنهم اشتركوا اشتراكاً فعليًّا في تنسيق تحرير المعجم تنسيقاً ظهرت آثاره السريعة في انجاز الجزء الأعظم من صفحاته .

***

واستمر العمل في المعجم بنشاط كبير حتى أن « هنري كولردج » قد تصوّر أنه من الممكن أن يخرج الجزء الأول من المعجم بعد سنتين من بدء العمل فيه أي حوالي أوائل سنة ١٨٦٢ ، وقال إنه لو لا توانى بعض القراء لاستطاع أن يعين لاخراج الجزء الأول ميعاداً أقرب من هذا . ولكن الواقع أن بدء تكوين المواد الأولى من حرف الألف لم يبدأ إلا في سنة ١٨٨٢ ، وأخذ العمل في المعجم يتم على النمط الآتي :

AB	1882	88
C	1888	93
D	1893	97
E	1888	93
F	1893	97
G	1897	1900
H	1897	99

والسبب في تداخل السنين في تحرير هذه الحروف أنه كان قد عهد الى لجان مختلفة بتحرير مواد حروف بعينها.

ومن أهم ما يلاحظ في تأليف المعجم قول كاتب المقدمة أن العمل الذي قام به المساعدون الرسميون كان له الأثر الرئيس في جميع الأدوار التي قطعها القائمون بأمر المعجم بعد تنظيم العمل بالاعتماد عليهم فكان من نتيجة ذلك توالي الخطوات على النسبة الآتية

O	— 1902		L	— 1901 — 03	IJK	— 1899 — 1901	
R—Re	— 1903 —	07	M	— 1904 — 08	O	— 1902 — 1904	
N	— 1906 —	07	S—SH	— 1908 — 14	P	— 1904 — 09	
Re—Ry	— 1907 —	10	St	— 1914 — 19	T	— 1909 — 15	
Si—Sq	— 1910 —	20	W—We	— 1920 — 23	Wh-Wo	— 1922 — 27	
V	— 1916 —	20	Su—Sz	— 1914 — 19			
U	— 1921 —	26	XYZ	— 1920 — 21			
Wo-Wy	— 1927						

وظهر المعجم مطبوعاً أول مرة في سنة ١٩٢٨ .

***

ايضاحات عامة

من الايضاحات العامة التي ذكرت في مقدمة معجم اكسفورد الحديث ما يمكن الانتفاع به ، لانه يتناول جهات عامة يستطاع تطبيقها على كل اللغات ومنها ما لا يمكن الانتفاع به لانه يتعلق بخصائص اللغة الانجليزية التي لا يشاركها فيها لغة أخرى . فهذا ملخص هذا ما نتوقع ان ننتفع به من الآراء التي اتخذت دعامة لتأليف هذا المعجم اللغوي التاريخي الذي يعتبر الآن الديوان الكامل للغة الانجليزية

ان مفردات لغة حية عظيمة الانتشار سامية الآداب فائقة الثقافة، لا يمكن أن تصبح كمية ثابتة تحوطها حدود معينة . فان تلك المجموعة الهائلة من الالفاظ والعبارات التي منها يتكوّن مفردات اللغة التي يتكلمها الانجليز ، انما تمثل لعقل أولئك الذين يريدون التعرف فيها باعتبارها كلاً محدود النواحي معين الاطراف، منظر واحدة من تلك الكتل المدينية المعروفة عند الفلكيين، والتي يكون فيها نواة نيّرة تستبان بدقة، مرسلة ضوءها إلى جميع ما يحوطها فيخترق مناطق يقل فيها الضوء، الى أخرى تلوح كأنها بِرقٌ كَسِيد لا تكتنه له منتهى ولا غاية ، ثم تمتد كتلته متدرجة شيئاً بعد شيء حتى تغيب في الظلمات المحافة به ، من غير أن يدرك كيف غابت وكيف ابتلعتها تلك الظلمات . فالغة في تكوينها وحقيقتها يمكن أن

توازن بواحدة من تلك الغرائز الطبيعية التي يصنفها الحيوانيون والنباتيون والتي تتخذ فيها أنواع مناسبة لتكون بمثابة النواة الجوهرية لقبيلة من قبائل الحيوان أو النبات ، في حين تتصل هذه الانواع بأنواع أخرى ، تكون فيها تلك الصفات المثالية أقل ظهوراً ثم أقل ظهوراً ، حتى تختفي في النهاية عند حافة تلتقي عندها بصور انحرفت صفاتها عن الصفات المثالية ، ونزعت الى الاندماج لاشعورياً في قبائل مختلفة تحف بها في النظام الطبيعي ، أي الى حيث يكون تحديد تركزها الحقيقي غامض ومشكوك فيه . ومن أجل أن يسهل الباحث الطبيعي مهمته في التصنيف ، يبدأ بوضع خط يحدد عنده تخوم شعب أو قبيلة من الاحياء ، بحيث يكون هذا الخط في خارج نطاق صورة معينة (حيواناً أو نباتاً) أو في داخل نطاقها ، ذلك في حين أن الطبيعة لم ترسم مثل هذا الخط في ناحية من نواحيها ولم تقم ندأ له في تضاعيفها كذلك مفردات اللغة الانجليزية ، فان لها نواة أو بالأحرى كتلة مركزية مكونة من آلاف من الالفاظ لم يطعن في انجليزيتها ، ومن هذه الالفاظ جزء أدبي صرف ، وجزء آخر علمي صرف ، فأغلبية هذه الالفاظ أدبية علمية ، وهذه هي التي تسمى ألفاظ اللغة الاصلية ، غير أن هذه الالفاظ موصولة من جميع نواحيها بألفاظ أخرى تمضي أحقيتها في أن تسمى هذه التسمية تتضاءل شيئاً فشيئاً ، في حين أن تضاؤل أحقيتها في أن تكون من « الالفاظ الاصلية » يحرفها نحو مجال آخر : أي نحو اللهجات المحلية ، أو التحريف أو الكلام الاصطلاحي الذي يكون لبعض الطوائف والطبقات ، أو العبارات التجارية أو ما تواضع عليه بعض الشعب الاجتماعية ، أو المصطلحات العلمية التي يشترك في استعمالها كل الامم المتمدينة ، واللغات التي يتكلمها أهل البلاد الاجنبية أو بعض الأمم الأخرى . ولن تقع في جُمّاع ذلك على خط تعييني في جميع هذه الاتجاهات . فدائرة اللغة الانجليزية لها مركز معروف تمام المعرفة محدد تمام التحديد ، ولكن لن تقف له على محيط محدود . ذلك في حين أن الاستفادة العملية من معجم ، ينبغي أن يكون لها بعض الحدود .

وإن معجماً ما لابدّ من أن يكون له منتهى وغاية . وهنا ينبغي للمعجمي أن يتشبه بالعالم الطبيعي ، فيرسم خطًّا أوليًّا في موضع ما لكل اتجاه من اتجاهات الاتفراج والتباعد .

ولقد رسم مؤلف مقدمة اكسفورد شكلاً بيانيًّا لألفاظ اللغة الانجليزية على الصورة الآتية :

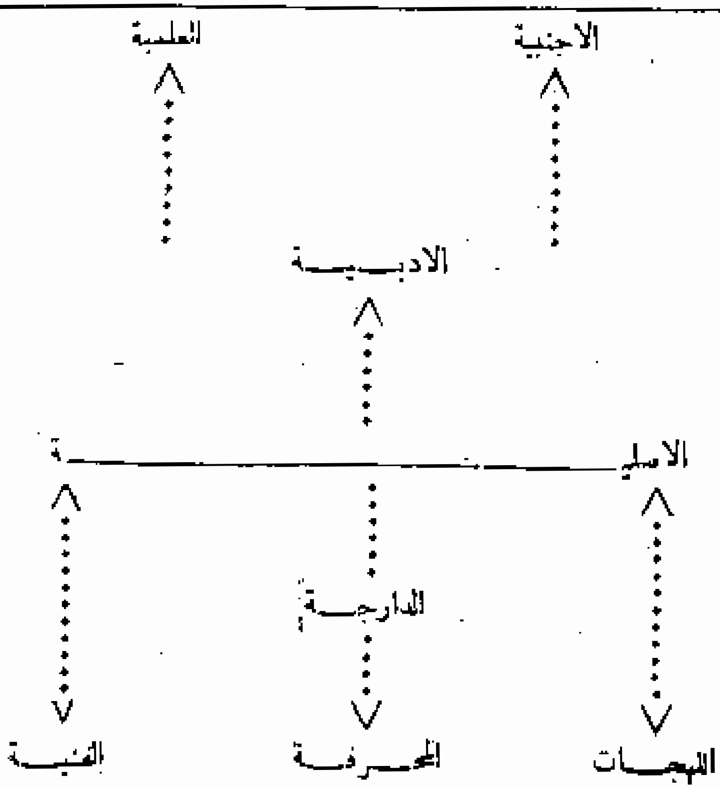

معجم جديد يؤلفه معجميون محدثون ، ينبغي أن يتضمن جميع الألفاظ العامة في الأدب والحديث (الكلام) ، وكذلك الألفاظ العلمية والفنية والحرفية وألفاظ اللهجات والألفاظ الأجنبية المستعملة في اللغة والتي درجت بها الألسن مما قارب مرتبة « الألفاظ العامة » للغة .

وبعد كل هذا ينبغي أن يعلم المعجمي أن الخط الذي رسمه لألفاظ اللغة سوف لا يرضي النقاد. ذلك بأن مجال « الألفاظ العامة » يتسع بمقتضى اطلاع كل ناقد وبحوثه وأعماله ومعاشه من حيث اقامته في الريف أو المدن أو في بلاد أجنبية ، كما يضيق هذا المجال في النواحي التي لا صلة له عملياً بها . فليست انجليزية أي فرد هي الانجليزية برمتها ، ولذا ينبغي للمعجمي أن لا يقتنع إلا برصد الجزء الأعظم من الألفاظ التي يستعملها كل فرد بذاته ، وهذا يفوق ، بما لا يمكن تقديره ، مجموع الألفاظ التي يستعملها فرد واحد .

بالاضافة الى الألفاظ العامة للغة ، وبالاضافة الى كل اتجاهات التوسع والتباين فيها ، نقع على عدد غير محدود من أسماء الأعلام مرتجلة ومنقولة تخرج عن دائرة الألفاظ المعجمية ، في حين أنها تسمها من آلاف النواحي التي تضفي على هذه الأسماء ، وبصورة أخص على النعوت والأفعال المشتقة منها ، قيمة معنوية تختلف بحسب الأحوال . وفي هذه الحالة ينبغي أن نرسم حدوداً قد يزيد فيها أثر الاختيار أو يقل .

كذلك نجد أن للغة ناحية أخرى لا يمكن تحديد تخومها ، ذلك إذا نظرت الى اللغة من حيث علاقتها بالزمان . فان المفردات الحية للغة من اللغات ، لا تملك من صفة الاستقرار في تكوينها ، أكثر مما تملك من صفة التقيد بحدود تنتهي عندها . فمفردات اللغة اليوم غيرها منذ قرن من الزمان ، وكذلك ستكون غيرها بعد قرن يمر من الآن . ذلك بأن عناصرها المكوّنة لا تفتأ في انحلال وتجدد مستمرين ولكنهما بطيئي الأثر . فالألفاظ القديمة يتولاها الاغفال فتصبح مهجورة أو ميتة . ذلك في حين أن الألفاظ الجديدة دائمة التغلغل في تضاعيف اللغة . وموت كلمة من الكلمات ليس من الأشياء التي يمكن تحديد زمانها تحديداً تامًّا . ذلك بأن موت اللفظ عبارة عن عملية اختفاء ، تستمر زمناً متطاولاً ، لا يستطيع المعاصرون أن يدركوا نهايته . فكلمة تستعمل في هذا العصر ، لا يمكن أن توجر ، وانما تموت بعض الكلمات بموت أجدادنا الذين كانوا يستعملونها . وحتى بعد أن نكف عن استعمال كلمة ، فان ذكراها تظل حية ثم تبقى معتبرة حية على اعتبار امكان الرجوع الى استعمالها . فاذا مات آخر من يحتمل أن يستعملها ، ماتت الكلمة . ومن هنا نجد أن هنالك عدداً كبيراً من الألفاظ نشك في أنها وحدة من الوحدات الحية في اللغة ، ذلك بأنها حية عند البعض ، ميتة عند آخرين ، ونرى من جهة أخرى أن ألفاظاً يمكن أن يكون لها حق الدخول في مجموعة المفردات المعترف بها في اللغة وهي ألفاظ يمكن أن يعود بعضها الى التقبل والاستعمال ، بل هي من الألفاظ الكثيرة الدوران على ألسنة بعض المتكلمين وأقلام بعض الكاتبين ، وهي ليست من الانجليزية الجيدة عند البعض ، أو هي ليست انجليزية بحال ، عند البعض الآخر . اذا اتبعنا طريقة تقسيم الألفاظ قسمين : مستعمل ومهجور ، وجعلنا الفكرة في اللغة مقصورة على الألفاظ التي هي انجليزية صرفة منذ البداية أو من عصر ما من العصور ، فاننا بذلك ندخل ناحية من موضوع بحثنا يكون استعراضنا فيها لطبيعة اللغة ناقصاً غير تام . ذلك بأننا نعرف مفردات العصور السالفة عن طريق المدونات التي تركها السلف ، ومقدار علمنا بها يتوقف على كمية ما يصل الينا من هذه المدونات ومدى محتوياتها . وكلما كان رجوعنا الى الماضي أبعد وأقصى ، نقصت هذه المدونات ، وقل محصول المفردات التي يمكن أن نقع عليها .

(يلاحظ هنا ان الحال في اللغة العربية الآن ربما كان على عكس ذلك تماماً)

وهذا المعجم ، مع خضوعه لكل الحالات التي يمكن أن تعتور تأليف معجم كامل للغة الانجليزية ، سيتضمن تاريخ كل الكلمات المستعملة الآن ودلالتها ، والكلمات التي يمكن أن نعرف أنها كانت مستعملة منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي . وكان تعيين هذا العصر راجعاً الى الرغبة في اهمال جميع الألفاظ التي استعملت في الانجليزية القديمة أو الانجلوسكسونية .

أنطون تشيكوف

القصصيّ الروسي

ولد أنطون تشيكوف وهو من أعظم القصاص الروس عام ١٨٦٠ في مدينة تاجانروج Taganrog بجنوبي روسيا وبرغم انه نشأ في بيت لا يمت بصلة الى الطبقة العليا او المتوسطة اذ كان والده عبداً محرراً ووالدته ابنة تاجر ، فانه لم يتخلف في مضمار التعليم والتهذيب

ولم يكن أنطون تشيكوف سعيداً في حداثته ، اذ تضافر الفقر والقسوة الابوية عليه وقد صرّح مرة بأنه لم يكن حدثاً في يوم ما، لان حداثته كانت معذبة . التحق بكلتا المدرستين اليونانية والعالية في تاجانروج ، وتخرّج عام ١٨٧٩ في جامعة موسكو طالب طب . وفي هذه السنة نفسها ، ابتدأ تشيكوف يمد الصحف والمجلات الاسبوعية ومنها الفكاهية، بقصصه وتوادره . ونال عام ١٨٨٤ درجته الطبية ثم اشتغل حولاً من الزمان بالتطبيب فكان موفقاً، واستمرّ يتابع دراسة الطب حتى بعد ان اتخذ لنفسه مهنة الكتابة حرفة ، وأدى خدمة طبية جليلة حينما انتشر وباء الكوليرا عام ١٨٩٢ ، لم يرج منها جزاء ولا شكوراً

***

إن أعمال تشيكوف الخيرية الكثيرة التي أداها للمتألمين والمتضايقين لتفصح عن رقة قلبه وعظم اهتمامه . فقد أسس مدارس ريفية ، وصادق المعلمين النساء، ووفر القوت لمرعى الجوع والقحط . وفي عام ١٨٩٠ ، زار مستعمرة العقوبات بجزيرة سخالين Saichalin لكي يدرس نظام اشتغال السجناء بفلاحة الارض ، تمهيداً لوضع كتاب في هذا الموضوع . ولما واتته الشهرة والثروة ، قضى أوقات فراغه في الفلاحة ، وفتح باب منزله على مصراعيه لاستقبال الناس على اختلاف حالاتهم، يلجأون اليه طالبين إرشاداً روحيّاً، وتحرراً من أمراضهم الجسدية . وبرغم انه أصيب قبل وفاته بنحو خمسة عشر عاماً بالتدرن الرئوي ، فانه لم يدع حالته الصحية تمنعه من الكتابة او تؤخره عنها . واجابة لرغبة طبيب، ترك تشيكوف سكنه في الشمال عام ١٨٩٨ ، ونزح الى القرم الدافئة ، وهناك بنى لنفسه منزلاً في يالتا Yalta وفيه بدأ كتابة مسرحيته الخالدة «حقل الكرز» The Cherry Orchard التي مثلت في اليوم

السابع عشر من يناير من العام التالي على مسرح موسكو الفني بحضور تشيكوف نفسه إذ أصرّ على مشاهدة العرض الأول رغم سوء حالته الصحية. وفي يونيو ١٩٠٤ صحب معه اولجا نيبر Olga Knipper ممثلة موسكو التي تزوجها قبل ثلاثة أعوام، صحبها إلى الغابة السوداء أملاً في التخلص من دائه، ولكن حالته ازدادت سوءاً فمات في يوليو التالي في قرية بادنويلر الصغيرة Badenweiler

وكان تشيكوف كغيره من الروسيين مكبّاً على دراسة نفسه وفحصها والتمعن فيها حتى ان كتاباته أصبحت تترجم عن حياته دون مراء وتظهر شخصيته وأخلاقه دون تزويق او طلاء. والصورة التي نستطيع استخلاصها من قصصه ومسرحياته ورسائله هي صورة شخص دعامته الحب، له صفات القديسين: لطيف، رؤوف، حساس، شجاع، حر الفكر، على استعداد لأن يقف موارده المالية ومعارفه الطبية دائماً على المحتاجين من جميع طبقات بني وطنه. وقد نجح تشيكوف باعتباره فردياً متطرفاً Strong Individualist في سلوك حياته على حسب رغبته ووفق ميله او كما وصفه القصصي الروسي ماكسيم جوركي: «في كل حياته عاش تشيكوف على نفسه، فقد كان دائماً كما هو، محرراً في دخيلته لا يبالي بما يرجوه منه الآخرون»

وكان تشيكوف أديباً منصفاً دقيقاً، وكانت له قدرة عظيمة على العمل، فبرهن برغم علله الجسدية على أنه كاتب خصب مثمر. وقد خلف، الى جانب مسرحياته نيفاً واربعمائة قصة قصيرة تكشف عن سعة معلوماته وتظهر كمال ملكته الادبية. وكانت كتابة الرواية novel النوع الوحيد من فنون الأدب، الذي لم ينبغ فيه

وكثيراً ما اطلق على تشيكوف لقب «موباسان الروسي» وعلى الرغم من زعامة كل من موباسان وتشيكوف في كتابة القصة القصيرة فانهما لا يتفقان في أشياء كثيرة. فقصص موباسان القاتمة تتعارض مع جمهرة قصص تشيكوف وميله الى النزعة الانسانية، كما ان إحكام بناء قصص موباسان وسبك تركيبها يختلف عن قصص تشيكوف التي تقل عنها حبكاً وسبكاً

***

وفي عام ١٨٨٤ سخر تشيكوف قلمه أولاً لكتابة الدراما. فأنبى مسرحية «على الطريق المرتفع» On The High Road التي لم تطلع على عالم الادب بجديد، ولم تخلق ثورة في دنياه وبعد سنوات، في عام ١٨٩٦ قدم مسرحية The Sea Gull وهي تفوق سابقتها بمراحل، ومثلت في صنت بطرسبورج على عادة القوم في التمثيل، ولكنها لم تنجح، فغادر تشيكوف المسرح، وكان يشهد تمثيلها، معتقداً انه ليس بالكاتب المسرحي، وصمم على هجر هذا الفن إلى الأبد. ولم يتراجع عن عقيدته هذه ويرجع إلى صوابه إلا بعد أن أعيد

تمثيل The Sea-Gull في مسرح موسكو الفني عام ١٨٩٨ تحت إشراف المخرج العظيم ستانيسلافسكي Stanislavsky فما بتمثيلها الى الذروة وأعاد الى تشيكوف ثقته بقواه ،وحرّك فيه حماسته المسرحية السابقة التي كادت تخمد، ونفض الرماد فبدا الجمر المستعر، وتبددت الحيرة الملتهبة وثارت القوة الدفينة ، فاستطاع في سبع سنوات ان ينصرف الى كتابة مسرحياته الخالدة التي نال بها الشهرة الطائرة والصيت الذائع .

وكان من حسن التوفيق أن تعاقد تشيكوف ومسرح موسكو الفني ، فأصبح عميده المبدع في الانتاج الفني والكتابة المسرحية ، واجتمع المسرح الى جودة التأليف ، جماعة من خيرة الممثلين ، استطاعوا بفضل مقدرتهم وحسن قيادتهم أن يخلقوا الجو الملائم، ويعبروا التعبير الصادق عما يتطلبه دور كل منهم ، وان يطمسوا كل غموض في مسرحيات تشيكوف ويجعلوها ذات مغزًى ومعنىً ومذاق .

ويحق لتشيكوف أن يدرج اسمه في عداد الطبيعيين ، الاّ أن طبيعيته تغلب عليها النزعة الفردية ، وهو قليل الاهتمام بالقشور من التعاليم ، شديد العناية بالحقائق السامية الخفية التي كان كثيراً ما يسوقها في أسلوب رمزي دقيق .

وأدبه كله احساس ،غني في روحانيته ، مأكر في سياقه ، عرضي في عرضه ، حتى انه يبدو في كثير من الأحيان بلا غرض أو مرمى . ولكن خاتمة مسرحياته تحمل على الاعتقاد بأن هذه العرضية أو الاتفاقية ظاهرية أكثر منها حقيقية، وان مسرحياته الجميلة تسير من بدايتها الى نهايتها وفق خطة ماهرة .

***

أما أشخاص مسرحيات تشيكوف ، فهم يعشون وكلهم حياة ويقدمون أنفسهم الى النظارة أو القراء بما يقولون أكثر مما يفعلون . وأما الحوار المرن الطبيعي فهو محشو بعبارات التردد وألفاظ الشك ، كثير التقطع والتكسر . ولم يهب تشيكوف الحياة لأشخاص مسرحياته وحسب ، بل تعداها ، الى بعثها في الاجسام المادية التي تدخل في المسرحيات ،كالصقيع وقوى الطبيعة ، وحتى أثاث المنزل ورياشه ، واستطاع كذلك أن يجعل جميع الأشياء الظاهرة والخفية ،حتى لظاهوته النفسية ، وعجينة في يديه يشكلها كيف شاء .

وبرغم أن تشيكوف لم يكن من عمد مدرسة « المسرحية المحبوكة » [1] يصعب علينا

(١) مدرسة المسرحية المحبوكة well-made play مدرسة فرنسية يتزعمها Dumas fils, Scribe Sardou, Augier

انكار أن دراسته للمأساة الفرنسية أثرت تأثيراً ناجحاً في كتاباته المسرحية ، وأنقذته من بعض القصور المعيب الذي يميل اليه الأدب الروسي . كما انه تعمد اهمال كثير من التدابير المرعية ، مثل المناظر الهندسية البارعة ، والخاتمات المختلقة ، والستائر المسدلة وابتدع نظاماً فريداً استطاع أن يجعله آلة يسخرها لتصوير مختلف المشاعر ، وتبيان شتى السجايا والنزعات ، وذلك ما أعاره تشيكوف جل عنايته واهتمامه .

***

وتغلب على كتابات تشيكوف نغمة كئيبة حزينة ، ولعل هذا هو السبب الذي حمل البعض على الظن بأنه كان ينظر في الحياة نظرة تشاؤم وانقباض . ولكننا اذا علمنا ان هذا الأسلوب الكئيب Welschmertz ممثل صادق لما اتصف به الروس ، وكذلك لو أدركنا أن تشيكوف كان يعيش في عصر ركود قومي منبط للهمم ، لأدركنا السر في هذه النغمة الحزينة التي تسم كتاباته . وكان طبيعياً جداً أن كاتباً حاد البصيرة حي الروح مثله ، يقدم صورة شوهاء لزمن مشوه ، وقد صرح هو بنفسه أنه رأى من واجبه الأدبي أن يقدم حقائق الحياة الأساسية ، مهما كانت خستها ، دون خوف أو محاباة أو تشويه ، فقال : « ليس الكاتب حلوائياً[1] ، أو مجملاً ، أو مرفهاً أو نديماً سلبياً . انه رجل مرتبط بعقد مع ضميره وشعوره الذاتي بواجبه ، ومتى وضع يده على المحراث وجب ألا يلتفت الى الخلف . وعليه ، مهما جاهد من مشاق ، أن يتغلب على الضباب ، وأن لا يؤثر خيانته بدفس الحياة . واجب الأديب أن يقول الصدق عن شخصياته وألا يحاول السمو بأخلاقهم ، يجب ألا يكون لهم ديانا ، أو قاضياً عليهم » . ويجمل الاعتراف بأن تشيكوف كان عملياً ، وأنه كان مخلصاً لهذا المبدأ وفياً له .

***

ويعرض تشيكوف في معظم مسرحياته ، بؤس الأشراف الذين غدر بهم الزمان وتدهورت حالهم ، وهي الطبقات التي تدرك عجزها ووهنها ، والتي أصبحت الحياة لا تحمل لها أي معنى أو مغزى . ولا يسع الانسان إلا أن يعجب كيف يتشبث هؤلاء القوم المحطم القلوب ، الضعفاء الارادة ، بالحياة ! فبرغم إدراكهم أن الفرص تولي الأدبار عنهم ، فانهم ما فتئوا يترددون ويماطلون ويسوفون ، معللين نكبتهم « بالقضاء والقدر » وهو الاعتقاد

(١) الحلوائي صانع الحلوى وبائعها .

الذي به يبرر الخامل خموله . والقوة الوحيدة التي يملكونها ، تظهر في مقدرتهم الفائقة على احتمال الألم والصبر عليه ، وقد أجاد الناقد الروسي تومكيف Tomkeyeff تشخيص الأمراض التي يعانيها هؤلاء القوم حيما قال : « تعاني جميع الشخصيات التي ابتدعها تشيكوف شلل الارادة ، والفساد في الطبيعة وعدم ضبط النفس ، وهم على استعداد للانتحار ، أو لطلب العزاء والسلوى في كؤوس الراح في كل مرة تسلب الحياة منهم شيئاً معيناً . وهم لا يطمحون الى مثل عليا عملية ، ولا يستطيعون تأدية عمل . أما العمل الوحيد الذي يملكون انجازه ، فهو نسيج هش من الأحلام » .

***

وجميلٌ بنا أن نسجل هنا أن كتابة مسرحيات تشيكوف يتخللها بصيص من المرح ، وأن بعض الفقرات المبعثرة في مسرحياته ، تحمل على الاعتقاد بأن تشيكوف كان متفائلاً أصلاً ، وانه يؤمن ايماناً غير محدود بالتقدم البشريّ ، وأنه يؤمل تحقيق سعادة العالم في المستقبل .

ويشترك تشيكوف مع كارليل في صفة واحدة على الأقل ، وهي أنه علق شأناً كبيراً على « العمل » ، وعدّه الترياق لكل داء عضال فتاك ببني وطنه . وقد تبدّى هذا الزعم على لسان بعض أشخاص رواياته ، فهم يمجّدون العمل ، ويرون فيه أعظم ضمان وأوكده لتحقيق سعادة الأجيال القادمة . وقد قال بهذه النظرية طوزنباخ Tusebach في رواية تشيكوف المسماة « الشقيقات الثلاث » The Three Sisters إذ قال متنبئاً : « الوقت قريب ، والسيل يتهمر صوبنا والعاصفة الهوجاء متبلغنا ، وهي قريبة منا ، وسوف تزيل من المجتمع التراخي وعدم المبالاة ، وبغض العمل ، والكسل والملل ، سأعمل ! وبعد خمسة وعشرين عاماً أو ثلاثين ، سيحمل الجميع على العمل » . وقد تحقق هذا الرأي برمته في القرن العشرين وفي نظام روسيا السوفيتية .

وظاهرٌ أن غرض تشيكوف من كتاباته هو أن يبين أن الشقاء ليس إلا فترة انتقال يجب احتمالها بالصبر للتكفير عن الأخطاء الماضية ، والاستعداد للأيام السعيدة المقبلة [1] .

وديع فلسطين

(١) عرفنا في كتابنا هذا النقاد على كتاب Representative Modern Dramas, by C. H. Whitman

سيكولوجية أدلر

تلخيص وتبسيط

نظرة عامة

يرى « الفرد أدلر » أن اتصال الانسان — ذكراً كان أم أنثى — بالحياة والناس يقوم على دعائم ثلاث : العمل ، والحب ، والعلاقة الاجتماعية . ان هذه عنده هي وظائف الفرد في الحياة . فاذا كان الفرد مطمئناً فيها جميعاً كان انساناً سوياً هانئاً ، والاّ فانه لا ينجو حين تنتقصه الحياة إحدى هذه الصفات الثلاث، من أن يكون هدفاً لانحراف عصبي .

ولأدلر نظرية قائمة بذاتها في علم النفس مركزها فكرة (النقص) . ويظهر من تجارب الناس في الحياة ان فلسفة أدلر النفسية فيها شيء من الحق ، ان لم يكن فيها الحق كله ، بالرغم من النزاع العنيف القائم بين اتباعه وأتباع فرويد .

ونظرية أدلر الأساسية في علم النفس بسيطة . وقد وضعها هو في عبارات وشروح سهلة تجعل كثيرين ينظرون اليها مرتابين أول الأمر ، خشية أن تكون هذه الفكرة قولاً عادياً لا طائل وراءه . والذي قرّب نظرية « أدلر » من الأذهان أمران : أولهما نزعته العنيفة الى التبسيط ، وثانيهما طواعية أمثلة كثيرة من الحياة لتكون شواهد عليها ، وشعور كل انسان بشيء منها في نفسه . والنظرية تؤول بعد الى دعوة اصلاحية عامة ذات مساس شديد بمصالح الناس وهنائهم . ولا عجب في ذلك ، فأدلر يعتقد مع وليم جيمس «ان العلم الحقيق ليس إلاّ العلم الذي يتصل بالحياة اتصالاً مباشراً » .

وفلسفة « أدلر » في علم النفس تدعى (السيكولوجية الفردية) . وهو يذكر ان هذه السيكولوجية انما نتجت معه من دراسته لدوافع الحياة الخلاّقة ، أي الدوافع الخفية التي تعدو بالأحياء الى الرقي والتطور ، بالرغم من أي عائق يعوقها . ولذلك يرى أن الكائن البشري وَحْدَة تستهدف غرضاً معيناً في اندفاعها نحو الرقي والتكامل . ان للنفس البشرية طابعاً خاصاً يتكوّن في الصغر . والنفس تحب أن تتكامل فتسد ما بها من نقص ، وان تندفع الى الأمام نحو هدف ثابت الرقي . ولاحظ « أدلر » ان الجسم البشري تتساند جميع أعضائه

لتحفظ الجسم وتسعده . بل هو يلاحظ أن أجزاء الجسم تحاول أن تسد أي نقص يطرأ عليه . فالجسم يجرح مثلاً ، فتعمل سائر أعضائه على تغذية المكان المجروح ووقايته حتى يلتئم ويذهب الألم والتشويه الناتجين من ذلك . « الحياة تحاول دائماً أن تستمر . وقوى الحياة لا تخضع قط لأي عائق من الخارج يحول دون استمرارها ، من غير أن تجهد نفسها في التغلب عليه . وان حركة النفس لشبيهة بحركة الحياة العضوية » .

وهذا معناه أن النفس البشرية كذلك تتعاون أجزاؤها في سبيل إسعاد النفس كلها ، ودفعها الى الأمام في طريق السمو . فالنفس البشرية لها هدف أو مثل أعلى . وهي تحاول أن تتخطى الحالة التي تكون عليها . فاذا كانت منقوصة ، حاولت أجزاؤها الأخرى أن تسد هذا النقص . أما هذا الهدف الذي ترسمه النفس لذاتها فانه يتكوّن في أول عهد الطفولة المبكر . في السنوات الأربع أو الخمس الأولى من حياة الطفل . ويتركز الهدف الذي تستهدفه النفس حول نقص تحس به من جراء عضو مفقود أو مشوّه . فالطفل ينقصه هذا وهدفه الذي تستهدفه نفسه من جراء هذا النقص ، يكون وحدة كاملة يسميها أدلر «النموذج الأول»[1] Proto-type . وهذا النموذج الأول للطفل يظل هو هو في أساسه لا يتغير مدى حياته . وانما يمكن تعديله وتوجيهه وجهات حسنة . وهذه هي فائدة السيكولوجية الفردية . وخير وقت لهذا التعديل والتوجيه ، هو فترة العمر المبكرة التي يتكوّن في أثنائها النموذج الأول.

وليس من الضروري أن يتشكل الشعور بالنقص من جراء فقدان عضو أو تشوّهه . ولكن حرمان الطفل من ميزات الحياة ، وخاصة بالنسبة الى غيره من الناس ، يقيم فيه الشعور بالنقص . فالتربية الناعمة المرفهة (المُدلَّلة) للطفل ، التي تحفه بعناية زائدة لا حاجة اليها ، أو الكره الشديد الذي يحس معه الطفل حرج مركزه بالنسبة الى غيره ، هي من الأمور التي تزرع فيه الشعور بالنقص من ناحية أخرى . ان الطفل المدلَّل يتعوّد الاعتماد على أهله ، فاذا هو لم يستطع مقابلة الحياة ، وانما استمرّ يطلبها على الصورة التي كان يطلبها من أهله وهو صغير . وبالطبع لا يجد من الحياة التلبية التي كان يجدها من أهله ، فتتغلب عليه الحياة وتهزمه وينحرف بذلك الى نواحي الحياة الضارة . فالبكاء الشديد والادعاء والقعود عن العمل ، والإجرام والجنون والادمان على الخمر ... الخ هي مظاهر مما تؤول اليه حالة الطفل ، اذا نشأ شاذاً غير سوي واستولى عليه شعور بالنقص .

ويلخص « أدلر » نظريته فيقول : « لا متدوحة لي من الاعتراف بأن طريقة

---

(١) يحسن ان يقال في هذا المصطلح « المثال البدائي » او « النموذج البدائي » . (المقتطف)

« السيكولوجية الفردية » تبدأ وتنتهي بمشكلة النقص ... فالنقص هو أساس الجهاد البشري والنجاح . غير أن الشعور بالنقص هو أساس جميع متاعبنا النفسية . ان الفرد اذا لم يجد مدفعاً من الرفعة ، تمرّض لشعور بالنقص . وهذا الشعور يقوده الى مخرج يخلصه من مواجهة الحياة . هذا المخرج هو الذي يدعى « مركب العظمة » ولا يزيد هذا المركب عن كونه هدفاً عابثاً غير مفيد . يوهم بالرضى الذي يناله الانسان من نجاح خيالي »

وما دام الشعور بالنقص هو أول ماتتجه اليه نظرية « أدلر » النفسية وآخره ، فجدير بنا أن نبحث في هذا الشعور بشيء من التفصيل

***

الشعور بالنقص

قلنا من قبل أن الشعور بالنقص يبدأ في الطفل من نقص او ضعف في التركيب الجسماني ، ومن الحرمان النفسي أيًّا كان نوعه . وتتوقف نوع الشعور على نوع الضعف او على نوع الحرمان . ويشمل ذلك عوامل البيئة التي نشأ فيها الطفل وبخاصة طبائع الوالدين والناس المحيطين به وكافة الذين يؤثرون في تربيته والوضع الاقتصادي الذي ينشأ فيه . ومن البين والمهم ان الطفل لايقوى على العيش وحده حين يولد ، ولذلك كان لامناص له من أن يعتمد على غيره ـ عائلته ـ في مطالع حياته . واعتماده هذا هو مبدأ احساسه بالحاجة الى غيره .

وهذا الاحساس يستمر معه في الحياة . فمتى كبر وأضحى مستقلاً ، كان موضعه بالنسبة الى المجتمع كما كان موضعه بالنسبة الى عائلته وهو صغير . وبعبارة أخرى تنتقل حاجة الفرد الى جماعة اكبر . ومن هنا يشعر الكبير بحاجته الى الناس وشعوره بالنقص يحمله على مواصلة العلاقة بالمجتمع « فبدأ الحياة الاجتماعية » كما يقول « ادلر » هو ضعف الفرد واستمرار ضعفه بالنسبة للمجتمع يلزمه ان يكون اجتماعيًّا . وهذه الملاحظة ، مهمة من ناحيتين : أولاهما : اشارتها الى ان الانسان اجتماعي بالطبع . وثانيتهما : الالماع الى ان طمأنينة الفرد في المجتمع الذي يعيش فيه من أحسن علامات الشعور بالنقص كما ينبغي . ومجتمعنا اليوم في الشرق قما يضع الفرد في موضعه المناسب في الحياة . ولذلك يلازم المرء شعور الوحشة مما يجده في نفسه من نقص ومما يجده في المجتمع من عدم افساح الطريق له ليستعيض بالبروز في ناحيته عن شعوره بالنقص . وليس المجتمع في الغرب أحسن بكثير مما هو عليه في الشرق . ولكن « أدلر » يرى ان المجتمع الراقي لايتخلف عن اعداد كل فرد فيه مايستحقه بالنسبة لكفايته وهذا يفسح المجال للمواهب ، واذا فحصنا عباقرة التاريخ وجدنا في كل واحد منهم نوعاً من

النقص، فضعف البصر ضعف شائع في أعضاء ، وبعض أعضاء والناس يعانون ضعفاً في معدهم أو امعائهم ، ومن الأطفال والناس من يكون أعسر فلا يستطيع أن يستعمل يده اليمنى ، ومنهم من يكون عيياً يتلعثم ، ومنهم من يكون بالغ القصر . الخ ... كل هذه عوامل تولد الشعور بالنقص .

فاذا أثر النقص في الانسان تأثيراً شديداً تولد فيه «مركب نقص» ، وظهرت لذلك بوادر كثيرة مختلفة ، فبعض الناس تراهم في حركة دائمة ، فاذا مشوا ضربوا الأرض بأرجلهم واذا تحدثوا رفعوا أصواتهم ليسمعهم الآخرون ، ولهم أمزجة حادة ، وانفجارات عاطفية فجائية ، ومن الناس من يتناقض في آرائه وأعماله ، ومنهم من يتردد تردداً عظيماً فلا يستطيع ان يجزم في أمر . كل ذلك من علائم المرء وقد أصيب بشعور بالنقص . ومما يدل على شعور النقص في انسان الوقوف المعتدل المتوتر الذي يدفع المرء فيه برأسه الى أعلى على شكل ملحوظ ، أو طأطأة الرأس الى الارض اثناء المشي أو الاعتماد المستمر على الطاولة أو الجدار أو العصا حين الوقوف . والطفل الذي يحب الاستناد الى أمه أو يخاف من مواجهة الناس فيظل منهياً منفرداً ، طفل يحس بنقص ، والرجل الذي يتجافى عن المجتمع ويتحاشاه انما يفعل ذلك في الغالب لأنه يتملكه شعور بالنقص ، والخوف صفة من هذا القبيل كذلك . وهنالك نوع من الجرأة لا يختلف عن الخوف ، فالانسان أحياناً يتملكه تهور فجائي نادر يدفعه الى الهلاك .

ويرى أدلر ان الخوف والشجاعة مرتبطان بالايمان بالقضاء والقدر ، وهو يقول « ان الايمان بالقضاء والقدر مخرج يخلص به الانسان من أخطاء والبناء المفيد في الحياة . ان هذا الايمان دائماً حصانة واهية يستند اليها الانسان »

والغيرة المعتدلة صفة عادية معروفة ، ولكنها اذا اشتدت كانت من علامات الشعور بالنقص . أما الحسد فدليل مركب نقص شديد عميق . ويوافق علم النفس الفردي على ان « الحسود لا يسود » وانه لا يمكن ان يكون الحسد مفيداً في أي شكل من الاشكال .

***

التحليل النفسي

تصبح بذلك طريقة التحليل النفسي عند « أدلر » واضحة ، ان هذه الطريقة تعمد الى فهم الشخصية الانسانية المحللة ، وترمي بشكل خاص الى انفاذ الى هدف هذه الشخصية في الحياة . وعلى أساس ذلك يوصف العلاج النفسي . وللوصول الى هذا يجب ان يفهم (طراز

الحياة — Style of Life للانسان المحلل ، وان تدرس الذكريات القديمة ، والاحلام التي تحدثها . و « طراز الحياة » هذا هو الشكل الذي تكون شخصية المرء قد استقرت عليه بعد نموها خلال السنوات الاولى، ويمكن ان يفهم هذا الطراز من دراسة أوضاع الانسان ، وخاصة في حالاته غير الطبيعية ، فالانسان السَّوِيُّ هو الانسان الذي يستفيد المجتمع منه ، والذي يكون له من الاقدام والجهود ما يتقوَّى به على مشكلات الحياة ، ان الرجل الذي ينحرف عن هذا لا يكون سوياً ، ويمكن مراقبته ومعرفة دائه . ومن ثَمَّ نعرف طريقة اصلاحه

ويروي « أدلر » حكاية رجل كان من صفاته أنه خجول شديد الشك بأصدقائه ، فقال هذا الرجل لا يمكن لشكه أن يكون ذا أصدقاء ، ولا يمكن لشدة خجله أن يخالط الناس ، ثم انه كان شديد الخوف من الفشل في عمله . فحمله ذلك على شدة العمل حتى أنهك نفسه. ويعتبر هذا الرجل فاشلاً في علاقاته الاجتماعية ، كما يعتبر فاشلاً في عمله ، انه يحس احساساً عميقاً بالضعف ، وقد لوحظ أنه في مشكلة الحياة الثالثة — الحب — كان شديد التردد ، فانه كان يتنقل في حبه من فتاة الى أخرى ، ثم لم يتزوَّج قط ، وكان هذا الرجل يكره أبويه . ويكره أبويه في نظر « أدلر » ، يتعرض في الغالب للحرمان كله أو بعضه من جزاء العناية الخاصة بالطفل الثاني التي يشاهدها الكبر ، وهذا الحرمان يولد في نفسه الشعور بالنقص ، ومثل هذا الرجل اذا أردت أن تمكنه من أن يتغلب على شعوره بالنقص ، وجب أولاً أن توضح له ان يقدر نفسه دون ما تستحق ، كما يجب أن توضح له تزمته في علاقاته الناس ووجه خطئه في تخوفه من أن يفضل عليه أحد

***

وأما عن تذكرات الانسان القديمة ، فان المرء يتذكر ما له أهمية في نفسه . ولا عبرة في أن تكون تذكرات الانسان حقيقية أو وهمية ، فانه ما دام يتذكرها فانها مهمة في حياته. والذكريات القديمة عبارة عن اشارات الى شخصية الانسان انها تدل على نموذجه الأول (أي Prototype الذي تقدَّم ذكره) ، لأنها تشير الى ما وقع من أمر هام ، والى ما يقع على مثاله، لأن شخصية الانسان الأساسية لا تتغير ، ويصلح هذا الموضوع للمقارنة بما قد اكتشف عن الانسان بوسائل أخرى ، وللحصول على التذكرات القديمة ، يطلب الى الانسان أن يرتد بذاكرته الى حداثته ، وان يتذكر من ذلك ما يتذكر ، وقد يجد المحلل صعوبة في هذا ، لأن المريض قد يقول انه لا يذكر شيئاً ، ولكن الالحاح عليه يثمر دائماً ثمرة طيبة ، فيذكر المريض شيئاً . ان ما يذكره الآن له أهمية لأنه يدل على «وضعه الأول» — أي الحالة التي

نشأ عليها ، والذاكرون من الناس يذكرون أشياء كثيرة ومختلفة بالطبع ، ولكن براعة المحلل تردها الى أصول محدودة .

فبعض الناس مثلاً يقول انه يذكر انه سمع صوت قطرة قاصف . وبعضهم يذكر انه أكل أكلة لذيذة وبعضهم يذكر أشياء تتعلق بأمه وأبيه ، وبعضهم يذكر حالات مرضية أصابته وبعضهم يذكر شيئاً يتعلق بملابسه أو أنه ضرب أو حرم إلخ. فوظيفة المحلل هنا أن يرد هذه الأشياء الى أصولها ليجد منها شخصية المرء الأولية وليربط ذلك بشخصيته الحاضرة ، على اعتبار أن أساس شخصية الانسان لا تتغير بتقدم السن

يذكر الانسان مثلاً من قديم ذكرياته ان أمه ضربته وعنفته ، حتى فرّ منها هارباً ، وضلّ الطريق حتى خاف على نفسه من الموت ، فمثل هذه الذكرى تشير الى عامل قوي من عوامل التخوف ، لابدّ وان يكون قد دخل في تكوين شخصية الانسان ، وهذه الحالة تقرب من الواقعية ، فان صاحبها حين دخل الجامعة ليتعلم ظلّ خائفاً من الرسوب في الفحوص الجامعية بالرغم من ذكائه ، فلما تخرّج تنى نفسه اجتهاداً في الحياة حتى لا يفشل فيها ، فهو يلعب في حياته ، من حيث الأساس ، دور الرجل الخائف ، وهذا هو شعور النقص الاساسي في نفسه

***

ونموذج الحياة الأول للانسان ، يظهر منه شيء في الأحلام ، فالحلم عند « أدلر » لا يخرج عن كونه نمطاً من « طراز الحياة » . و « النموذج الأول » دائماً منطوٍ فيه . ومن هنا كانت معرفتك لانسان مؤدية الى معرفة نوع أحلامه . ومعظم أحلام الناس خوف ، لأن النوع البشري جبان . ويحلم المرء أحلاماً مخيفة لأنه في يقظته دائماً يتوجس من الفشل ، ويحاول أن يتخلص من الحياة بالهرب من مشاكلها . هو يبحث عما يجنبه متاعبها . هذا هدفه . والحلم يؤيد له هذا الهدف . ولا فاصل عند « أدلر » بين النوم واليقظة . فان طرف أحدهما منسلب في طرف الآخر . فنحن في النوم نفكر ونسمع ونحس احساسات عامة . وتستهدف أحلامنا على العموم هدفاً من العظمة يخلصنا مما نحس فيه من شعور بالنقص . ولكن في الأحلام نوعاً من التشويش والغش والتمويه على النفس . ولذلك فالذين يفكرون تفكيراً منطقيا ويراجعون حقائق الحياة لا يحلمون الاّ قليلاً ، أو لا يحلمون قط . والذين يتركون ما في الأحلام من خداع نفسي تقل أحلامهم أو تنعدم . ان المرء يصنع أحلامه . فأحلامه تتجه في محتوياتها الى ما يتجه هو اليه في الحياة ، ومن أحلامه يتضح لك شيء من هدفه فيها .

فأنت تستطيع إذن بمختلف هذه الأساليب أن تتصل بمعرفة « النموذج الأول » الذي ينشأ عليه الانسان و « طراز الحياة » الذي يتبعه . وتستطيع من ذلك أن تعرف النقطة

المركزية التي يدور عليها شعوره بالنقص والطريقة التي يحاول أن يعوض بها عن هذا النقص. ان النقطة المركزية على كل حال نوع من الضعف. وهذا الضعف نفسه يحمل المرء رجلاً، كما حمله طفلاً، على التزام جانب المجتمع والشعور بحاجته اليه. فطريق الاصلاح الأساسي لأي انسان أصبح شعوره بالنقص مركزاً وأثر في حياته فدفع به الى نواحي غير مفيدة، هو تعديل مركزه في المجتمع وتسويته. ومرة أخرى يتلخص هذا التعديل في تحسين موقف المرء من الناس الذين هم من حوله، ومن مهنته، ومن مسألة زواجه.

ولا أقصد أن أطيل أكثر مما قد فعلت. فالطريقة التي يمكن أن ينشأ بها طفل لكي يكون إنساناً سوياً، هي أن يعامل بعدل واحترام. ولكن الشاب الذي تم تكوين طرز حياته على صورة معوجة يجب أن يدرس وأن تعرف مزاياه وأن يوجه نظره لها. فأدلر يعتقد أن «كل انسان يصلح لكل شيء». فاذا فتحت للشاب آفاق جديدة، وسوعد في التغلب على ضعفه، اندفع في الحياة من جديد. وقد عولجت عملياً حالات كثيرين من المرضى العصبيين وحالات قريبة من الجنون على هذا الأساس، فنجحت طريقة العلاج.

***

أما في ناحية المهنة، فيحذر «أدلر» من الاستعلاء الذي يجده كل شاب في نفسه حين يعمل مع غيره. هذا الاستعلاء يحمله على التورط وعدم الطاعة للرؤساء. وليس من السهل ايجاد عمل لمبتدىء لا يرأسه فيه أحد. فاذا لم يعرف كيف يتلقى من رئيس له، لم يقدر على التقدم. وإذا لم يحسن التصرف مع الناس على اعتبار انه رجل اجتماعي، فلا سبيل الى نجاحه.

ولا يعني «أدلر»، فيما اطلعت عليه من كتاباته الى اليوم، بمظالم عميقة تقترفها البشرية في حق نفسها ولا تفيد فيها نصائحه، ولكنا نغض النظر عن ذلك الآن.

وحل مشكلة الحب عند «أدلر» يدخلنا في بحث يختلف عما تثيره حياتنا الاجتماعية في الشرق من مشكلات في هذه السبيل. ولكن مما لا ريب فيه أن الرجل المصاب بداء الشعور بالنقص، قد يحجم عن الزواج خوفاً من مسئوليات الحياة الجديدة. وضعف الانسان عامة عن مواجهة انسان من الجنس الآخر، ينتج عن إحساس بالنقص يحمل صاحبه على التردد والحياء.

السلط (شرق الاردن) محمد أديب العامري

المدرسة الخاتونية
البرانية بدمشق[1]

يقول الاستاذ اسعد بالدين ص ٢١١

المسجد رقم ٨٢ : مسجد الخاتونية البرانية

تقدم ذكره ص (١٣٠) ونضيف هنا أنها (اي المدرسة الخاتونية البرانية) كانت باقية الى زمن ابن كنان فانه قال في المروج السندسية بتاريخ الصالحية ص ٢٧ : جامع الخاتونية فيه درس حديث في الاشهر الثلاثة وآخر من درس فيه القاضي حسن بن المدوي الصالحي. وقال العدوي : اول من هدمها ونقل رخامها الى مدرسته سيباي (أنظر مقال سوفير بالمجلة الاسيوية سنة ١٨٩٤ ص ٢٥٤ ـ ٣٠٢)

وموقع هذا المسجد على الخريطة الملحقة بآخر الكتاب بالمربع ر ـ ٣) انتهى

***

هذا ماذكره الأستاذ بالدين عن مسجد الخاتونية البرانية . وقد رأينا في أول عبارته أنه يشير الى ص ١٣٠ فلنرجع الى هذه الصحيفة لنرى ما ورد بها عن هذا المسجد

اننا نجد ابن عبد الهادي يقول :

فصل ثم قال (اي المؤرخ ابن شداد الذي ينقل عنه ابن عبدالهادي)

المساجد التي لم تذكر يعني فيما قدمه وهي كثيرة :

المسجد الخامس مسجد تربة خاتون بالجبل . ه

وعلق على ذلك الاستاذ أسعد بحاشية رقم ٣ بنفس الصحيفة بقوله :

وفي ابن كثير حـ ١٣ ص ١٦١ خاتون بنت عز الدين مسعود بن زنكي واقفة المدرسة الاتابكية بالصالحية كانت زوجة الملك الاشرف وقفت مدرستها وتربتها بالجبل وهي غير

---

(١) هذا المقال هو في تحقيق « مساجد دمشق » وتعريفها الى القارىء وتصحيح الاخطاء التي وقعت في كتاب « ثمرة المقاصد في ذكر المساجد » الخاص بمساجد دمشق الذي الفه يوسف بن عبد الهادي ونشره الاستاذ اسعد طلس

الخانقاه الخاتونية بباب النصر المعروف بباب السعادة كما قال النعيمي في باب خواتون في ذيل الشرف القبلي على (نهر) بانياس شرقي جامع تنكز ولصيقه وهي منسوبة الى خاتون بنت معين الدين زوجة نور الدين محمود ـ انتهى

***

يستنتج مما سبق بيانه ما يلي :

أولاً : ان مسجد الخاتونية البرانية ورقمه المسلسل بالذيل ٨٢ ص ٢١١ موجود بالخريطة الملحقة بالكتاب بالمربع رقم ز — ٣ (راء) .

ثانياً : ان هذا المسجد رقم ٨٢ بالذيل وبالخريطة هو نفسه الذي عناه ابن شداد بقوله بصحيفة ١٣٠ : « الخامس : مسجد تربة خاتون بالجبل » .

ثالثاً : انه هو نفسه مسجد المدرسة الاتابكية التي بنتها خاتون بنت عز الدين مسعود ابن زنكي كما ورد بحاشية رقم ٣ ص ١٣٠ تعليقاً على قول ابن شداد المذكور في « ثانياً » .

رابعاً : انه هو نفسه المدرسة الخاتونية البرانية التي يقول العلموي ان الأمير سيباي هدمها ونقل رخامها الى مدرسته .

خامساً : انه هو نفسه « جامع الخاتونية » الذي يقول ابن كنان في كتابه « المروج السندسية » ان فيه درسا في الأشهر الثلاثة وان آخر من درس فيه القاضي حسن بن العدوي الصالحي » .

سادساً : ان الخاتونية البرانية هدمت في عهد سيباي كما يقول العلموي ومع ذلك كانت موجودة في عهد ابن كنان .

مناقشتنا لاقوال الاستاذ أسعد وظهار ما فيها من أخطاء

الخطأ الأول : خلق مواقع خيالية خاطئة للآثار :

ونحب قبل أن نمضي في مناقشة الأستاذ أن نصحح رقم المربع الذي يقع فيه المسجد رقم ٨٢ على الخريطة فان صحته ز — ٣ بالزاي لا بالراء لأن الخريطة تبدأ خطوط مربعاتها الرأسية من حرف الألف وتنتهي بحرف الزاي على الترتيب الأبجدي المعروف أبجد هوز حطي فلا وجود لحرف الراء فيها .

فاذا رجعنا الى هذه الخريطة وجدنا المسجد رقم ٨٢ يقع بين المسجدين رقمي ٢٣٠ و ٢٦٧ وهذان المسجدان هما كما وردا في الذيل :

الأول — مسجد رقم ٢٣٠ : ص ٢٤٣ هو مسجد الفرفي (بالراء) بحارة بين المدارس

بالصالحية . (وقد كتبه الاستاذ بالواو تارة وبالراء أخرى وصحته بالراء كما ذكرناه ولنا في ذلك بحث مستقل تال) .

الثاني — مسجد رقم ٢٦٧ : ص ٢٥١ هو مسجد المرشدية بجادة بين المدارس بالصالحية.

ولأجل تعريف القراء وخاصة الدمشقة منهم بمواقع هذه الآثار نقول : انا اذا أخذنا ترام الصالحية حتى محطة العفيف ثم سرنا في زقاق العفيف شمالاً فاننا نجد طريقاً يتجه من الغرب الى الشرق هو شارع السكة فاذا وصلنا إلى أول طريق الماوردي عند المنزل رقم ٧٦ وانحرفنا الى اليمين في جادة بين المدارس فاننا نجد الى يسارنا بالصف الشمالي لشارع قبة بالمنزل رقم ٣ تسمى محليًّا بقبة النبي يونس ، يتلوها الى الشرق زقاق ضيق غير نافذ هو زقاق رجب أغا . فاذا واصلنا السير شرقاً حتى بيت أبي صادق الماوردي رقم ٢٧ بالصف الشمالي نفسه وجدنا مقابله بالصف الجنوبي قبة الشيخ علي القرني وعلى عتب شباكها كتابة خمسة أسطر بالنسخ الأيوبي ذي الحرف الصغير وبها اسم الشيخ علي القرني وتاريخ وفاته.

وهذه القبة وما يتبعها هي المسجد رقم ٢٣٠ الذي يشير اليه الأستاذ .

أما المسجد رقم ٢٦٧ وهو مسجد المدرسة المرشدية فيقع شرقي قبة القرني مباشرة. وقد سقطت القبة ولكن لا تزال توجد الى شرقها المأذنة الحجرية المربعة الخاصة بهذا المسجد . وعلى عتب باب هذه المدرسة نقش تاريخي أربعة أسطر بالنسخ الأيوبي بحروف صغيرة به اسم بانيتها عصمة الدين خديجة خاتون ابنة السلطان المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وتاريخ انشائها .

هذان هما المسجدان اللذان وضع الأستاذ أحمد بينهما مسجد الخاتونية البرانية فهل حقيقةً يوجد بينهما هذا المسجد الآن أو كان يوجد بينهم في أي وقت مضى ؟

يستطيع كل دمشقي أن يثبت بطلان ذلك بمجرد سيره بجادة بين المدارس ومشاهدته هذين الأثرين المتجاورين .

أما غير الدمشقة فنثبت لهم ذلك بالصورة الشمسية التي أخذناها لكتلة الأبنية الأثرية الممتدة من قبة القرني في الغرب حتى المدرسة الأتابكية في الشرق وتشمل (١) قبة القرني (٢) تتلوها المدرسة المرشدية بقبتها الساقطة ومأذنتها الحجرية المربعة (٣) مدرسة دار الحديث الأشرفية وقد سقطت قبتها ولا مأذنة لها (٤) يتلوها زقاق على ناصيته المدرسة الأتابكية ومأذنتها المربعة .

وواضح من الصورة الشمسية أن قبة القرني والمدرسة المرشدية متجاورتان بل ملتصقتان إحداهما بالأخرى وليس هناك مكان لأي أثر آخر يمكن قيامه بينهما .

وليس ثمة شك أو شبهة في التعريف بهذين الأثرين واسمي منشئيهما لوجود النقشين التاريخيين المشار اليهما . ووجود نقش تاريخي ثالث على عتب باب مدرسة الحديث الأشرفية. لذلك فنحن نقتبس هنا بعض ما رواه مؤرخو دمشق وخططها عن مواقع هذه الآثار لنرى هل أشار أحدهم الى وجود هذه المدرسة الخاتونية البرانية يوماً ما في الموضع الذي اختاره لها الاستاذ أسعد أو هو الذي انفرد بذلك ؟ .

أولا — يقول ابن عبد الهادي في كتاب المساجد الذي نشره الاستاذ أسعد بنفس الفصل الذي ورد فيه ذكر مسجد تربة الخاتون بالجبل ما يأتي ص ١٣١ : الثاني والعشرون : مسجد المرشدية . الثالث والعشرون : مسجد الشيخ علي القرنفلي .

ثانياً — يقول المؤلف نفسه في ص ١٥٦ من نفس الكتاب وهو يعدد مساجد المحلة الحادية والثلاثين من محلات الصالحية وهي حارة سوق شعيب (وتقول : هذا السوق يسمى الآن جادة بين المدارس ويمتد من الشركسية حتى شارع الكلة) ... الثاني مسجد بالمدرسة التابكية (وتقول : التابكية أو التابتية هي التسمية العامية المحلية وصحتها الاتابكية نسبة للخاتون الاتابكية) .

الثالث: مسجد بمدرسة دار الحديث (تقول: هي دار الحديث الأشرفية)

الرابع: مسجد في المدرسة التي فوقها (تقول: هي المدرسة المرشدية)

الخامس: مسجد في المدرسة القرنفلية (تقول: هي زاوية الشيخ علي القرنفلي)

فيلاحظ في أولاً : ان المؤلف ذكر المسجدين متجاورين ولو كان هناك ثالث بينهما لما أغفل الاشارة اليه .

وفي ثانياً : ان اثبت الوارد هنا يشمل بالضبط الآثار الأربعة الأيوبية المتجاورة من الشرق الى الغرب كما هي موجودة فعلا في النصف الجنوبي من هذه الجادة وليس بينها جميعاً محل لهذه الخاتونية البرانية التي أقحمها الأستاذ بين المرشدية والقرنفلية (انظر الصورة) .

ثالثاً — عن المدرسة المرشدية : يقول النعيمي : هي بالصالحية على نهر يزيد جوار دار الحديث الأشرفية (غطوط الدارس للنعيمي ج ٢ ص ٥٧)

ويقول ابن قاضي شهبة : وتوفيت خديجة خاتون بيمارستان المارداني سنة ستين وستمائة ودفنت بتربتها التي أنشأتها جوار تربة الشيخ القرنفلي بالجبل . اهـ .

أي ان المدرسة المرشدية تجاورها دار الحديث الأشرفية (من الشرق) كما تجاورها تربة الشيخ القرنفلي (من الغرب)

رابعاً : عن الزاوية القرنفلية : يقول الشيخ عبد القادر بدران في كتابه منادمة الأطلال

المخطوط ج ٢ ص ٣٨٥ — ٣٨٦ : هي بسفح قاسيون غربي الخاتونية (وتقول انه يقصد بها مدرسة خديجة خاتون المعروفة باسم المرشدية . الظر قول ابن قاضي شهبة في « ثالثاً »)

وينقل الشيخ بدران عن العدوي في « الزيارات » بعد أن يضبط اسم الفرنثي ما نصه : قال العدوي : زاويته أي الفرنثي جوار المدرسة المرشدية بصالحية دمشق من جهة الغرب » اه

وليس أصرح من هذا في اثبات ان المدرستين متجاورتان وان الفرنثية غربي المرشدية.

ويظهر أن الاستاذ أسعد قد خدعته كلمة الخاتونية الواردة في كلام الشيخ بدران فظن أنها الخاتونية البرانية دون أن ينتبه الى أن كل تربة أو مسجد أو مدرسة أو خانقاه أو مؤسسة بنتها خاتون أي سيدة تسمى خاتونية وبدمشق والصالحية الكثير من المعاهد التي بنتها الخواتين في العهدين الاتابكي والأيوبي وأوائل المملوكي من أمثال الخاتون الاتابكية والماردانية والحافظية والقيمرية وزمرد خاتون وعصمة الدين خاتون زوجة نور الدين محمود ثم من بعده صلاح الدين وعصمة الدين خديجة خاتون وست الشام والصاحبة ربيعة خاتون أختا صلاح الدين والملك العادل بن أيوب والملكة هدية خاتون والخاتون المغنية وأم الملك الصالح وغيرهن .

وما يقصده بدران هنا هو مدرسة خديجة خاتون ابنة السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل بن أيوب المعروفة باسم المرشدية فالخاتونية والمرشدية هنا اسمان لمعهد واحد تقع المدرسة (أو التربة أو الزاوية) الفرنثية الى الغرب منه .

* * *

والخلاصة انه لا وجود لهذه المدرسة الخاتونية البرانية بين المسجدين رقمي ٢٣٠ و٢٦٧ الواردين بخريطة الاستاذ وهما مسجدا المدرستين الفرنثية والمرشدية .

وأما الخاتونية البرانية التي يعنيها العدوي ومسجد الخاتونية الذي يشير اليه ابن كنان فيقع كل منهما في مكان آخر سيعده الاستاذ عند اتمام البحث .

الخطأ الثاني : في اثبات أن المدرسة الأتابكية ليست هي المدرسة الخاتونية البرانية :

اذا كان الاستاذ أسعد قد اطمأن الى خلق موضع للمدرسة الخاتونية البرانية بين قبة الفرنثي والمدرسة المرشدية بجادة بين المدارس فلا ندري كيف تكون هذه المدرسة هي المدرسة الأتابكية أيضاً ؟

يقول الاستاذ في الحاشية رقم ٣ صحيفة ١٣٠ تعليقاً على قول ابن عبد الهادي (نقلاً عن ابن شداد) . « الخامس : تربة خاتون بالجبل » ما نصه :

« هي الخاتون بنت نور الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن أتابك زنكي والدة

شارع المدارس : دمشق
من اليمين : قبة الكرسي والمدرسة المرشدية ومأذنتها
والمدرسة الاشرفية والمدرسة الاتابكية ومأذنتها

دمشق : تربة عصمة الدين خاتون

المدرسة الأتابكية بالصالحية التي كانت زوجة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل ابي بكر ابن أيوب ووقفت مدرستها وتربتها بالجبل».

وقد رأينا الأستاذ عند كلامه على المسجد رقم ٨٢ بالذيل وهو مسجد المدرسة الخاتونية البرانية» التي كانت باقية الى زمن ابن كنان» يشير الى هذه الحاشية نفسها رقم ٣ بصحيفة ١٣٠ مما يدل على انه يعتقد ان هذه المدرسة التي يشير اليها ابن كنان وان تربة خاتون بالجبل التي يذكرها ابن عبد الهادي هما هذه الأتابكية التي بنتها زوجة الملك الأشرف وجعلت تربتها بها

فاذا علمنا أن المدرسة الأتابكية (ويسميها العامة بدمشق التابكية أو التابتية) بجادة بين المدارس تقع شرقي دار الحديث الأشرفية ومكانها معروف مشهور ولها مأذنة مربعة ضخمة فلا ندري كيف يمكن في الوقت نفسه أن يضعها الأستاذ بين المدرسة المرشدية وزاوية القرنفلي ؟

والظاهر ان الأستاذ كان متسرّعاً في كتابته هذه الحاشية فاننا لا نجده يشير اليها عند كلامه في الذيل عن المدرسة الأتابكية صحيفة ١٩١ بل يكتفي بالاشارة الى الهامش رقم ٣ ص ١٥٦ غير أن التوفيق قد خانه أيضاً في هذه المرة فقد وضع هذه المدرسة الأتابكية غربي المرشدية ودار الحديث الأشرفية وعزا ذلك الى النعيمي والحقيقة ان النعيمي يقول في باب المدرسة الأتابكية ج ١ ص ١٧١ وكذلك العلموي ص ١٦

المدرسة الأتابكية : غربيها المدرسة المرشدية ودار الحديث الأشرفية .

ويذكر الأستاذ تاريخ وفاة هذه السيدة الأتابكية في هذه الحاشية سنة ٧٤٠ والحقيقة انه سنة ٦٤٠ كما عاد وذكره بالذيل بصحيفة ١٩١ وكان من الممكن أن يشير اليه في باب التصويبات بآخر الكتاب ان كان من سبيل الخطأ المطبعي ، ولكن الذي نعتقده أنه اعتمد على الرواية الخاطئة في منادمة الأطلال ج ١ ص ١٠٤ ومختصره المخطوط لبدران فصل المدرسة الأتابكية أو على ما نقله النعيمي عن الصفدي الذي انفرد بذكر تاريخ وفاتها في ربيع الأول ٧٤٠ وان كان النعيمي قد حرص على تصحيحه فنقله مصححاً ٦٤٠ عن العبر للذهبي . ولو انتبه الأستاذ قليلاً لهذا الأمر لادرك أنه ليس من المعقول أن يتوفى الملك الأشرف موسى سنة ٦٣٥ وتتأخر وفاة زوجته تركان خاتون الأتابكية عنه — وهي صاحبة هذه المدرسة — الى سنة ٧٤٠ أي بعد وفاته بنحو ١٠٥ سنوات .

ونتيجة ذلك ان المدرسة الأتابكية ليست هي الخاتونية البرانية التي يعنيها العلموي ويذكرها الأستاذ بالذيل تحت رقم ٨٢ وليست هي التي يقصدها ابن شداد وابن عبد الهادي بقوله « الخامس مسجد تربة الخاتون بالجبل » . ولا يمكن ان يكون موقعها بين

قبة القرني والمدرسة المرشدية لتجاور البنائين بل وانتصاقهما .

الخطأ الثالث : نعود الى ما نقله الأستاذ أسعد عن العلموي خاصاً بمسجد الخاتونية البرانية ذي الرقم ٨٣ بالذيل ص ٢١١ ونصه :

« قال العلموي أول من هدمها (أي المدرسة الخاتونية البرانية) ونقل رخامها الى مدرسته سيباي » اهـ .

ومعنى ذلك أن هذه المدرسة ذات الرقم ٨٢ التي اخترع الأستاذ وجودها بين زاوية القرني والمدرسة المرشدية بصالحية دمشق كانت موجودة في هذا الموضع الى أن هدمها الأمير سيباي كافل دمشق وآخر حكامها من قبل السلاطين المماليك قبل الفتح العثماني للشام ومصر .

وهذا خطأ فاحش كنا نربأ بالاستاذ أسعد طلس أن يقع فيه لأن هذه الخاتونية البرانية التي عناها العلموي والتي نقل رخامها سيباي أمير دمشق وبانيها لم تكن تقع بين هذين الأثرين المتلاصقين .

كما أنها ليست هي المدرسة الأتابكية كما ظنّ الأستاذ خطأ . ولا علاقة لها « بمسجد تربة الخاتون بالجبل » الوارد ذكره بص ١٣٠ وحاشية رقم ٣ بهذه الصحيفة كما خيل للاستاذ.

بل لا علاقة لها بالصالحية أصلاً ولا توجد بها ويكفي ذكر كلة بالجبل في تحديد موقع « مسجد تربة الخاتون » لانتفاء أن يكون هذا المسجد الذي بالجبل هو نفسه مسجد الخاتونية البرانية الذي عناه العلموي بعبارته السابقة .

ونتقدم نحن الآن لايضاح حقيقة ما قصد اليه العلموي من أمر هذه المدرسة فنقول : ان هذه المدرسة الخاتونية البرانية هي المدرسة الحنفية التي أوقفتها زمرد خاتون أم شمس الملوك أخت الملك دقاق المتوفاة سنة ٥٥٧ هـ بالمدينة المنورة والمدفونة بالبقيع الغرقد .

يقول أبو البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري الدمشقي من علماء القرن التاسع في كتابه نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٧٦ — ٧٧ :

« المنيبع محلة وسويقة وحمام وأفران وبها مدرسة الخاتونية وهي من أعجب الدهر يمر بصحنها (نهر) بانياس ونهر القنوات على بابها ولها شبابيك تطل على المرجة وبها ألواح الرخام لم يسمح الزمان بنظيرها وعدة (من) خلاوي الطلبة . وبجوارها دار الأمير الأصيل (ابن منجك) رحمه الله تعالى . . . . وهذه المحلة من محاسن دمشق . اهـ .

ونقل الشيخ عبد القادر بدران في مطول المنادمة المخطوط بالجزء الاول ص ٢٢٦ ومختصره المخطوط أيضاً عن ابن المزلق في تحفة الأنام مثل ما رويناه . . . . وقال :

« والخاصل ان هذه المدرسة كانت بالشرف القبلي ثم اندرست وذهبت » اه

وقال ابن كثير ج ١٢ ص ٣١٨ .. « كان يعرف ذلك المكان بتل التعالي » اه

وقال الصفدي : « وهذه المدرسة بأعلا الشرف القبلي »

وقال العلموي في مختصر الدارس المخطوط ص ٥٦ :

هذه الخاتونية هي شمالي نهر بانياس مطلة على الميدان الأخضر وكانت قبلة بمأذنة وبئر الى آخر وقت الجراكسة وأوائل الدولة العثمانية وأول من خربها وأخذ رخامها ومن جملته رخام المحاريب سيباي ووضع ذلك بمدرسته الكائنة بباب الجابية الملقبة بجمع الجوامع .. اه

وفي مخطوط الدارس للنعيمي فصل مطول عن هذه المدرسة بالجزء الاول ص ٣٣٣ وما بعدها ... ومنه يتضح ان تاريخ وقف هذه المدرسة هو سنة ٥٢٦ هـ وان زمرد خاتون أوقفتها على الشيخ ابي الحسن علي البلخي وهو اول من ذكر الدرس بها ... الخ

***

هذه هي المدرسة الخاتونية البرانية التي عناها العلموي وهي كما قال صراحةً تقع « شمالي نهر بانياس » وتطل على الميدان الاخضر فأين الميدان الاخضر من سكة بين المدارس بالصالحية ؟ وأين الشرف القبلي جنوبي بردي من جبل قاسيون بأقصى شمالي المدينة ؟

وأين زمرد خاتون المتوفاة سنة ٥٥٧ هـ والتي أوقفت مدرستها سنة ٥٢٦ هـ من تركان خاتون الاتابكية المتوفاة سنة ٦٤٠ هـ ؟

ان على الأستاذ أسعد أن يتفضل بإجابتنا مشكوراً عن هذه الاسئلة جميعاً .

وقد سميت هذه المدرسة بالخاتونية نسبةً للخاتون أي السيدة التي بنتها وسميت البرانية لوقوعها على الشرف القبلي جنوبي نهر بردي خارج أسوار المدينة ويمتد هذا الشرف كما شاهدناه من شارع النصر المسمى سابقاً شارع جمال باشا حتى طريق المزه غرباً. وقد كان من نزه دمشق لارتفاعه واشرافه على نهر بردي الذي يجري بينه وبين الشرف الشمالي . وقد كان يزخر بالمساجد والمدارس وكانت جميع المدارس الموجودة به يطلق عليها لفظ البرانية أي الواقعة خارج الأسوار كالمدرسة الظاهرية البرانية التي بناها الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي والخانقاه النجيبية البرانية التي انشأها جمال الدين أقوش النجيبي والمدرسة الأسدية البرانية التي انشأها أسعد الدين شيركوه وغيرها .

الابنية — القاهرة

السيد محمد رجب

سر المريخ

اقترب المريخ من الارض في سنة ١٩٣٩ ، فجدد عناية الفلكيين به . ذلك بان المريخ من جيران الارض الاقربين في النظام الشمسي . والمريخ ، ولو انه يقترب من الارض في كل خمس وعشرين سنة ، الا أن مقدار اقترابه منها يختلف اختلافاً كبيراً تبعاً لغرابة فلكه وتذبذبه ، فيتراوح مقدار اقترابه من الارض بين ٣٥ و ٦٣ مليون ميل . أما أنسب الاوقات التي تلائم رصد هذا السيار فتقع في فترات تقع بين ١٥ و١٧ سنة . فقد اقترب المريخ من الارض في ٢٣ من اغسطس سنة ١٩٢٤ حتى صار على ٣٤٫٦٣٧٫٠٠٠ ميل منها ، وهي أقل مسافة يمكن أن تفصل بين سيارين من سيارات النظام الشمسي . وفي شهر يولية من تلك السنة كان بعده عن الارض لايتجاوز ٣١٫٠٢٢٫٠٠٠ ميل ، وبعد سبعة عشرة سنة سيعود المريخ الى هذا الموضع ثانية .

لا تقوى المقارب[1] الحديثة على استجلاء أشباح على سطح المريخ يقل امتدادها عن ٢٥ ميلاً ، حتى لو بلغ قرب المريخ من الارض مبلغه في سنة ١٩٢٤ ، لهذا كان البحث عن وجود آثار للحياة هناك أمراً استنتاجي ، وعسانا به يكون بالواسطة لا بالاصالة . ولوجود الحياة في المريخ علاقة كبيرة بدرس الحالات الطبيعية القائمة فيه . ولقد نجح الفلكيون في معرفة الكثير من هذه الحالات ، غير ان بحوثهم الحديثة لم تقربنا من حل ذلك اللغز . فتركنا بحوثهم حيث كنا منذ ربع قرن مضى

ان الصور الضوئية التي استخدمت فيها الاشعة الدونيحمراء[2] والفوفينفسجية[3] التي حصل عليها (رايت)[4] في مرصد (ليك) بكاليفورنيا سنة ١٩٢٦ ، قد أثبتت أن للمريخ جواً ينتشر عدداً فوق سطح السيار مئتين ميلا . والتحليلات الطيفية[5] التي قام بها آدمس[6] وسان جون[7] ودنهام[8] في مرصد جبل ويلسون ، قد أبانت من أن

(١) Telescopes (٢) Infra-red (٣) Ultra-violet (٤) Wright (٥) Spectroscopic analysis
من الاضواء المنبعثة من النجوم الثوابت والسيارات لمعرفة حقيقة المواد التي تتكون منها
(٦) Adams (٧) St. John (٨) Dunham

جو المريخ يحتوي بخاراً نسبته ثلاثاً في المئة من كمية البخار الذي يحتويه جو الارض ، وبه اوكسجين أقل واحداً في المئة من الاوكسجين الذي في جو سيارنا

والقياسات الحراريكهربية[1] للاشعاع المريخي التي عملت في مرصدي لويل وجبل ولسون قد أثبتت ان حرارة الظهيرة في منطقة الاستواء المريخية تتراوح بين ٣٠ و ٨٠ درجة فرنهايت ، تبعاً لاقتراب السيار من الشمس أو بعده عنه . والدهان العالي الدائم الذي ينبعث من جو المريخ يتزع بنا الى القول بأن انخفاض درجة الحرارة الى حد الجليد ، لا بدَّ من أن يقع وشيكاً في سطح هذا السيار بعد غروب الشمس مباشرةً ، حتى في أصد المناطق انخفاضاً . ووفقاً لذلك قضى الفلكيون بأن جارنا المريخ ليس موافقاً للحياة على الصورة التي نعرفها . ولكن مثل هذا القول لا يحل المشكلة ، ولا يخرجها من مجال البحث .

قد يرد الى ذهننا سؤال : لماذا يتجه فكرنا الى المريخ كلما جدَّ البحث عن الحياة في اجرام السماء ، وما المريخ الاَّ كرة صغيرة من آلاف الكرات المنثورة في الفضاء ؟ هنالك أسباب كثيرة ، ولكن أهمها هو موقع المريخ من النظام الشمسي ، إذ هو السيار التالي للارض من حيث البعد عن الشمس ، وموقعه هذا يجعل رصده أهون وأجدى من رصد غيره . ولكن ما بال الزهرة Venus وهي قد تقترب من الأرض فتصير منها على بعد لن يصل اليه المريخ ؟ ولكن للمريخ ميزة على الزهرة . ذلك بأن الزهرة قريبة جداً من الشمس فوقتها غير ملائم لظهور الحياة . ناهيك بأنها مهما اقتربت من الأرض فانها لا ترينا الاَّ وجهها المظلم ، أي الذي لا تقع عليه أشعة الشمس ، ولا تسمح للمقارب[2] أن ترى غير هذه الناحية منها . أضف الى ذلك أن عطارد والمريخ هما السياران الوحيدان في النظام الشمسي اللذان يمكن الفحص عن سطحهما . فان غيرهما من السيارات مغلفة بغلالة سميكة من السحب تحظر في جوها بحيث لا يمكن اختراقها الى السطح بحال .

عُطارد قريب جداً من الشمس ، بحيث لا يمكننا أن نتصوَّر وجود أي صورة من صور الحياة فيه على ما نعرف من خصائصها . ان حرارة عطارد بالنسبة الى قربه من الشمس تكفي لصهر الرصاص ، وهذه الحرارة تتناوب على وجهيه سنة بعد أخرى . وهو يتوجه الى الشمس بنصف كرته سنة ، وسنة أخرى بنصفه الآخر . فالنصف الذي يتعرَّض الى الشمس تشويه الحرارة شيًّا ، حتى لقد يصبح سطحه في حرارة الرصاص المذاب . أما

(١) Thermo-electric (٢) Telescopes

النصف الذي لا يكون معرَّضاً للشمس فيكون في ظلام دامس ، وتهبط حرارته حتى تبلغ ٤٥٠ درجة تحت الصفر . فلم يبق إذن غير المريخ من سيار يتوجه نحوه أهل الأرض بالبحث عن آثار الحياة .

دورة المريخ من حول الشمس تجعل فيه فصولاً إقليمية كفصول الأرض . ولا شك في أن هذه الفصول أبرد من فصول الأرض لبعد السيار عن الشمس . وهي أطول مدًى لأن سنة المريخ سنتان أرضيتان تقريباً . وإذا كان في المريخ أقاليم ينبت فيها الزرع وهي تستمد طاقتها الحيوية من حرارة الشمس ، فلذلك نتوقع أن سطحه يكون عرضة للتغيرات الموسمية . ذلك بأن الزرع على سطح الأرض إذ يزدهر في الربيع ، ويصيبه السبات في الشتاء ، فان حاله يكون كذلك في السيارات الاخرى ، بأن يجري على دورات من الازدهار والسُّبات ، إذا تعرَّض لحالات تشابه حالات الارض .

ونحن إذ نرى المريخ يضيء كأنه نجم أحمر اللون في السماء في أثناء الليل ، نظن أن هذا اللون هو لون سطحه الحقيقي . ان اللون الاحمر يستغرق ثلثي حجم المريخ ، في حين أن الثلث الآخر هو عبارة عن بقع سود كبيرة وصغيرة متفرقة على سطحه هنا وهناك ، كما انها تختلف شكلاً ومثلاً ، وهي فوق ذلك متغيرة غير ثابتة .

فاذا تقدم النصف الشمالي من المريخ نحو الربيع فان معظم مساحته تلبس لوناً أزرق الى الخضرة . ويكون هذا اللون باهتاً خائلاً أول الامر ، ثم يشتد شيئاً بعد شيء ويستمر كذلك الصيف بطوله . فاذا أقدم فصل السُّبات أخذ ذلك اللون الازرق المخضرّ في الزوال تدريجاً ، حتى اذا أناخ الشتاء على تلك الاصقاع استحال الى الدكنة . ذلك في حين أن البقع السود في النصف الجنوبي تجري على نفس هذه الدورة ، ولكن باختلاف في زمن الاكتساء باللون . فالزرقة في الشمال تقابلها دكنة في الجنوب ، والدكنة في الجنوب تقابلها الزرقة في الشمال . وهذه الدورة مستمرة التناوب في مناطق المريخ .

من الجائز ان الانسان يستطيع أن يعلل هذه التغيرات بحيث يردها الى آثار غير عضوية ، ولكن أهون تعليل وأكثر التعليلات مسايرة للمنطق هو القول بأن هذه البقع السود انما هي مساحات واسعة يكسوها الزرع . ويكاد الفلكيون يجمعون على هذا القول .

ولكن ماذا يقول العلم عن ذوات عاقلة في المريخ؟ إنه لا ينكر ولا يقرر ، لا يثبت ولا ينفي .

الارواح

أبى حضرة الفاضل الأستاذ نقولا الحداد إلا أن يكتب مرة أخرى في موضوع الروح معارضاً حقيقة تحضير الأرواح منكراً أن للانسان روحاً . الأستاذ نقولا الحداد يرى أن شخصه آلة تحركها وتسيرها تفاعلات كيميائية الى آخر ما قال . وهو لا يعترف بروح أو نفس ، ويعتمد في كل ذلك على ما قرأه هو وتلقاه من كتابات علماء القرن التاسع عشر ومن ردّدها من علماء القرن العشرين . وهو يدعي في جرأة غريبة أنه اطلع على مؤلفات جينز وأينشتين وادنجتون (وهم من هم بلغته الفصحى تجينز وأينشطين وإدنغتون) بل لقد قال إنه اطلع على مؤلفات غير هؤلاء من أمثال بلانك وسير أوليفر لودج ... الخ . وقال في جرأة أشد وأغرب « ولم أر أنهم نادوا بانهيار مذهب آلية الكون قطعوا الكون المادي تحطيماً » وأنكر أن الكون المادي تبخر في ضوء علم الفيزيقا الحديثة ، وتهكم على ذلك بقوله « نعم لم يصل هذا الى علمي لأنه لا هو (يريد أني أنا) ولا أنا تحطمنا وتبخرنا مع أننا نحن من الكون المادي » . أرأيت الباقة والحجا ؟ ! ومضى يستنتج في منطق غريب أني أعني « أن المادة غير موجودة وان الروح وحدها موجودة » مع اعترافه بأني قلت إن الروح مادة . وطلب أن أرشده إلى مؤلف يتبسط في هذا الموضوع . ولما جئت له بكلام اينشتين الذي يعترف فيه بوجود الأثير ، عاد فاستدرك انكاره هو قائلاً انه اطلع « على بعض ما كتبه اينشطين » مع أن الأستاذ نقولا هو مؤلف كتاب « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية » وكان يوم أصدر هذا الكتاب ، يسمي صاحب نظرية النسبية أينشتين لا أينشطين .

ولما أن الأستاذ نقولا الحداد لم يطلع على مؤلفات جينز وأينشتين وادنجتون الخ . أو انه اطلع عليها كلها أو بعضها ولم يفهمها فاليه الدليل : —

أولاً — عن اعلامة جينز ونبدأ بالكتب التي ذكرها مؤلف كتاب « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية » في ثبت المراجع التي استعان بها في التأليف .

١ — في كتاب « الكون الغامض » ترجمة وزارة المعارف وقد قام بها زميلي الأستاذ عبد الحميد حمدي مرسي يوم كان وكيلاً لادارة الترجمة ، وواجع الترجمة اعلامة الدكتور مشرفة بك عميد كلية العلوم — نرى المؤلف يقول « وعندما حاول العلماء منذ مائة عام أن يفسروا العالم تفسيراً آليًا لم يتبر لهم رجل حكيم يؤكد لهم أن النظرة الآلية لا بدّ من أن يخطئها

التوفيق في آخر الأمر ، وان الظواهر الكونية لن يكون لها معنى إذا لم تعرض عرضاً رياضيًّا بحتاً » . الى أن قال «وها قد بدأ الكون يتضح مما في خلق الكون نفسه من دليل أن مبدع الكون الأعظم عالم من علماء الرياضة البحتة » . ولما علق على فلسفة باركلي القائلة بوجود روح أبدي خالق قال «وسواء أكانت الأجسام موجودة في عقلي أم في عقل أي روح من الأرواح المخلوقة الأخرى أم لم تكن، فان شيئيتها تنتج من وجودها في عقل روح أبدي». وقبيل ختام هذا الفصل الأخير في الكتاب قال « بدأ الكون يلوح أكثر شبهاً بفكر عظيم منه بآلة عظيمة » .

٢ — وفي كتابه « الكون الذي حولنا » نراه بعد استعراضه بعض الآراء الفلسفية الخاصة بتصوير الكون يقول : ان هذا يقربنا كثيراً الى تلك المذاهب الفلسفية التي تعتبر الكون فكرة في عقل خالقه ، وبذلك يختزل جميع النقاش بالخليقة المادية الى سخف عديم الاعتبار »

٣ — وفي كتابه « الوراء الجديد للعلم » يقول : « كان رأينا الأخير في الطبيعة قبل شروعنا في أن نخلع عنا نظاراتنا الآدمية أنها خضم من الآلية يحيط بنا من جميع الجهات . ولكنا حين بدأنا نخلع بالتدريج نظاراتنا وجدنا المدركات الآلية تتداعى مخلية الطريق للمدركات العقلية ... الخ » .

هذا ما جاء في الكتب التي استشهد بها صاحب « هندسة الكون » . أما عن التي لم يستشهد بها من مؤلفات جينز فاليه ما يلي : —

٤ — في كتاب « علم الفلك وعلم تكوين العالم » نرى جينز قد ختمه بهذه العبارة : « لنعلم إذاً أن الجنس البشري في بداية وجوده ، فهو اذا قسناه بمقياس الزمن الفلكي لايكون قد عاش إلا بضع لحظات قصار ، وأنه قد بدأ ينظر الى الكون الخارجي عنه هو نفسه . وإخال أنه يكاد يكون من المتعذر عليه أن يفسر ما يحيط به تفسيراً حقيقيًّا في تلك اللحظات القليلة الأولى التي منها تفتحت عيونه » .

٥ — فلما تفتحت العيون تكلم جينز في كتابه « الفيزيقا والفلسفة » الصادر سنة ١٩٤٣ صراحة على انهيار المذهب الآلي في الفصل الرابع وعنوانه « انقضاء العصر الآلي The Passing of the Mechanical age » وفي الفصل الأخير الذي عنوانه « بعض مسائل الفلسفة » نرى جينز تحت عنوان فرعي هو « المظهر والحقيقة » يقول : « إن عالم المادة يتألف من عالم الشهادة كله ، ولكنه لا يحتوي على عالم الحقيقة كله . ويصح أن نقول إنه مجرد مقطع في عالم الحقيقة » .

ثانياً — عن العلامة ادنجتون وقد استشهد الاستاذ بقولا بمؤلفاته .

١ — في كتاب « طبيعة العالم الفيزيقي » نرى ادنجتون قد استهله بفصل عنوانه « انهيار الفيزيقا الكلاسيكية » تحدّث فيه عن تكوين الذرّة فقال في الصفحة الأولى « اذا نحن محونا كل الفضاء الخلاء في جسم الانسان وجمعنا بروتوناته والكتروناته لتكون كتلة واحدة، فان الانسان يختصر الى هباءة تكاد لا ترى إلاّ بمنظار مكبر » .

٢ — وفي كتابه « المسالك الجديدة في العلم » نرى ادنجتون قد تكلم في الفصل الاخير كلاماً صريحاً عن « طبيعة الانسان الروحية » وعن « الحقيقة الروحية » منكراً أن الانسان آلة .

٣ — وفي محاضرته المطبوعة عن « العلم والعالم غير المنظور » نراه قد قال « لابدّ لروح الانسان من أن تعود الى العالم غير المنظور إذ أنها تخصه » .

ثالثاً — في كتاب « تطور الفيزيقا » لمؤلفيه اينشتين وانفلد، نرى موضوع الجزء الأول من الكتاب « قيام المذهب الآلي » ونجد موضوع الجزء الثاني منه « انهيار المذهب الآلي » وقد قال المؤلفان في ختام هذا الجزء « إن العلم لم ينجح في المضي بالمنهج الآلي بشكل مقنع ، ولا يوجد اليوم من علماء الفيزيقا من يعتقد في إمكان المضي فيه » .

رابعاً — في كتاب « الكون في ضوء الفيزيقا الحديثة » لمؤلفه العلامة بلانك نراه قد ختمه بهذه الجملة « ان الفيزيقا الحديثة تقرّر لنا بشكل خاص صدق المذهب القديم القائل بأن هناك حقائق ليست في متناول مدركاتنا الحسية ... الخ » . وبلانك هذا من العلماء الذين قرأ الاستاذ نقولا لهم !

خامساً — في كتاب « تركيب الطبيعة » لمؤلفه العلامة أندريد أستاذ الفيزيقا حالاً بجامعة لندن نراه قد صدّر الفصل الأول الذي عنوانه « ما الفيزيقا » بهذه الجملة : « إن من واجب الفيلسوف أن يفكر في الطبيعة العامة للأحداث المادية والروحية التي منها تتألف حياة الانسان » .

سادساً — لم يكشف العلم بعد شيئاً يصح أن يقال انه جامد ميت حتى لقد قال العلامة هوايتهد في كتابه « العلم والعالم الحديث : « إن الذرّة حوّلت نفسها الى كائن حي ... »

سابعاً — يقول العلامة السيكولوجي يونج في كتابه « الانسان الحديث يبحث عن نفس » وفي الباب الذي عنوانه « مسألة الانسان الحديث الروحية » ما يأتي : « وحتى الفيزيقا قد بخرت عالمنا المادي ، وإذاً فلا عجب اذا عاد الانسان الحديث فتصق بحقيقة الحياة الروحية مترقباً منها ذلك التثبت الذي أنكرته الدنيا عليه » .

مما مضى يتضح كيف نادى العلماء الذين استشهد بهم أستاذنا نقولا الحداد بانهيار المذهب الآلي ، وفي هذا المعنى تبخر الكون المادي وتحطم بصاحب « هندسة الكون » !

وغريب من أستاذنا أن يستشهد بكتاب « الأثير والحقيقة » لمؤلفه سير أوليفر لودج، لا لأن هذا الكتاب يعترف صراحة بوجود الأثير ، بل لأن أوليفر لودج هذا من أساطين الروحيين . ففي كتبه « ما وراء الفيزيقا » و« رعموند » و« فلسفتي » قد نادى بالروح وبالحياة بعد الموت وبامكان الاتصال بأرواح الموتى . وفي خطبة له ألقاها سنة ١٩٤٠ قبل وفاته بشهور في قاعة برأوننج في ولورث قال يخاطب الحاضرين « أقول لكم اننا باقون بعد الموت ، والتواصل بين الأحياء والموتى ممكن . ولقد أثبت أن الذين اتصلوا بنا هم حقيقة نفس من قالوا انهم هم . والنتيجة أن الحياة بعد الموت من الوجهة العلمية قد أثبت البحث العلمي صحتها » .

وأعود فأقول إن الروح مادة لا تستجيب لها المشاعر ، وهل تستجيب المشاعر للكهارب التي هي أصل المادة ولبناتها ؟. ولقد صوّرت الروح في كمبردج وفي المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن ، وفي المانيا وفي الولايات المتحدة وكندا وغيرها .

وتوجد كتب كثيرة جداً تبحث في تصوير الارواح وتجسيدها وتسجيل اصواتها المباشرة واكتفي أن أحيل الاستاذ نقولا الحداد الى الكتب الآتية :

ا — « ظواهر التجسيد » لمؤلفه الألماني العلامة فون شرنك نوتزنج استاذ البيولوجيا في جامعة ميونيخ

ب — « تصوير غير المرئي بالفوتوغرافيا » لمؤلفه الدكتور كونس

ج — « تجارب في العلم الروحي » لمؤلفه العلامة واريك

د — « خمسون من سني البحث الروحي » لمؤلفه العلامة هاري برايس سكرتير مجلس جامعة لندن للبحوث الروحية وقد صدر هذا الكتاب بصورة فوتوغرافية لروح متجسدة يعد نبضها أحد اطباء كلية الجراحين بلندن وقد التقط الصورة العلامة السر وليم كروكس

ه — « التجسدات » لمؤلفه هاري بودنجتون وفيه صورة السير وليم كروكس وهو متأبط ذراع روح متجسدة

و — « موسوعة العلم الروحي » لمؤلفها الدكتور فاندور فودور

ز — « أنباء من العالم الثاني » لمؤلفه القس المحترم تويديل وفيه صور عديدة من بينها صورة فوتوغرافية لروح سير وليم كروكس وبجوارها صورة فوتوغرافية له صورت قبل وفاته

ح — « وساطة جاك وبر » لمؤلفه هاري ادواردز وفيه صور لمختلف الظواهر التي

تحت في كمبردج مصورة بالأشعة تحت الحمراء ومن بينها صورة للوسيط الواقف في الغيبوبة ظهرت معها صورة زوجه المتصلحة منه

ط — « الحياة الآن والى الابد » لمؤلفه الدكتور وزعيم كلية العلوم والبحوث الروحية في الولايات المتحدة

ي — « المسألة الكبرى » لمؤلفه الطبيب البارع الدكتور جورج لندسي جونسون

وسواء كان العلم الروحي هو Spiritism أو Psychical Research فان المشاهد الروحية والعقلية أثبتت وجود الروح بالبرهان العلمي. ولقد وصل العالمان الهولنديان الدكتور فان زلست والدكتور مونطا الى وزن الروح بجهاز خاص ابتدعاه اسمه « الدينا مستوجراف » وتجد صورة لهذا الجهاز في كتاب « تجارب معملية في الظواهر الروحية » لمؤلفه العلامة السيكولوجي الدكتور هيريوارد كارنجتون أحد أعضاء لجنة التحكيم في المباراة الخيالية التي أقامتها مجلة « سينتفك أميركان ».

وأؤكد لسيدي الأستاذ نقولا الحداد أنه لا يساير الحركة العلمية العالمية وعلى الأخص في البحوث الروحية، وأتحداه أن يذكر لي أسماء خمس كتب فقط قرأها من كتب العلم الروحي الحديث ظهرت في السنين العشر الأخيرة لأساتذة جامعيين. بل انه لا يتابع الحركة العلمية العالمية في الفيزيقا، وبرهاني على ذلك انه وهو مؤلف كتاب « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية » لم يكن قد عرف حتى فبراير من سنة ١٩٤١ كيف أن الجسم اذا تحرك بسرعة الضوء انكمش الى حيز العدم، على حين تزيد ملدته الى ما لا نهاية. فقد كتب في مقتطف فبراير سنة ١٩٤١ بعد ما قرأ كتابي « الفيزيقا الحديثة » يطلب تعليلاً لما سماه « التناقض العجيب » في نظرية النسبية. وأرجو أن لا ينسى قرائي أنه مؤلف كتاب « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية ». وقد أوضحت له في مقتطف ابريل سنة ١٩٤١ أنه لا تناقض البتة، وذلك لأننا نهمل في بحوثنا المادية كل ما يتعلق بغير المدرك من مشاعرنا، وضربت له على ذلك الأمثال.

ويأبى الأستاذ نقولا للحداد الاّ أن يكون مفرداً علاّ له مصطلحاته العلمية الخاصة. ذلك أنه في كتابه « هندسة الكون » اختار مصطلحات غريبة غير المصطلحات المتعارفة المفهومة في مدارسنا ومعاهدنا العلمية، وكلياتنا الجامعية. مثال ذلك « الاستمرارية والمسارعة » يريد بهما « القصور الذاتي والعجلة » و « الجو الكهربي والجو المغناطيسي » يريد بهما « المجال الكهربي والمجال المغناطيسي » و « قوة الشرود من المركز » يريد بها « القوة المركزية الطاودة » و « القوة energy » يريد بها « الطاقة » و « الزمكان » يريد « التضارمن ». ذكرت هذا لأنه

استغرب المصطلح « الفترات الفضازمنية Space-time intervals » ويكفي أن أقول إنه في الترجمة العربية التي قامت بها وزارة المعارف لكتاب « الكون الغامض » سالف الذكر قد أختير المصطلح « الفضاء والزمن » مقابلاً المصطلح space-time .

***

ونعود الى الحادث الذي أثار هذه المناقشة وهو حادث رؤيا رفعة حسنين باشا ، فنؤكد له أنه حقيقي ، وأن رفعة حسنين باشا لم يكذبه حتى بعد أن طلب الاستاذ نقولا الحداد في المقتطف وفي التعليل الذي نشره المقتطف لنا حوادث مشابهة . وأما القول بأن الحادث وهم وخداع فهروب من التعليل بشكل لا يليق بمؤلف كتاب « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية » وإن يكن هذا الهروب بذلك الشكل المضحك لا يمكن أن يضاهي بما سماه « التناقض العجيب » في نظرية النسبية ! !

ونسأل أستاذنا الكبير نقولا الحداد أن يعلل لذلك الحادث الذي وقع لسعادة الدكتور نجيب محفوظ باشا وقد أنبأنا به حضرة الطبيب الفاضل الدكتور مصطفى عمراوي بك . وخلاصة ذلك الحادث ان الدكتور نجيب باشا دعي مرة لتوليد إحدى الاميرات ، وكانت الولادة عسرة . ومكث شطراً كبيراً من الليل يجاهد حتى تعب ، فجلس ليستريح ، فأخذته سنة من النوم ، فرأى في منامه المرحوم والده يبشره بأن الاميرة قد وضعت ويدعوه أن يتم اجراءات الولادة . فاستيقظ الدكتور على الفور ، واذا به يجد الاميرة قد وضعت فعلا ، فأجرى الاسعافات اللازمة لها وللمولود . ولما اطمأن ارتدى ملابسه وغادر قصر الاميرة الى داره . فلما دخل داره وجد كريمته يقظى ، وما إن رأته حتى أقبلت عليه وسألته في لهفة قائلة « هل ذهب اليك ؟ » فدهش وقال متجاهلاً « من ؟ » قالت « عمّي » فلقد زارني في الحلم وقال لي إنه ذاهب لكي يبشرك بأن الاميرة قد وضعت » . قال « نعم لقد زارني ونبهني ، وبارك الله لنا فيه حيّا وميتاً » .

هيا علّل لهذا الحادث أيها الصدلاني المتبحر في علوم الارض والسماء ، والمتتبع الحركة العلمية العالمية . هيّا واستفسر أولاً من سعادة الدكتور عن صحة ذلك الحلم ، وحذار أن تنسبه للوهم والخداع والعقل الباطن الذي أنكره جماعة السيكولوجيين وفي مقدمتهم مكدوجل وبونج وفرويد نفسه . وعد الى كتابنا الحديث « السيكولوجيا والروح » ففيه البيان القاطع . ولا محالك إلاّ متفقاً معنا في أن انكارا وخصة باستخدام الاشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية في البحوث العلمية لا تنخدع ، وبنوع أخص إذا أجريت التجارب في كمبردج تحت رقابة علمية شديدة . وجهاز « مخدع ولسن » الذي صورت به

سيول الكهارب ثم صورت به أرواح الحيوانات عند موتها ، لا بدَّ أن يكون صادقاً في الحالتين .

ولقد دقَّ ناقوس البشائر فعلاً بظفر البحث علميًّا بالروح ، ويحق اليوم أن إكباب الاستاذ نقولا الحداد على هندسة الكون واشتغاله بها لم يترك له وقتاً للقراءة والبحث . وانه لواجد البرهان العلمي العملي عند صديقه وزميله الدكتور صابر جبرة كبير صيادلة مستشفى قصر العيني . نعم ليسأله يحدثه كيف أن الارواح أبرأت السيدة حرمه من ذلك المرض المستعصي القاتل Myasthenia Gravis بعد أن عجز الطب والعقاقير عن ابرائها . سله يا سيدي الاستاذ نقولا يحدثك عن الاشعاعات والاضواء الروحية التي كانت تعالج بها . سله يحدثك عن الارواح المعالجة وكيف تيسر لمن معه رؤيتها سواء أكان العلاج عن بعد أم عن قرب . وكذلك سل الدكتور شوقي نخلة طبيب مستشفى الاقصر كيف أبرأته الارواح من أخبث حالات انكهاف العمود الفقري وهو النوع المسمى Syringo-bulbia بعد أن أشرف على الموت ، وهو سيحدثك عن تلك الاضواء التي رآها تنصب عليه . بل سل كذلك حضرة الطبيب الفاضل الدكتور منير الجزائرلي أستاذ الباثولوجيا بكلية الطب بجامعة فاروق الاول عن الارواح التي يراها ، وسله كيف رأى عندما الارواح المعالجة وما تحمل من أجهزة أثيرية تستحدث بها مختلف الاشعاعات . واقرأ يا سيدي عددي مجلة « سايكك أوبزرفر » الامريكية رقم ١٥٨ بتاريخ ١٠ ابريل سنة ١٩٤٥ ورقم ١٦٢ بتاريخ ١٠ يونيه سنة ١٩٤٥ تجد كيف أن طبيباً توفى منذ تسعة عشر عاماً قد تجسد وهو روح أمام أطباء وصحفيين وأجرى عملية استئصال الزائدة الدودية بنجاح في الظلام بغير مبضع الجراح وعقاقير الصيدلي . وأثبت انكشف بالاشعة السينية قبل وبعد العملية وجود الزائدة ثم اختفاءها ثم وجودها في قارورة ملأى بالكحول أعدت من قبل كطلب ذلك الطبيب الجراح الميت الحي . وكان ذلك في البرازيل . وقد كتب قنصل الولايات المتحدة المساعد تقريراً مصوراً نشرته المجلة في العدد التالي المذكور . وأشارت مجلة « سايكك نيوز » التذنيبة الى ذلك في عددها رقم ٦٧٦ بتاريخ ٥ مايو سنة ١٩٤٥ وعادت فذكرت في عددها رقم ٦٨٩ الصادر بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٩٤٥ أن هذا الطبيب « الميت » قد تجسد روحه ثانياً وأجرى عملية أخرى لاستئصال الزائدة الدودية أمام جمهور من بينهم ثمانية من الأطباء نصفهم من الجراحين ، وأن أحد هؤلاء الجراحين ابن ذلك الطبيب الميت . وهذا الطبيب الميت الحي هو الدكتور أمنرال ! !

بقيت مسألة هوديني غفر الله له فأقول لسيدي الأستاذ نقولا الحداد « صحّ النوم ».

عد يا سيدي الى كتاب « ظواهر حجرة تحضير الأرواح » لمؤلفه العلامة الطبيب الدكتور باورز أستاذ الأمراض العصبية في متيبوليس ، وقد نقلنا هذا الكتاب الى العربية ، وفي مجلتي الهلال والعلوم تتضح لك حقيقة هوديني الوسيط الروحي المتساحر . ويجب أن نفرق بين وساطته وشعوذته . ويكفي أن أقول إن لهوديني كتاباً اسمه « ساحر بين الأرواح » كتبه ليهاجم به الروحية ، وقد قال عنه العلامة هاري برايس سكرتير مجلس جامعة لندن للبحوث الروحية في كتابه « خمسون من سني البحث الروحي » إنه « عبارة عن مجموعة حيل وألاعيب لا يجرؤ على استعمالها أي وسيط مدلس خارج مستشفى المجاذيب » .

وفي عدد مجلة « سايكك أوبزرفر » الأمريكية رقم ١٦٠ الصادر بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٤٥ نرى نصاً لمحاضرة أذاعها الوسيط الروحي آرثر فورد من راديو ميامي في فلوريدا عن « الروحية كعلم ودين » . وفورد هذا هو رئيس الجمعية الدولية العامة الروحيين ومدير جمعية فلوريدا الروحية بهوليوود ، وهو الوسيط الروحي الذي فضح هوديني واستحضر روحه بعد وفاته واستخلص منه الرسالة السرية المتفق عليها بينه وبين زوجه مسز هوديني وقد نشرنا بالزنكوغراف اعتراف مسز هوديني بصحة الرسالة مبروراً بامضائها . بل لقد نشرنا اعترافاً لهوديني نفسه قبل وفاته بأنه هو نفسه وسيط روحي . وهوديني هذا لما استغل وساطته لجمع المال والتشهير بالروحية غير عابئ بنصيحة الأرواح المهيمنة عليه هجرته هذه الأرواح وراح ضحية إحدى ألاعيبه الخارقة وكان يجريها في جامعة مكجيل بأمريكا ، فخرج مغلوباً على أمره الى المستشفى ثم الى القبر .

مرة أخرى « صحّ النوم » يا سيدي المساير لحركة العلمية العالمية .

يا سيدي الأستاذ نقولا الحداد ، كان من بين الأساتذة في جامعة وارسو أستاذ له مكانة علمية خاصة هو العلامة أوكوروفكز نِدَّد بالعلامة « سير وليم كروكس حين جهر بآرائه الروحية التي نشرت مطبوعة في كتابه الفذ « بحوث في ظواهر الروحية » . فانظر ماذا قال بعد ذلك . لقد قال : —

« اني حين أذكر كيف أني رميت بالطرق والعياء والحق ذلك الباحث الشجاع كروكس لأنه كان لديه من الشجاعة ما وكد به صدق الظواهر الروحية ، فاني أخجل من نفسي ومن غيري وأصيح من أعماق قلبي : اغفر لي يا أبي : فلقد أجرمت في حق النور » .

احمد فريد أبو الخير

مدير السينما التعاقية بوزارة المعارف

تقسيم
تاريخ مصر القديمة

اعتاد علماء التاريخ المصري القديم أن يقسموه الى عصور رئيسة أطلق على كل منها اسم معين غير اننا لو تعمقنا في دراسة التاريخ وآثاره نرى ان معظم هذا التقسيم الشائع بتسميته غير مطابق للحقيقة والواقع .

فالعصر الأول : يقصد به الفترة التي يرجع تاريخها الى ما قبل الأسرة الأولى وأطلق عليه « عصر ما قبل التاريخ » على أساس أن التاريخ يبدأ عند وجود الكتابة ويعتمد على النقوش المدونة فقط .

على أنه لدينا بلاداً لم تعرف الكتابة قديماً ، وأخرى عرفت الكتابة ولم نستطع قراءتها ، وبالرغم من هذا فلها تاريخ . فتكون الكتابة وتدوين الحوادث اذن ليست الوسائل الوحيدة للتاريخ ، بل هناك وسائل أخرى أساسها علم الانسان ، وعلم الحيوان ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم الآثار . وقد أرشدتنا هذه العلوم جميعاً الى معرفة تاريخ هذا العصر الطويل الذي يبدأ من حوالي سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، كما أن هذا العصر أول قسم نبدأ به تاريخنا لذلك كله نطلق عليه اسم « فجر التاريخ » .

العصران الثاني والثالث : يطلق الأول منهما على عصر الأسرة الأولى والثانية ويسمى بالعصر العتيق . والآخر على عصر بناة الاهرام من الأسرة الثالثة الى السادسة ويسمى باسم الدولة القديمة ، فيقتطع أصحاب هذا الرأي الأسرتين الأولى والثانية بدعوى أن المرجع في تحديد ذلك الى بناء الأهرام .

لكننا نرى أن الدولة القديمة تبدأ من الأسرة الأولى وتستمر الى الأسرة الثامنة أي من حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م . الى سنة ٢٢٤٥ ق . م . لأن بناء الاهرام لا يجب أن يوضع في المكان الأول ويتخذ أساساً لتقسيم دول التاريخ المصري القديم ، وانما التقسيم كان قائماً على التوحيد السياسي للبلاد تحت رعاية ملك واحد ، بعد ان كانت عبارة عن ولايات مفككة ، والذي كان من نتائجه ان أصبحت البلاد جميعها ملتفة حول العرش رمز البلاد . ولقد تمت

وحدة مصر الأولى على يد الملك مينا (نعرمر) أول ملوك الأسرة الأولى حوالي سنة ٣٢٠٠ ق. م ويطلق عليه اسم « عصر الوحدة الأولى » .

العصر الرابع : وهو العصر المتوسط الأول ويشمل الاسرات السابعة الى العاشرة في نظر المؤرخين ولكن أشرنا سابقاً بأن عصر الوحدة الأولى ينتهي بالاسرة الثامنة ونضيف الآن بأنه من الاسرة التاسعة الى منتصف الحادية عشر نطلق عليه اسم « عصر تفكك الوحدة الاولى » وذلك لأن التوحيد السياسي قد تفككت أوصاله في هذه الفترة من ٢٢٤٥ ق . م الى ٢٠٧٠ ق . م

العصر الخامس : يطلق عليه المؤرخون عصر الدولة الوسطى ويشمل من أول الاسرة الحادية عشر الى آخر الاسرة الثانية عشر، ونرى هنا أن الوحدة السياسية قد عادت الى البلاد على يد الملك « نب حبت رع » منتوحبت الثاني حوالي سنة ٢٠٧٠ق . م . أي من منتصف الاسرة الحادية عشر، واستمرت حتى منتصف الاسرة الثالثة عشر (حوالي سنة ١٧٥٧ ق.م) ونسميه عصر الوحدة الثانية »

العصر السادس : ويطلق عليه العصر المتوسط الثاني ويشمل من الاسرة الثالثة عشر الى آخر الاسرة السابعة عشر. ونحن هنا نسميه عصر تفكك الوحدة الثانية من منتصف الاسرة الثالثة عشر الى الاسرة الخامسة عشر أي من سنة ١٧٥٧ ق . م الى سنة ١٧٣٠ق . م وعصر حكم الغزاة الهيكسوس من حوالي سنة ١٧٣٠ ق . م الى سنة ١٥٨٠ . ويشمل من الاسرة الخامسة عشر الى الاسرة السابعة عشر .

العصر السابع : عصر الدولة الحديثة ويبدأ من الاسرة الثامنة عشر الى أواخر الاسرة العشرين . ونحن نسميه «عصر الوحدة الثالثة » من حوالي سنة ١٥٨٠ ق. م الى حوالي سنة ١٠٨٥ ق. م (أي بدأ على يد بطل حرب الاستقلال الملك احمس الاول واستمر حتى عهد رمسيس التاسع) .

وأهم ما نلحظ من مزايا عصور الوحدة القومية بجانب الازدهار في السياسة والحضارة أن ملوك تلك العصور وجهوا نظرهم الى سياسة خارجية خاصة نستطيع أن نقول انها أصبحت سياسة تقليدية لكل ملك قوي يعتلي عرش مصر الموحدة ، أطلعها الخلف عن السلف لدرء الخطر عن أجزاء المملكة المصرية الموحدة تحت عرش ملك واحد . وسنشير اليها مع باقي العصور في مقال آخر بإذن الله .

دكتور باهور ليب
الامين بالمتحف القبطي

سر القنبلة الذرية

كيف تنفجر ومن أين قوتها ؟

قبل أن فوجيء العالم بخبر القنبلة الذرية كان الذي ينفجر في المواد المتفجرة السابقة من بارود وديناميت وكورديت ونيتروجليسرين وترينتروتالين الخ . هو الجزيء molecule أي أصغر جسيم من المادة . وهو مؤلف من عدد من ذرات العناصر بقوة الالفة الكيميائية .

والعامل الاساسي في الجزيء القابل للانفجار هو عنصر النيتروجين على الغالب . لان هذا العنصر شرير لئيم قلما يأتلف مع العناصر الاخرى ائتلافاً مكيناً كما يأتلف مثلاً عنصر الهيدروجين والاوكسجين في تكوين الماء ، أو كما يأتلف الكلور والصوديوم في ملح الطعام الخ . واذا ائتلف النيتروجين مع عنصر ما يكون عرضةً للانفلات منه، إذا طرأ عنصر ثالث أشد ألفةً بالعنصر الثاني . ولا محل هنا للتفصيل .

إذن فالانفجار في المتفجرات المذكورة آنفاً يحدث في الجزيء molecule المركب من ذرات مختلفة . ولكن الانفجار في القنبلة الذرية لا يحدث في الجزيء بل في الذرة نفسها atom

***

ومما هو معلوم في الطبيعة أن الطاقة الكامنة في الجزيئات تعادل قوة التجاذب أو الائتلاف بين الذرات المؤتلفة في الجزيئات . فتي حدث التفكك بينها بسبب التفاعل الكيمائي الذي لا محل لشرحه هنا ظهرت الطاقة من مكمنها قوة شديدة . فاذا انصرفنا عن البحث في انفجار الجزيء الى البحث في انفجار الذرة نفسها ، وجدنا في الذرة ائتلافاً بين عنصريها : الكهرب والكهيرب أقوى جداً من الائتلاف بين عناصر الجزيء الذرية كما سيأتي بيانه .

وهنا أشرفنا على طبيعة الائتلاف في داخل الذرة . هنا نسأل : —

ما هي الذرة ؟

حتى أواخر القرن التاسع عشر أو أوائل هذا القرن العشرين كان العلماء يعتقدون أن الذرة atom هي أصغر جسم في المادة لا يتجزأ — هي الوحدة المادية الكيميية التي تتألف منها كل مواد الكون من تراب وحجر وخشب ولحم الخ . ولكن عنصر من العناصر المادية (التي يبلغ عددها ٩٢ عنصراً) ذرته الخاصة به التي تختلف عن ذرة أي عنصر آخر . ولم

يكن العلماء يعرفون الفرق بين ذرة عنصر وذرة آخر إلا الفرق في الخواص الكيميائية. ولهذا كان علماؤنا قبل هذا القرن يسمون هذه الوحدة المادية « الجوهر الفرد » . ويسمون الجزيء الذي يتركب من الجواهر الفردة المختلفة أي الذرات atoms « دقيقة » molecule والآن قرروا استعمال الذرة والجزيء .

فيما بين القرنين الماضي والحاضر بدت لعلماء البحّاث العمليين ظاهرات جديدة تدلهم على ان الذرة (الجوهر الفرد) ليست أصغر جسيم بسيط تتجزأ اليه المادة . فهي ليست الوحدة المادية في الطبيعة . بل هي نفسها تتجزأ أيضاً الى نوعين من الجسيمات هما وحدتا المادة المؤتلفتين كما سيجيء معنى هذا الائتلاف . كان الكيماوي يقول ان الذرة هي وحدة المادة البسيطة غير المركبة . فجاء الكهربي (نسبة الى الكهرب) يقول : لا . بل الوحدة المادية هي تجاذب كهرب وكهيرب في بطن الذرة نفسها . وهذا التجاذب هو أقوى ألوف المرات من الآلفة الكيميية التي بين ذرة عنصر وذرة عنصر آخر .

أول من تنبه الى ان الذرة ليست جسماً بسيطاً غير قابل التجزئة بل هي مؤلفة من جسيمات أصغر منها هو اللورد روذرفورد في أوائل هذا القرن . فلاحظ أن في الذرة تعبئة كهربائية متعادلة أي ذات طرفين أو قطبين ، موجب وسالب . فسمى القطب الموجب « بروتون » ونحن نسميه بلغتنا « كهربا » وسمّى القطب السالب « الكترون » ونحن نسميه « كهيربا » . ورأى أن ذرات العناصر تختلف بعضها عن بعض بعدد ما فيها من كهارب وكهيربات متساوية في الذرة. فاذا كان في الذرة كهرب واحد فقط كما هو الحال في ذرة الهيدروجين وجب أن يكون فيها كهيرب واحد فقط . واذا كان فيها أربعة كهارب وجب أن يكون فيها أربعة كهيربات كما هو الحال في عنصر الهيليوم . وفي ذرة الذهب ١٩٧ كهربا ومثلها كهيربات . وهلم جرّا .

ثم جاء الدكتور بوهر Bohr الدانوكي فبرهن على أن الكهارب تتوسط الذرة كنواة في مركزها . وان بعض الكهيربات تقيم معها في النواة والبعض الآخر تدور حول النواة على بعد منها في فلك أو أفلاك كما تدور السيارات حول الشمس . فالذرة في يقينه كالنظام الشمسي بكل معنى الكلمة لأن الكهيربات تدور في نظام الذرة بحكم الجاذبية حسب قانونها الذي اكتشفه نيوتن .

ثم جاء موزلي المأسوف عليه فبرهن عملياً على عدد الكهيربات السيارة في ذرة كل عنصر (وقد قتل موزلي في الخندق في معركة الدردنيل في الحرب الماضية) فتبيّن لمن جنده .

الآلفة الكيميية تتوقف على عدد الكهيربات السيارة

ولما كانت الكهارب في النواة أكثر عدداً من الكهيربات التي يتم عددها في

الكهيربات السيارة تعتبر النواة إيجابية الشحنة الكهربائية وأفلاك الذرة سلبية . ولكن الذرة نفسها يرمتها متعادلة . فلو انتثر منها كهيرب واحد صارت ايجابية ، أو انتثر كهرب واحد صارت سلبية .

(التيار الكهربائي هو انتقال كهيربات من ذرات الى ذرات متجاورة باستمرار في دائرة circuit فمتى انقطعت الدائرة توقف انتقال الكهيربات في الحال)

الكهرب والكهيرب متساويان حجماً ولكنهما مختلفان وزناً . الكهيرب يزن ١٨٤٧ مرة وزن الكهيرب . ولذلك يعتبر الكهيرب كأنه بلا وزن أي لا يحسب حسابه في وزن الذرة . فيعتبرون وزن الذرة بقدر ما فيها من كهارب . مثلاً ذرة الرصاص تزن ٢٠٧ مرات وزن الهيدروجين الذي في ذرته كهرب واحد وكهيرب واحد فقط .

وفي ذرة الاورانيوم uranium ٢٣٨ كهرباً وهو وزنها بالنسبة الى وزن الهيدروجين .

والأبعاد بين أفلاك الكهيربات في الذرة وبين نواتها التي في مركزها تناسب الأبعاد التي بين الشمس وسياراتها بالنسبة الى أحجامها . فذاً حجم نواة الذرة بالنسبة الى الذرة نفسها ضئيل جداً ، كما ان جسم الشمس ضئيل جداً بالنسبة الى حجم النظام الشمسي الذي يشمل أبعاد جميع السيارات حول الشمس .

الطاقة التي في الذرة

وهنا مسألة جوهرية جداً في بحثنا وهي : المعلوم ان الأجسام التي من قطب واحد موجب أو سالب تتنافر وتتدافع ، والجسمين اللذين في قطبين مختلفين موجب وسالب يتجاذبان كما ترى في قطبي المغنطيس والحك (ابرة الملاحين) . ولما كانت الكهارب كلها موجبة وهي متجمعة في النواة ، كان يجب أن تتنافر وتتدافع وتتباعد . فما سرّ تجمعها في المركز خلافاً لقانون الطبيعة ؟ ما هي القوة التي تربطها هناك ؟ هذا سرٌّ لم يكتشفه العلماء حتى الآن . ولكن الراجح انها متجمعة بقوة الجاذبية centripetal force أي الانجذاب نحو المركز كما ان الكهيربات السيارة تدور في أفلاكها على بعد من النواة بقوة الدافعية : الاندفاع عن المركز centrifugal force وكلا القوتين معروفتان في النظام الشمسي ونظام سائر الاجرام . والرأي الحديث ان الكهارب في النواة مترابطة بقوة كهربائية تسمى Electrostatic Force

ومهما يكن السر فلا بد ان هناك قوة او طاقة تربطها . ونعرف انها قوة عظيمة جداً

وتظهر عظمتها حين يطرأ طارىء فينفصل أحد الكهارب من النواة وينقذف الى خارج الذرة وينقذف معه كهربه ويلتحمان خارجها فتتلاشى الكهربائيتان الكهربائيتان : الايجابية والسلبية وتفنيا معاً بتاتاً . ثم تظهر القوة بشكل حرارة ونعمة نور ، وهذه القوة محمولة في جسيمات أصغر جداً من الكهيرب وتسمى فوتونات وبلغت تسميها ضويئات

وهي بلا تعبئة كهربائية

ينفرط عقد الكهيرب الى ١٠٠٠٠ فوتون وعقد الكهرب الى هذا العدد مضروباً في ١٨٤٠ الذي هو وزنه بالنسبة الى الكهيرب . يعني يتحولان معاً الى ١٨٤٠٠٠٠٠٠ فوتون او ضُوَيء

اذن فالفوتون هو الوحدة الاولى للمادة . هو الوحدة التي لا تتجزأ بحسب العلم الاخير . ولعلها تظهر في المستقبل متجزئة

وهنا يبدو لنا أمر آخر فيه نظر وهو : اذا كان الكهرب الموجب والكهيرب السالب يتفانيان ويفنيان في الفوتونات اذا التقيا ، فكيف يمكن ان توجد الكهيربات مع الكهارب في النواة ولا يفني بعضها بعضاً

هذا أيضاً لغز لم ينحل حتى الآن . ولكن يمكن القول أن كل كهيرب بعيد عن كهربه يدور حوله في نفس النواة كأنه قمر له كالقمر حول الارض . وحينئذٍ لا تكون النواة كثيفة متراصة بل هي مجموعة جسيمات متباعدة ، والرأي الأخير أن الكهيرب والكهرب الملتحمان في النواة . لا تعبئة كهربائية فيهما ويسميان معاً نيوترون

وكان الدكتور شدويك اول من انتبه لهذه الفوتونات وظنها نوعاً آخر من الجسيمات لا تعبئة كهربائية فيه فسمى مجموعها نوترون وتوقع أن يكون خير قذيفة لتحطيم الذرة ، وقد صدق ظنه كما سيأتي بيانه .

هذه الفوتونات تنطلق في الفضاء نوراً وحرارة ومادة أيضاً بسرعة النور أي حوالي ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية — تنطلق تموجات اشعاعية تسمى أشعة « جما » .

وقد حسب اينشتين الطاقة التي في جرام واحد الذرات بـ ٢١ الف مليون سُعْر calorie . والسُّعْر هو مقدار الحرارة اللازمة لرفع حرارة كيلوجرام ماء درجة واحدة من مقياس سنتغراد ، وهذا يساوي حرارة ٣ ملايين طن فحم . فتأمل كم تكون الحرارة التي تحملها فوتونات الكهرب الواحد وكهيربه . وكم يكون النور الصادر منه ساطعاً . مثل هذا كان من زخم فوتونات القنبلة الذرية التي لا يحصى عددها وحرارتها ونورها .

قوة الاورانيوم Uranium

لا يخفى ان الأورانيوم هو في رأس العناصر ذات الاشعاع radiation ويليه الثوريوم فالاكتينيوم فالراديوم . والاورانيوم يتحول الى ذلك فذاك فهذا على التوالي، وأخيراً يتحول الراديوم الى رصاص .

وعملية التحول هذه تحدث بأن يتناثر كل عنصر من هذه العناصر من تلقاء نفسه تدريجيًّا كهارب وكهيربات على التوالي حتى تصبح ذرة العنصر الأعلى ذرة العنصر الذي تحته أي ان كل عنصر يذوب رويداً على هذا النحو . والكهارب والكهيربات تتناثر وتنطلق فوتونات اي ضوئيات حاملة حرارة ونوراً كما هو معاهد في الراديوم .

وقد قدر العلماء التي وخمسماية سنة لذوبان الراديوم والاورانيوم انتهائي على هذا النحو. فاذا كانت حرارة الراديوم أو الاورانيوم التي نحس بها ونوره الذي نراه يستمران ٢٥٠٠ سنة ، تنطلق حرارتها ونورها دفعة واحدة في ثانية واحدة كما حدث في انفجار القنبلة الذرية، فهل نعجب من قوة تلك القنبلة الساحقة الماحقة . تصور باروداً كان يحترق تدريجاً في اثني سنة ثم احترق كله دفعة واحدة، فكم يكون احتراقه عظيماً

وقد روى مع خبر ضرب هيرشيما بالقنبلة الذرية انه رئي نور يبهر العيون اكثر من نور الشمس أو لا تطيقه العين وطفت في ذلك الجو حرارة لا تضارعها حرارة الجحيم او حرارة الشمس عند سطحها وهي ستة آلاف درجة مئوية، وكان تحت لسرعة الفوتونات في الاندفاع زخم يفوق زخم قذائف البنادق والمدافع ملايين المرات . فلا نعجب اذا دك هذا الزخم جميع المباني والاطامي وقوض المرتفعات

في ذرة الاورانيوم طاقة هي أتوف أضعاف الطاقة التي في جزيئات النيتروجليسرين مثلاً، لان قوة الجذب بين الكهارب والكهيربات أضعاف أضعاف قوة الآلفة الكيميائية التي في جزيء النيتروجليسرين .

الحرارة والنور اللذان يأتيان الى أرضنا من الشمس، إنما هي فوتونات مبادرة من كهارب الشمس وكهيرباتها المقتلعة من ذراتها والمتفككة بسبب تفاني قطبيها الكهربائيين ، الموجب والسالب ، الملتحمين في أثناء انطلاقها من ذرات الشمس .

فالنور الذي يقع من الشمس على عيوننا هو فوتونات، والذي يقع على النبات والحيوان هو فوتونات تقوم بتمثيل المواد الآنية في أجسامها . لهذه الفوتونات أعمال عجيبة في تكوين الأكوان وتطورها لا محل لشرحه هنا .

مقدار قوة الدك

وهنا يسأل سائل من أين جاءت هذه القوة الهائلة التي دكت المدينة الى الحضيض وما هي قيمتها ؟ .

والجواب ان سرّ هذه القوة في سرعة انقذاف الفوتونات الهائل وهي حوالى ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية . واليك الايضاح :

كتلة × سرعة = زخماً

الكتلة وزن المقدار من المادة . والسرعة مدى انقذاف المقدار بالثانية . والزخم شدة الانقذاف وهي القوة . مثال ذلك : —

نفرض ان حصاة وزن خمسة جرامات رُميت رمياً بسرعة ١٠ مترات في الثانية فيكون زخمها ٥ × ١٠ = ٥٠ زخماً على مسافة عشرة أمتار .

ولنفرض كرة صغيرة من الصلب وزن عشرة جرامات انقذفت من بندقية أو مدفع رشاش بسرعة ٥٠٠ متر في الثانية فيكون زخمها ١٠ × ٥٠ = ٥٠٠٠ متر على مسافة نصف كيلو متر ، فهي لا تثقب لوح خشب على هذا البعد . ولكنها على بعد ١٠ أمتار تثقب لوح زنك سمكه مليمتر ، لأن الزخم يشتد بنسبة مربع البعد عن مركز صدور القذيفة بالعكس فيكون الزخم مربع $\frac{١٠}{١}$ = ٢٥٠٠٠٠ زخم .

واذا فرضنا ان هذه الكرة الفولاذية وزن جراماً واحداً فقط ، وقد انقذفت بسرعة ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية وهي سرعة النور أو سرعة الفوتون فيكون زخمها ١ × ٣٠٠٠٠٠ = ٣٠٠٠٠٠ كيلو متر على بعد ٣٠٠٠٠٠ كيلو متر . فاذا يكون زخمها على بعد خمسة كيلو مترات (أي بعد مركز المدينة عن ضواحيها) ؟ يكون مربع $\frac{٣٠٠٠٠٠}{٥}$ = مربع ٦٠٠٠٠ = ١٢٠٠٠٠ = ١٤٤٠٠٠٠٠٠٠ = ١٤ الف مليون وكسوراً هذا هو زخم فوتونات جرام واحد من الاورانيوم على بعد خمسة كيلو مترات من مركز انفجاره . فلا بدع أن يدك كل ما في المدينة الى الحضيض

كيف يقلع الكهرب ؟

نعود الآن الى الذرة ونسأل : ما هي الوسيلة لقلع كهرب منها ؟ أو لتحطيمها وتفتيتها الى كهارب وكهيربات ؟ ثم فوتونات وهذا هو العمل العظيم الذي قام به العلماء الاميركان

والاذكى في أميركا . كان عليهم أن يضعوا المخ أو اللغم أو أية اداة لكي يقتلعوا الكهارب من ذرات الاورانيوم . اذا كان الذي وزنه ٢٣٥) أو تفتيت ذرات هذا العنصر لكي تنطلق بزخم ٣٠٠٠٠٠ كيلومتراً في الثانية يعني بسرعة لمح البرق أو لمح الفكر .

في سنة ١٩١٩ نجح اللورد روذرفورد في اقتلاع كهرب من ذرة . والعالمتان هان وستراسمان فلقا ذرة اورانيوم فلقتين . فتوصلا من ذلك امكان تحطيم نوى الذرات بحيث انه كلما تحطمت نواة حطمت جارتها وهكذا تحدث سلسلة تحطيمات . وبعبارة أخرى سلسلة انفجارات (كما يحدث حين تلتهب بعض ذرات البارود فتلهب جاراتها بسرعة) . وهذه هي القضية التي حلها علماء القنبلة الذرية . ومتى عرفت خواص الجسم تماماً وتركيبه سهل على المرء اصطناع الطريقة لتحطيمه

روذرفورد اقتلع كهرباً من الراديوم باطلاق أشعة ألفا من الهليوم عليه ، وأشعة « ألفا » هي أشعة الكهارب أنفسها وأشعة « بيتا » هي أشعة الكهيربات السابقة . وأشعة « جا » هي أشعة الفوتون التي لا تبعثة فيها . يعني ضرب كهرباً بكهرب أو نواة بنواة . ويوري ولورنس في أميركا وجدا قنبلة أخرى لضرب النواة وهي نواة الديلون أو الديوترون وهو الهيدروجين الثقيل الذي ينشأ منه الماء الثقيل .

ولكن ما هو الدفع الذي يقذف هذه الذرى فتصيب الهدف تماماً ؟

هذا ما توفق الى صنعه الدكتور لورنس من جامعة كاليفورنيا ، إذ اخترع جهازاً كهربائياً لهذا الغرض سماه « سيكلوترون » وهو جهاز معقد التركيب يزن نحو أربعة آلاف طن . فيقذف منه الديوترون أي الهيدروجين الثقيل بقوة ١٧٥ مليون فولت . وهذه السرعة الهائلة لا بدّ منها اذا استعمل الكهرب او الديوترون لانه يحمل تعبئة كهربائية ايجابية تدفع كهرب الذرة بصدمة قوية . ومتى انقذف الكهرب مع كبيريه انحلا الى فوتونات وهي تحمل الطاقة أو القوة التي تندفع بها بزخم شديد .

هذه نظرية مدفع تحطيم الذرة — ذرة الأورانيوم

للأورانيوم ثلاثة نظائر مختلفة الأوزان ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٨ والثاني هو الأصلح لاصطناع قنبلة الذرة، ولكنه قليل بالنسبة الى زميليه جداً . وعزله من بينها يقتضي عملية كيميائية معقدة صعبة جداً . والاورانيوم على كل حال عزيز المنال لقلة وجوده في الطبيعة .

نقود الحرار

اليأمور

The Narwhal . Technical name : Monodon (genus) Monodon monoceros (species)

من الحيتان ، وكذلك سماه المنوف في معجم الحيوان . وفي لسان العرب (٩٤ : ٥) اليأمور من دواب البحر . واذا شئنا تعريب الاسم قلنا « النرول » لمقابل Narwhal ، وأصل الكلمة من لغات الشمال ، فهي في الدانمركية والسويدية Narhval وفي الايسلندية Nahvarl ، ثم انتقلت من هذه اللغات الى الانجليزية Narwhal والفرنسية Narval or Narwhal والالمانية Narwall . انظر المعجم الانسيكلوبيدي Encyclopaedic Dictionary ص ٣٢٥٢ ج ٣) ، ويبدو ان الاول تعريب اللفظ

***

وقبيلة الحيتان من أعجب صور الحياة ، فهي حيوانات ثديية تعيش في المياه البحرية وتلد وترضع صغارها ، وتتنفس الهواء . غير ان من فصائل هذه الحيوانات ما هي أبعث على العجب من غيرها . ومن أعجب أجناس هذه الفصائل «النرول» . ففي أول عهده بالحياة يكون أشبه شيء بحوت آخر يقال له تعريباً « البربوز » Porpoise ، ويكون أدرد فاقد الأسنان . أما عند ميلاده فيكون رضيفاً ، أي ذا أسنان مرصوفة صغيرة . فاذا تقدم به العمر ، فقد هذه الاسنان . ولكن يقع عليه بعد ذلك انقلاب خطير ، ويقع ذلك الانقلاب على الذكور دون الاناث . فان الشفة العليا لا تلبث أن يخترقها ناب يأخذ في الامتداد حتى يبلغ سبع أو ثماني أقدام ، وهذه الناب هي عبارة عن استطالة تمضي فيها احدى السنين القاطعين ، هي القاطعة اليسرى . غير انها تختلف عن جميع أصناف الاسنان في انها مُلَوَّبة حلزونيَّة . وَتَلَوُّبها يساري . وقد وقع المواليديون على أفراد من « النرول » لها نابان . ولكن هذه الافراد نادرة الوجود . فاذا وجد لفرد ما نابان ، كانت كلتاهما يسارية التلوّب . غير انه وجد أفراد نابها الأيمن يميني التلوّب .

من الطبيعي أن يتساءل المواليديون : ما هي الفائدة التي تعود على الحيوان من هذه الناب ؟ أهي سلاح أم زخرف ؟ ومن الصعب بالضرورة أن يجاب على هذا السؤال جواباً

قاطعاً ، إذ عند أن رأي الموانيديين فيه مختلف جد الاختلاف ، فيقول البعض أنها اداة يكسر بها الحيتان صحيفة الجلد الذي يكون فوق الماء ينشق للهواء . ذلك بأن « النرْوَل » من سكان المناطق الجليدية . ولكن ما ان الآنثى فاقدة الناب ، سقط هذا التعليل . وقال آخرون انه سلاح يقوم عند « النرْوَل » مقام القرون عند الوعل ، إذ هو عدته في سبيل الحصول على أنثاه والدفاع عنها . ولقد رأي كثير من الذكور وهم يقتحمون معركة حامية ليفوز كل منهم بأنثى ، وكان سلاحهم فيها ذلك الناب الطويل يطعن به الواحد منهم منافسه

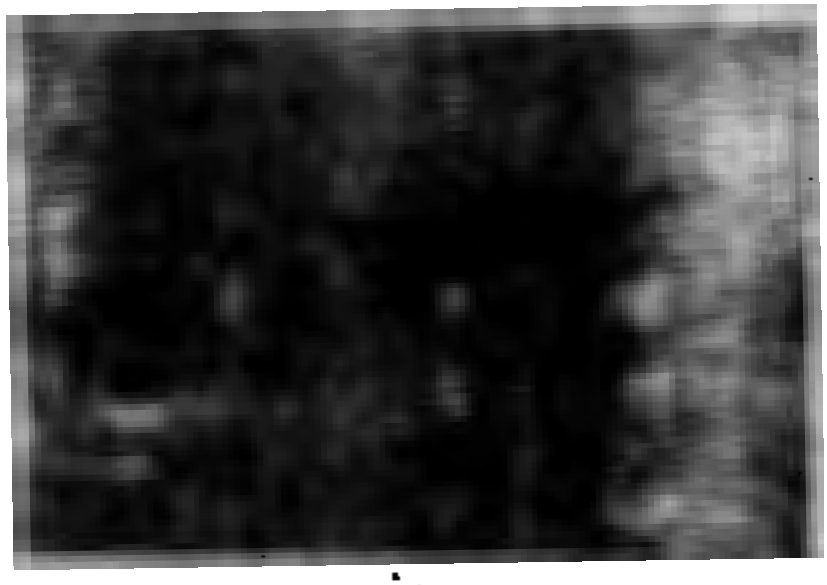

اليأمور

فيخترق به جسده بالاندفاع نحوه اندفاعاً قويًّا . وقد ذكر الرحالة الانجليزي « سكورسبي » Scoresby انه أخرج من بطن « نرْوَل » حِدْأةً (وهي جنس من السمك) فظهر له من شكل الجراح التي بها أن ناب « النرْوَل » اخترقها اختراق الحربة حتى أمكن صيدها . ولكن اذا اخترق الناب الفريسة وأصبحت معلقة به ، فكيف يستطيع « النرْوَلُ » أن يتخلص منها ، وينتزعها من هذه الحربة المُلوَّبة ؟ ربما استطاع ذلك بحركة رجعية سريعة خلال الماء ، فتندفع الفريسة من الناب الى الامام ، فاذا خلصت منه انهمها .

ابتسامة الجيوكوندا

قصة كبرى : لألدوس هكسلي

تلخيص : محمود عزت موسى

وقف مستر هاتن ينتظر مقدم جانيت حين وراح يتأمل خادمتها القديمة، وكان كل ما فيها يذكره بالمجرمين حتى أحس بأنه لا يستطيع أن يتأملها طويلاً فأخذ يتطلع الى ما تحتويه الغرفة، وقد كدّستها جانيت بالصور والتماثيل اليونانية واللوحات الفنية، وظلّ يتنقل بين هذه التحفحتى وقف أمام المرآة فتأمل وجهه فيها بتأنٍّ وهو يتحسس شاربه . إنه لا يزال على حاله منذ عشرين سنة ، وكذلك شعره كما هو ، وتذكّر هؤلاء الشعراء وهم شكسبير وملتون. وحييا تهم وابتسم ، فإن جانيت لا تدرك ذوقه ولا تفهمه ، ولاحظ فجأة أن جانيت واقفة بالقرب من باب الغرفة فاتجه اليها كأنما قد بوغت ، فمن يدري فربما سمعت ما همس به وأدركت ما يجول في نفسه ورأته وهو يتطلع الى صورته في المرآة . وابتسم لها ولهذه المفاجأة، ومدّ يده ليصافحها وابتسمت جانيت أيضاً — ابتسامة الجيوكندا التي تلازمها — كما لو كانت هذه الابتسامة من خصائصها . وكانت جانيت ، امرأة جميلة ، ذات قوام ممشوق ، وأنف دقيق ، وعينين واسعتين ، شهوانيتين ، سوداوين . كانتا عينين جميلتين حقاً بكل ما فيهما من شهوة وسواد واتساع ، يعلوهما حاجبان متوسّطان أسحمان .

***

وراح مستر هاتن يخبرها بأنه كان يظنها قد خرجت من المنزل فأزمع في نفسه الانصراف، ولكن هذه المقابلة قد أسعدته ؛ وأشارت اليه أن يجلس فاعتذر بأنه يود أن ينصرف ليعود أميلي — زوجته — فانها متعبة ومصابة بعسر هضم شديد ، وكاد يخطئ ويقول لها إن أمثال هؤلاء النساء كان يجب أن لا يتزوجن ، لكنه استدرك وراح يدعوها الى الغداء معهما غداً ، فاعتذرت ولكنها عادت فقبلت بعد إلحاح ووقف هاتن لينصرف وهو يودع هذه الفتاة العذراء وهو يقول لها : يجب أن أذهب الآن أيتها الجيوكندا الغامضة، فازدادت ابتسامتها وضوحاً وهو يقبل يدها لأول مرة ، وقال لها : غداً نراك ، ولكنه عاد يقبل يدها مرة أخرى . وانصرفت جانيت الى الخارج وهي تسأله عن سيارته، فأخبرها بأنه تركها

بعيداً عن المنزل وعرضت عليه أن تصحبه إليه ولكنه أقنعها بأن لا تفعل، ثم ودعها سريعاً وراح يركض في الطريق كأنه يخشى أن تلحق به، وكأنه سرّ بهذا الركض، فانه يدل على شبابه والتفت الى الوراء فوجدها لا زالت واقفة فأرسل اليها قبلة في الهواء، واختفى عن أنظارها حتى وصل الى سيارته ففتح بابها وأمر السائق بأن ينصرف به الى منزله وأن لا يقف الوقوف عند تقاطع الطريق، وكانت صديقته دوريس تنتظره بالسيارة، وما كاد يجلس الى جانبها حتى راح يقبل وجهها الصغير فقالت :

— لا تمسني بيديك فاني أشعر برجفة كهربائية .

فابتسم هانن وراح يكرر اسمها مرات وهو يحس بلذة عميقة عند نداثها باسمها وأخذ يقبل عنقها الجميل فقالت له : اني سعيدة جداً .

فأجابها — وأنا كذلك . . هل هذا حقاً .

فقالت — ولكني أريد أن أعرف هل هذا خطأ أم صواب .

فقال — إن هذا ما كنت أسأل عنه نفسي في الثلاثين السنة الماضية .

فقالت — لتكن جاداً . فاني أريد أن أعرف هل هذا صواب . هل من الصواب أن أكون معك وأن يحب كلانا صاحبه فاني أشعر برجفة كهربائية حين تمسني .

فقال — صواب . إن هذا حسن جداً بأن تعيش هذه الرجفة الكهربائية ، فذلك أفضل من العاطفة المكبوتة . اقرئي فرويد . فالكبت خطر .

فقالت — ولكنك لم تدلني ، ولماذا لا تكون جاداً وأنت تعلم أني أحياناً أكون شقية حين أظن أن هذا خطأ ولا أدري ماذا أفعل حتى اني أفكر أحياناً في أن أقف علاقة حبنا

فقال — ولكن هل تستطيعين ؟

فأجابت — كلا أنت تعرف أني لا أستطيع ، ولكني أهرب وأختفي عنك وأبعد نفسي ولا آتي إليك

فطمأنها وقد وضع خده على شعرها حتى وصلت السيارة، فنزلت منها وكأنها قد حطمتها هذه القبلات وهذه الرجفة الكهربائية من يديه الرقيقتين .

***

. . كان اليوم من أيام الصيف الدافئة حين راح مستر هانن يحادث زوجته وهو يلعب معها الورق ، فأنبأته أن الدكتور ليبارد أشار عليها أن تستجم بتغيير الهواء في هذا الصيف ،

وكان هانن يفكر في دوريس فلم ينتبه لزوجته فاستمرت تقول : إني يجب أن أشرب مياه معدنية لعلاج الكبد ، وأن أعالج بالكهربا والتدليك . ولكن هانن كان لا يزال يفكر في دوريس وهي تجري في الغابة خلف الفراش الأزرق الذي كان يتنقل طائراً بين الزهور ، وهي من ورائه هاتفة صائحة كأنها طفلة غريرة ، وأعاده صوت زوجته الى تفكيره ، فقال لها :

— إني أعتقد أن تغيير الهواء هذا سيفيدك جداً .

فقالت — ولكن يجب أن تأتي معي يا عزيزي .

فقال — ولكنك تعرفين بأني سأذهب الى سكوتلندا في نهاية هذا الشهر .

فنظرت اليه وقالت : ولكني لا أعرف كيف أقوم برحلة ، وأنت تعلم أني لا أنام في الفنادق ، ثم هناك الحقائب . فلا أستطيع الذهاب وحدي . فأجابها : ولكنك لن تكوني وحدك . ستكون معك وصيفتك .

وراح يفكر في حبيبته الضاحكة . فقطعت زوجته عليه تفكيره بقولها .

— أظن انني لا أستطيع أن أذهب .

— ولكن يجب أن تذهبي كما أخبرك الطبيب . ثم ان هذا التغيير يفيدك .

— لا أظن ذلك .

— ولكن الطبيب يعتقد هذا . ثم أظن أنه تحدث به .

— لا . لا استطيع ، فأنا متعبة جداً ، ولا أستطيع الذهاب وحدي .

وحاول زوجها أن يقنعها ليخلو له الجو ولكن عبثاً ، فقد راحت زوجته تبكي فأدرك أنه عالج هذا الأمر بصبر معقول . ولكن لا يستطيع أن يفعل غير ذلك ، فمنذ وقت طويل في بداية رحلته اكتشف — في ذات نفسه — أنه لم يشعر بالعطف على الفقراء والضعفاء والمرضى والبائسين فقط بل كان يكرههم ، وقد كانت أميلي جميلة وغنية عند ما تزوجها فأحبها حقيقة ، ولكن هل هي غلطته أن تكون هكذا الآن.

وتعشى هانن وحده ، ثم ذهب الى زوجته يحادثها ويقرأ لها شعراً بالفرنسية وما كاد يصل إلى الصفحة الخامسة عشرة حتى رآها قد استسلمت لنوم عميق ، فأخذ يتأمل وجهها بكراهية . لقد كانت جميلة مرة واحدة منذ زمن طويل ، وأثارت هذه الذكرى في نفسه أعمق العواطف مما لم يشعر بمثله من قبل . ولكنها الآن جامدة ، تحل وجهها ، وبرزت عظام خديها ، وأحاطت الزرقة عينيها كأن وجهها كأنما هو وجه الميت كما صوره الرسامون مصلوباً ، فبرت في جسده رجفة خرج على إثرها من الغرفة مسرعاً على أطراف أصابعه

وفي اليوم الثاني حضرت مسز هاتن العشاء ، وكان يبدو عليها في تلك الليلة الانقباض . ولكنها راحت تجامل صيفتها جانيت سبنس التي ظلت تستمع إلى شكواها وهي تتحدث بصوت عالٍ وتقذف بالكلمات كأنها منطلقة باستمرار من بندقية

وكان هاتن ينظر اليها في سكون ، وقد أثار في نفسه منظر جانيت شعوراً غريباً ، فراح يقارن بين زوجته ودوريس وبينها وبين جانيت بابتسامة الجيوكوندا أو حاجباها الروحانيان.

وتجاذبت الزوجة وجانيت الحديث لماماً ، حتى أحضرت الخادمة القهوة ، فقامت جانيت لتأخذ قدحاً ولتقدم آخر لمسز هاتن ، بينما ذهب الزوج يحضّر زجاجة الدواء ، ولما تناولت جرعتها من الدواء ، قدمت اليها جانيت القهوة . واستمرّ الحديث بينهما حتى شعرت مسز هاتن بأنها متعبة ، وأنها في حاجة إلى الراحة ، فاستأذنت صديقتها ومضت إلى غرفتها . ولما أراد زوجها أن ينصرف تضرّعت اليه وهي تبكي أن يبقى معها في المنزل فقد أصبحت لا تطيق البقاء وحدها.

ولكنه اعتذر بأنه على موعد سابق مع أحد أصدقائه ولا يستطيع أن يخلفه ثم قبلها وذهب الى الحديقة حيث قابلته جانيت وهي تقول له بلهفة .

— ان زوجتك في حالة خطيرة .

— ولكنها مرّت كثيراً بمثلها .

— انها عصبية جدًّا ولقد راقبتها جيداً ومع سوء حالة قلبها فهي عصبية .

— ولكن الدكتور ليبارد لا يهتم كثيراً بصحتها .

— انه طبيب القرية . ويجب ان تستشير إخصائيًّا .

وسارا معاً حتى خرجا من الحديقة الى حيث تقف سيارة جانيت ، فساعدها على ركوبها وودعها وهي تذكره بأن يزورها في الغد .

***

ومضى هاتن بعد ذلك الى دوريس وكانت تنتظره عند تقاطع الطريق فذهبا يتناولان العشاء معاً في فندق بعيد وأمضيا وقتاً ناعماً لذيذاً ، كانت فيه دوريس في غمرة العاطفة ورقة الحب .

وعاد هاتن الى منزله قبل منتصف الليل، فقابله الدكتور ليبارد في مدخل المنزل فبادره هاتن قائلاً : هل زوجتي مريضة ؟ فأجابه : لقد بحثنا عنك منذ مدة وسألنا عنك في كل مكان

فقال : كنت مشغولاً في جهة أخرى . فقال الطبيب : وكانت زوجتك تريد أن تراك.

فقال : سأذهب اليها الآن واتجه نحو السلم ولكن الطبيب وضع يده على ذراعه وهو

يقول له : أخشى أن يكون الوقت متأخراً .
فقال : متأخراً ! وراح يخرج ساعته من جيبه دون جدوى فقال الطبيب
— ان مستر هاتن توفيت منذ نحو نصف ساعة .
وكان الطبيب يتكلم عن الموت كما لو كان يتكلم عن مباراة رياضية
وتذكر هاتن كلمات جانيت في الحال . انها قد تموت في أي لحظة اذن فقد كانت على صواب
— ولكن ماذا حدث . وما السبب .
وأخذ الطبيب يذكر له أنه اتاها في ميعاد أعقبه احتقان قلبي شديد وانفجار شرياني .

***

. . جلس هاتن يطالع في المكتبة في مساء يوم الجناز وكان يقرأ لملتون وهو موزع الذهن مبلبل الخاطر حتى انتصف الليل فتوجه الى الشرفة وكان الجو دافئاً صافياً والليل ساكناً . فراح يحدق في النجوم اللامعة ويتأمل أزهار الحديقة وهو غارق في تفكير عميق . ما العظمة والنبل وما الفارق الجدي بين النبل والدناءة . ملتون . والنجوم والموت ونفسه . الروح والجسد، الطبقة العليا والطبقة السفلى . ملتون يهذي، والنجوم اللامعة والموت وأميلي في قبرها ودوريس . كان نهباً مقسماً لصراع عقلي عنيف وتفكير محزن مشتت ، حتى خيل اليه أنه أبغض كل شيء في الحياة واعتزم في نفسه أن يحيا حياة جديدة يراقب دروعته في النهار ويدرس في الليل .

ومضى هاتن الى فراشه متألماً شقياً ولو أنه أحس بشعور طيب في نفسه واستيقظ في الصباح ، وقد تغذت أشعة الشمس الدافئة الى غرفته فتناول افطاره واستطى صهوة جواده وظل يتجول في مزارعه ثم راح يطالع في دراسته المعقدة بعد الغداء ويكتب بعض الملاحظات . وفي اليوم السادس من هذه الحياة الجديدة التي قدرها لنفسه تلقى خطاباً من دوريس . كانت كلماتها جوفاء تافهة ، كتبت اليه تعزيه وتخبره بوحدتها وشقائها . ان فكرة الموت أصبحت تسيطر عليها ولا تجد منها خلاصاً وأنها محطمة شقية بدونه، وأنها لم تكن لترغب في أن تكتب اليه بل كانت تود أن تنتظر حتى ينتهي من أحزانه ويحضر فيراها ، ولكنها يائسة وحيدة حزينة . ولذلك كتبت اليه لتستمد معونته وتريده ، فليس لها في الحياة سواه ، فهو الرجل الطيب القلب ، الرقيق الحس ، وهي لا تستطيع أن تنسى طيبته ورقته نحوها، وهي لا تستطيع أن تتصور أنه سيتركها ، فهو يجب أن يحبها لأنه أحبها قليلاً .
وثار هاتن واختلج في جنبات نفسه شعور عظيم بالخجل، فهي تشكره وهو يحتقرها .

فيا للحماقة ، ويا لها من نعسة . انه يجب أن يكتب اليها خطاباً رقيقاً بأنه سيلقاها قريباً . وعاوده حنينه وتفكيره فيها حتى قطع عليه الخادم تأملاته بأن أعلن اليه إعداد جواده .

ومضت خمسة أيام أخرى حتى تقابل هانن ودوريس . كانت جميلة رائعة في ملابسها الحريرية البيضاء الناعمة ، وأمضيا الليلة كأنها حلماً ذهبياً ، وراحت دوريس تغرق في نوم عميق بينما حاول أن ينام عبثاً ، فقد كانت الأفكار تلاحقه والأوهام تطارده ، ولما تحركت ألقته على كتف من مخدعها . وقد أخذ يتأملها على ضوء النور الخافت الذي تسرَّب من بين الستائر ، والعكس على ذراعيها العاريين وكتفيها وعينيها وشعرها الأسود الرخص كانت رائعة حقاً ، ففكر لماذا لا ينام الى جانبها ويدع أحزانه وآلامه ، وماذا لو عاش في الحياة بلا أمل ومرَّت به لحظات في التفكير أن يبتعد عن المسؤولية . يجب أن لا يكون مسؤولاً فهو حر ، حر أبداً . وفي شوق عاصف جذب اليه الفتاة . فاستيقظت كالمسحورة وهي ترتجف تحت قبلاته . . واستحالت ثورة رغبته الى نوع من المرح الهادىء ، وقالت له — هل تستطيع أن يحبك أحداً كما أحبك أنا فقال لها : أظن أن هناك واحدة تستطيع هذا فقالت: من هي خبرني ؟ وكان صوتها مزيجاً من الشك والألم والرجفة . فقال : ألا تستطيعين أن تعرفي؟ وظلَّ ساكتاً حتى عجزت أن تجيبه . فقال لها : أنها جانيت سنس . فأجابته في سخرية : هذه المرأة العجوز ؟ فقال ضاحكاً : هذا حق . ولكنها تحب بي وإني أعتقد أنها ترغب في الزواج بي فأجابته : ولكن يجب أن لا تتزوجها . لا تفعل . فقال : لقد قرَّرت الزواج بك أنت أنت . وأحسَّ كأنه عمل أحسن ما في حياته .

ولما غادرا مكانهما الذي تقابلا فيه خرج هانن منه رجلاً متزوجاً . ولكنهما اتفقا على أن يظلَّ الأمر سرّاً حتى يرحلا الى الخارج في شهور الخريف ، وحينئذٍ يعلم الناس بذلك الزواج .

***

وفي اليوم التالي ذهب إلى جانيت فقابلته بابتسامتها المعتادة ، ابتسامة الجيوكوندا ، وجلسا معاً في منزلها الصيفي الجميل ثم أخبرها أنه سيرحل إلى ايطاليا في هذا الخريف . فدهشت لهذا الرجل ، وكأنما أصابتها صدمة فاستلقت على كرسيها وأغمضت عينيها وأسلمت نفسها لصمت طويل ، ولم يتبادلا حديثاً حتى تناولا العشاء

وكان الليل ساحراً ، والسماء رقيقة جذابة ، والقمر يغمر الطبيعة بضوئه الفضي ، وما لبث هذا الهدوء والصفاء أن عكرته سحابة مارة رعدت لها السماء وأبرقت ، وهطلت الأمطار ، وهبت

الرياح . وقالت بعد صمت طويل : أتظن أن لكل شخص الحق إلى حدٍّ ما في السعادة . أليس كذلك فقال : بلا ريب .

ومضى يفكر ، ماذا تقصد بالسعادة ، وعرج بتفكيره إلى حياته الماضية حينما كان لديه المال والحرية ، وفي استطاعته أن يفعل ما يشاء ، فلقد افترض أنه كان سعيداً ، أسعد الرجال ، ولكنه الآن ضئيل الحظ من السعادة وقد اكتشف في عدم المسؤولية سرّ المرح والحياة ، وكاد يحدّثها عن السعادة لولا أنها قاطعته : إن مثلك ومثلي لهما الحق في أن يسعدا . فقال متعجباً : مثلي أنا ؟ فقالت يا للمسكين إن الحظ لم يعاملنا معاملة حسنة فقال : لقد عاملني بسوء . فأجابته : أنت نفس وحيدة حائرة تبحث عن رفيق ، وأنا أحب أن أشاركك وحدتك ومضت تحدثه عن نفسه ووحدته ووحشته ، وأنها المرأة التي تستطيع أن تملأ هذا الفراغ الشاغر في حياته وأن تسعده لأنها تحبه . كانت تكلمه جادة وبحرارة ، وظلّ لائذاً بالصمت حتى صدمها بقوله : ولكني فقدت عاطفتي . فلم تأبه لقوله وراحت تتضرّع إليه وتتوسل وتطارد قلبه وتلحّ عليه أن يتزوّجها ، أن يرتبط بهذه الرابطة المقدسة انها تحبه وقد حانت الفرصة الآن فهما أحرار ، وارتمت بجسدها عليه وأخذت تعانقه ولكنه أبعدها ، فبكت تستعطفه ، وقد ارتمت على الأرض تتلوى في حرارة وحرقة ، حرارة الفتاة المحرومة ، وحرقة المرأة الواهية المهجورة ، وتركها تبكي وانصرف ، وقد هدأت العاصفة وانقطع المطر ، وأسفر القمر ، وأخذ يفكر فيما حدث فلعلها تمثل دوراً وتلعب لعبة

***

وانصرف يوماً الى دوريس في منزلها الجديد الذي استأجره لها في ضاحية المدينة وهو يبدو عليه التفكير العميق فسألته عما به ، لكنه اعتذر اليها ببعض متاعبه ، وقد بدا له أنه كان من الأفضل له أن يهجر دوريس أيضاً وغرامها الفريد . فهو لم يعرف قط آلام الحب الفاشل ، ولكنه يجرب الآن آلام الحب المهجور ، فهذه الأسابيع الماضية تزيده سقماً وشقاء ، ولو أن دوريس دائماً معه . ان من الأحسن له ان يكون وحيداً وأخرج من جيبه خطاباً . لكم أصبح يكره هذه الخطابات التي تحوي دائماً أخباراً سيئة في هذه الأيام وخاصة بعد زواجه الثاني . وكان الخطاب من أخته فكاد يمزقه لولا أن رأى فيه عبارة قرأها وقلبه يخفق بشدة ، فقد كانت عبارة وحشية مروعة فهي تذكر أن جانيت تذيع عنه في كل مكان أنه سمم زوجته ليتزوج دوريس .

وكاد يتمزق غيظاً وهو يقرأ هذه الكلمات ويلعن هذه المرأة وأيقظ عقله المكدود

وقع خطوات التفت نحوها فوجدها الخادمة تقتطف فاكهة من الحديقة فراح يتأملها . كانت خادمة جميلة بقدها الصغير وجسمها الفتي فنادتها وابتسمت له ابتسامة الخادة المرتجف لها فقرر أن ينسحب قبل أن يتمادى في الحديث معها .

***

وظهرت الصحف في الأيام التالية تتحدث عن جريمة هاتن التي عرفت بعد حدوثها بشهور. وكان الرأي العام قد أثار هذه القصة المؤلمة ، قصة الرجل الذي دسّ السم لزوجته ليقتلها ، وانتاب هاتن فزع شديد ، فقد أمضى هذه الشهور في آلام ولكنه كان في طمأنينة وأمان ، وقدّم للقضاء ، وأخذ الأطباء يبحثون جثة المتوفاة فوجدوا بها آثار السم وتعجب هاتن كيف ماتت زوجته بهذا السم . لقد قرر الأطباء أن السم ابتلع قبل الوفاة بعدة ساعات في وقت العشاء ، واستدعيت الخادمة للسؤال فقررت أن مستر هاتن استدعتها وطلبت منها دواءها ، وكان مستر هاتن وحده يحضر هذا الدواء وأيدت جانيت شهادة الخادمة وأضافت أن مستر هاتن عاد ومعه الدواء في كوب لا في زجاجة

وتأجل التحقيق أياماً وفي نفس هذا المساء ذهبت دوريس إلى فراشها لشعورها بصداع ولما دخل عليها زوجها بعد العشاء وجدها تبكي فجلس على حافة الفراش يداعب شعرها ويسألها سبب بكائها ولكنها لم تتكلم ، فأخذ يلعب بين أنامله بخصلات شعرها بلا تفكير أو شعور وانحنى عليها يقبل كتفيها العاريين وهو غارق في تفكير عميق فيما حدث لزوجته امبلي التي ماتت مسمومة وأن هذا لا بد أن يكون كذباً وادعاء فعال أن يحدث ذلك .

وقطعت عليه دوريس تفكيره بقولها : لقد أخطأت أنها غلطتي ، كان يجب أن لا أحبك وكان يجب أن لا أجعلك تحبني . لماذا خلقت في هذه الحياة . ولم يقل شيئاً بل استمر في صمته واستأنفت حديثها : اذا أصابوا اليك فاني سأقتل نفسي .

ثم جلست في فراشها وأمسكته بقوة وأخذت تتطلع اليه في ذهول وهي تقول :

ـ إني أحبك . أحبك أحبك

وجذبته إليها قائلة « لم أكن أعرف أنك كنت تحبني كل هذا الحب ، ولكن لماذا فعلت هذا .. لماذا ؟ فتملص منها هاتن وقد احمرّ وجهه خجلاً وقال : هل تظنين حقاً أني قتلت زوجتي انه كذب . انها حماقة لا يرتكبها رجل متحضر ، هل أبدو من نوع هؤلاء الرجال الذين يقتلون الناس . لست أعرف ما هذا الشيطان الذي دفعني الى الزواج منك ، فقد كانت حماقة سيئة وانصرف عنها الى غرفة المكتبة يفكر فيما حدث دون ان يجد عند نفسه جواباً . وقد امتلأت عيناه بالدموع وتأدى شعور في نفسه بأنه يجب أن يعيش كما أن هذا الشعور ينادي زوجته

الاولى من قبل، واستغرق في تفكيره بأنه يريد ان يصلي كما كان يفعل ذلك منذ اربعين سنة عندما كان صغيراً يصلي عند سريره راكعاً كل مساء، وتذكر ليالي الطفولة وراحت ذكرياته تمر به كأنها صور الحياة ذابلة. ودعا الله ان يغفر لابيه وأمه فكل هؤلاء الذين لازموه في طفولته وكل من أحبهم قد جعلوا منه طفلاً هادئاً صالحاً وشعر في هذه الذكريات بهدوء ينسكب في أعصابه فيريحها وذهب الى حيث دوريس يسألها المغفرة، فوجدها مستلقية على مقعد طويل وعلى أرض الغرفة بجانبها زجاجة دواء سام وقد بدأ عليها أنها شربت قدراً كبيراً.

ولما رأته يفتح الباب ويتقدم منها ثم ينحني عليها قالت انك لاتحبني فأدرك كل شيء وأسرع باستدعاء الدكتور ليبارد لينقذها واستطاع الطبيب أن ينجح في عمله فقال لها وهما وحيدان في الغرفة: يجب ان لا تفعلي هذا ثانية

فقالت: وما الذي يمنعني عن أن أفعله؟

فقال: ليس هناك ما يمنعك، ولكن هناك نفسك وطفلك، فلا يجب أن يكون طفلاً سيء الحظ في هذا العالم. فصمتت برهة ثم قالت: حسناً لن أفعل.

***

قضى هانن بقية الليل الى جانبها وقد مر في ذلك الوقت أنه قاتل حقاً، وكان شعوراً هو مزاج من الألم والشقاء والحنان والعطف حتى أنه أصبح لا شيء أكثر من مخلوق هش، وذهب الى فراشه في نحو السادسة صباحاً ثم استدعي الى المحاكمة في نفس ذلك اليوم.

وأما جانيت فقد ساءت حالتها وانتابها أرق شديد وراح الدكتور يزورها يوماً بعد يوم، بينما أخذت هي تحدثه عن هانن في لهجة يبدو منها غيظ المرأة التي تتلظى بالغيرة والغضب والانتقام وبخاصة بعد أن جاءتها الأنباء بأنه قد أصبح لهانن طفلاً من زوجته الثانية فأثارها ذلك وكأنما كانت هذه صدمة أخرى قاتلة.

وأخذ الدكتور يحادثها بلطف ورقة حتى فجأها في صباح يوم بسؤال وهي متعبة كليلة: أظن أنك دسست السم بنفسك لمز هانن. أليس كذلك فحملقت في وجهه بضع لحظات بعينيها الواسعتين ثم قالت في هدوء.

— أجل.

واندفعت تبكي. فسألها: في القهوة أليس كذلك

فهزت رأسها وتناول الطبيب قلمه، ليكتب لها تذكرة طبية بجرعة منومة.

مكتبة المقتطف

الفلسفة الرواقية

تأليف دكتور عثمان أمين : نشرته مكتبة الخانجي بمصر في ٣٢٠ صفحة من القطع الاوسط
١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م

نقدنا هذا الكتاب في زميلتنا مجلة « الكتاب » التي نتمنى أن تكون للكتاب خير نصير ، وللأدب العربي أكبر ظهير ، على طول السنين والأعوام . ولكن الفراغ لم يواتنا في « الكتاب » بأن نعطف على الكثير من مظاهر هذا الكتاب ، فقصرنا النقد على الموضوع في اجماله ، وأبقينا على ما وقع في الكتاب من هنات تتناول المظهر الى هذه الصفحات .

أول شيء يسترعي نظرك في هذا الكتاب ، كثرة ما وقع فيه من التحريف في رسم أسماء الأعلام ، فهي لا تجري على قاعدة . ولا تتفق والقواعد التي جرى عليها العرب ، ولا تجري على القواعد التي وضعها مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

ذكر المؤلف اسم « فثاغوطوس » فرسمه بثيتوس (ص ١٢) ثم رسمه بثاغوطوس (ص ٣٩) والمسمَّى واحد ، والرسمان مختلفان ، وذكر انطيغون غوناطاس (ص ١٥) ورسمه الصحيح انطيغونوس غوناطوس Antigonus Gonatus ، وقال كروسيبوس (ص ٣٠) وهو خُرُصيبوس ، وقال البطالسة وهو البطالمة لأن رسم الميم في اليونانية Ptolemaeus والسين في آخر الاسم علامة الرفع في اليونانية ، فهي ليست من بنية الاسم ، فعربه العرب بطليموس وحقيقته بطلميوس ، ولما جمعوا الاسم قالوا البطالسة ، فأثبتوا السين التي هي علامة رفع وحذفوا الميم التي هي من بنية الاسم ، وعنى هذا فالمفرد بطليموس ، والجمع البطالمة ، وقال شيشرون (ص ٣٢) وهو فيقرون أو كيكرون ، ولو انه اشتهر في العصر الحديث بهذا الرسم العجيب . وقال الاكاديميَّة (ص ٣٢) وهي الاقادَمْية ، وقال كليومين (ص ٣٩) وهو إقلومانس ، وقال انقيباطر (ص ٣٩) وهو أنطيفاطر ، وقال أسقيبون (ص ٣٩) وهو إسقفيون ، وقال في (ص ٤٠) بومي ، وفي (ص ٤١) بومبيوس . والاسم لمسمًّى واحد ورسم رسمين مختلفين في صفحتين متواليتين ، وحقيقته فومثيوس ، وقال أبولودور

(ص ٤٣) وهو أفولودوروس ، وقال أرقيزيلاس (ص ٧٩) وهو Arcesilans ويرسم في العربية أرقسيلاوس . وقال استلبون (ص ١٩) وهو إستلفون . والأخطاء في هذا الباب لا تكاد تنتهي من الكتاب .

وترجم المؤلف اسم كتاب إكزينوفانس المسمى Memorabilia فقال المذكرات ، وحقيقته « الذكريات » ، لأنه في الواقع لم يكتب في صورة مذكرات ، وانما كتبه صاحبه ذكريات عن عهد مصاحبته لسقراط ، وقال « بريطوس الصيدوني » ، والنسبة الى مدينة صيدا Sidon صيداوي كما عربها العرب، وقال السيلان (ص ١٢٥) والألطف السيولة ، وقد قال العرب السيولة والميوعة، وقال ممتدة (ص ١٢٥) والأوفق « ذات امتداد » ، وقال « الجواهر الفردة » (ص ١٢٤) مشيراً الى اللفظ الذي استعمله ليبنتز وهو monad (sic) واستعمالها بمعنى الجوهر الفرد الذي هو atom فيه تخليط عظيم . فان جيوردانو برونو أول من استعمل هذا اللفظ (١٥٤٨ — ١٦٠٠) ثم انتحله ليبنتز (١٦٤٨ — ١٧١٦) وما استعمله ليبنتز الا ليتفادى بذلك معنى الجوهرية الذي قال به غسندي ، وعنده انه يدل على عدد من الوحدات الحقيقية لا امتداد لها، ولكن في تضاعيفها حياة داخلية ليفرق بذلك بين المناود monads وبين الجواهر الفردة Atoms هذا ما قاله « مرتز » مؤرخ الفكر الاوربي في القرن التاسع عشر واليك النص الاصلي :

Monad a term first used by Giordano Bruno (1548—1600) and adopted in slightly different sense and brought into prominence by Leibnitz, (1646—1716). To avoid the Atomism of Gassendi, he conceived a multiplicity of true unities, without extension, but endowed with the depth of internal life, thus distinguishing them from the atoms.

على هذا يتحتم علينا أن نعرب هذه الكلمة فنقول في المفرد « منّود » وفي الجمع « المناود » ونخصها بالمعنى الذي أفردها به ليبنتز . وغير هذا خطأ يجب التنبيه عليه .

كذلك قال « الفورينائية وفورينا » . والحقيقة التي لا تقبل الجدل ان يقال الفورينية وفورنية كما حققت ذلك في كتابي « فلسفة اللذة والألم » ص ٥٠ الى ٥٣

وذكر في (ص ١٢١) تعريفاً للمكان ناقصاً ، وهو تعريف لارسطو نقله عنه ابن سينا في رسالة الحدود . قال المؤلف ان المكان (عن أرسطو) هو « السطح الباطن من الحاوي الماس السطح الظاهر من المحوي » . والحقيقة انه ناقص كلمة « الجسم » فيكون « هو السطح الباطن من الجسم الحاوي الماس السطح الظاهر من الجسم المحوي »

والكتاب من حيث الموضوع لا ينقص من قيمته مثل هذه الهنات . ونحن نهنىء المؤلف الفاضل بكتابه ونطالب منه المزيد فأول الغيث قطر ثم ينهمر .

الصهيونية

تأليف نور كامل ؛ ٦٢ صفحة من القطع الصغير ؛ مطبعة الاعتماد ١٩٤٤

كتاب صغير الحجم كبير القيمة حسن الاسلوب اشتراكي النزعة عربي الروح . استعرض فيه مؤلفه نشوء الفكرة الصهيونية وأثبت بجلاء ووضوح ان لهذه الفكرة سياستين: سياسة سرية توجه دعوتها الى اليهود لانشاء دولة يهودية في فلسطين على انقاض العرب ، وسياسة ظاهرة توجه دعوتها الى التعاون مع العرب تحذيراً لاعصابهم حتى تتمكن من السيطرة عليهم في النهاية

ولقد أظهر المؤلف كيف تقلبت النزعات اليهودية مع دورات التاريخ من العصر القديم الى العصر الاقطاعي ثم الرأسمالي ، وشرح كيف عملت الصهيونية منذ اواسط القرن التاسع عشر وجهدت في سبيل الاستيلاء على فلسطين وطرد العرب منها رويداً رويداً حتى يتم لهم انشاء مملكة يهودية فيها

جاء في ختام ذلك الكتاب : « ان التوسع الصهيوني هو في حقيقة امره نكبة من النكبات التاريخية تحل هذه المرة بالجماهير اليهودية المقيمة في فلسطين أو الزاحفة نحو فلسطين. ولن ينقذ هذه الجماهير من الدمار الا شيء واحد « هو انهيار الصهيونية » وقال اننا نحارب الصهيونية « لانا نعتقد ، واعتقادنا مستمد من الواقع الاجتماعي والتاريخي ، ان الصهيونية حركة استعمارية بركبة »

ولعلّ المؤلف لم يرد ان يقول ان التوسع الصهيوني ليس نكبة من نكبات التاريخ سوف يحل بالجماهير اليهودية المقيمة في فلسطين فقط . بل ربما حلت النكبة على غير المقيمين بفلسطين. وان قيام هذه الحركة في الشرق ومركزها فلسطين، سوف يخلق من هذا القطر بلقاناً آخر في الشرق أشبه ببلقان الغرب، وبهذا لا يجني أهل الغرب وأهل الشرق جميعاً إلاّ مرّ الثمرات.

ملك من شعاع

تأليف عادل كامل — ٢٠٤ صفحات من القطع الكبير ؛ مكتبة مصر

ظاهرة طيبة ولا ريب بدأنا نلحظها أخيراً ، إذ شرع الكتّاب يولون وجوههم شطر مصر القديمة ويمدون أبصارهم الى تاريخها القديم . ينهلون منه أدباً جميلاً وقصصاً بارعة ، وأخذوا يستغلون هذا المنجم الذهبي البكر ، ويفرغون كنوزهم في قوالب تتيح لاهل البلاد وجميع الهم أن يشاركوا الفراعين الامجاد فيما خلفوه من تراث أبقى على الدهر من تراث الذهب والمال.

فأصدرت ممو الأميرة شيوه كار قصة مصرية عنوانها « نفرورس أس » ، وكتب الأستاذ عبد المنعم محمد عمر قصة عنوانها « ايزيس وأوزوريس » ، ونشر الأستاذ عادل كامل قصة « ملك من شعاع » ، وأخرج الأستاذ علي أحمد باكثير مسرحية « الفرعون الموعود » فضلاً عن « أحمس » للاستاذ عبد الحميد جوده السحار و « أخناتون ونفرتيتي » للأستاذ باكثير ، و « رادوبيس » للاستاذ نجيب محفوظ وو ...

وكتاب « ملك من شعاع » الذي نحن بصدده ، وضعه الأستاذ عادل كامل المحامي واتخذ موضوعه من سيرة حياة اخناتون . أسبق الناس الى الاعتراف بوجود الله ولجد ينبغي أن يعبده الجميع ، وأول من بشر بأن الله الذي خلق الكون وأبدع صوغه ، لا تنظره العين البشرية المجردة ، وانما يدركه العقل ويؤمن به القلب . وكان اخناتون أول من جرؤ على هدم الأصنام والتماثيل وتحطيم معابدها ، وجاهد ليحمل شعبه القصير النظر ، على اعتناق دينه والخروج من أفق المحسوسات الضيق الى عالم اللامرئيات الفسيح . كان اخناتون ، فرعون مصر ، عبقرياً يعيش في عصر لا يؤمن الا بالحجر والشمس والنجوم والماديات ، وكان عليه أن يكافح كفاح الأبطال ليقنع القوم بما يعسر على العقل القاصر ادراكه . ويعمى على العين رؤيته ، فوفق في هذه المهمة أولاً ، ولكن الشعب سرعان ما تألب عليه بإيعاز من كهنة الأصنام ، وانقلب عليه يطلب دمه ويحكم عليه بالموت وينعته بالخيانة ، وبيع الوطن . ولكن المنية عاجلت اخناتون ، فمات حتف أنفه مغضوباً عليه من شعبه الذي أحبه وأخلص في خدمته ، مطعوناً في نزاهته من أصدقائه المقربين ، وعلت شفتيه وهو مسجي في الفراش هامداً ، بسمة هادئة عذبة تنم عن راحة قلبية واطمئنان الى عدالة القضية التي ناضل لتحقيقها

وقد أجاد الأستاذ عادل كامل ، وهو من الشبان الذين وفقوا في ممارسة فنون الأدب تحليل التطور الفكري لاخناتون ، وبين الخطوات التي استطاع أن يصل بها الى الحقيقة التي غابت عن أذهان معاصريه والسالفين له . وساق القصة ، وهي مزيج نادر من الفلسفة والأدب والمنطق ، في أسلوب جميل أخاذ ، فضلاً عن أن المؤلف ضمنها دروساً في السياسة والاجتماع وألواناً من الحب وضروباً من أفانين الدسائس ووسائل حبكها .

فقال عن الحرب « إنها العمى والعرج والبتر والكساح . إنها الأرملة فقدت زوجها والأم ثكلت ولدها والأخت تبكي أخاها والفتاة تندب حبيبها . . . انها المناحة العظمى تعم أرجاء الوطن ، والشقاء والحزن يخيمان على كل منزل . . . انها المجاعة والذلة والمرض حين تخلو الحقول من حارثيها والبيوت من عاملها ، وتنتشر المقابر والخمائث في كل مكان . . . فليست الحرب هي الشرف ، بل هي الغدر والاغتيال والخديعة . أما الوطن فمن أحبه

حقًّا كره الحرب . فمن يحبّ وطنه يسيئه أن يسلب وطن غيره ، كما ان من يحب زوجته لا يرنو الى زوجة جاره » . وعلى هذا النمط الروائي المنطقيّ ساق الاستاذ عادل قصته الرائعة .

انه حقًّا كتاب جليل ، ولا غرو ، فقد فاز بالجائزة الممتازة في مسابقة وزارة المعارف وقد أحسنت لجنة النشر للجامعيين بنشر هذا الكتاب لأنه سدّ فراغاً طالما استشعرناه .

وديع فلسطين

دفاع عن البلاغة

جاء في استهلال هذا الكتاب الجديد الذي أخرجه الاستاذ احمد حسن الزيات أن السرعة والصحافة والتطفل هي البلايا الثلاث التي تكابدها البلاغة في هذا العصر .

ثم تقرأ بعد ذلك في ص ١٢٢ أن الفرق بين عصر وعصر في الأدب أو بين أديب وأديب في الاسلوب « لا يخرج عن قوة الرجولة في هذا وضعفها في ذاك . فعصر الجاهلية عند العرب واليونان ، وعصر الفتوح عند المسلمين والرومان ، وعهد الفروسية عند الفرنسيين والطليان ، كانت أزهى عصور البلاغة ، لأن الرجولة كانت فيها بفضل النزاع والصراع في سبيل الحياة والغلبة والمجد أشد ما تكون تماماً واضطراماً وقوة » .

وهذا كله صحيح ، وهي جميعاً أسباب أصاب في تفصيلها صاحب الكتاب ، ولو أنا نرى بعضها أولى بالتقديم لما له من أثر فعّال في الركاكة والعامية والغثاثة التي يريد دفعها بهذا الدفاع .

وضعف الرجولة عندنا في العصر الذي نعيش فيه ظاهرة ملحوظة ، نجدها في تخنث الشباب ، وعبث الصحافة ، وتفاهة الاذاعة ، ونشهدها في تكعكع الكهول والشبان على المقاهي ، وانصراف المتعلمين عن الاشتغال بالأعمال الحرة ، وهي البلية كل البلية في تدهور البلاغة وفساد الذوق ، وتفاهة الأدب .

والأستاذ الزيات من شيوخ البناء في مصر والشرق ، جمع بين الثقافتين ، ونقل الى العربية من عيون الأدب الغربي روائع زانها أسلوبه العربي حلاوة ورشاقة وجمالاً وجلالاً مع أمانة النقل ودقة التعبير . فأثبت بذلك أن العيب ليس عيب اللغة ، ولكنه جهل الناقلين وعجز المترجمين

الكتاب دفاع عن البلاغة ، ودفاع عن شخص مؤلفه وعن كل صاحب مذهب في البلاغة وتعريف بالأساليب ، وفتح في الأدب جديد ، وتوجيه الشباب والمتأدبين ، وذكرى لقائمين على شئون العلم والتعليم .

واعتقادي أن الروح الصادق القوي المسيطر على هذا الكتاب انما انبعث من أعماق نفس الأستاذ الزيات فكان صدًى لما يحس وتعبيراً لما يشعر . فاذا علمت أنه كاتب رشيق العبارة، أنيق الأسلوب ، يلتزم السموّ ويترفع عن الاسفاف والعامية ، ولكنه مع رشاقته بعيد عن التكلف ، مرتفع عن الاستكراه والتعسف ، حتى لقد تجهد في تغيير لفظة بدل أخرى فتعجز، فقد تفهم بعد ذلك السر في مهاجمة بعض عجزة الأدباء لحملة الأقلام وزعماء البلاغة فيرمونهم بالتكلف والتصنع ، والبون شاسع بين ما يصدر عن الشعور الصادق بالتعبير الجميل وبين ما يتأثر فيه الكاتب خطى المتقدمين مع النقل والتقليد .

والكتاب بعد ذلك دراسة عميقة لخصائص الأسلوب ، جمعت بين آراء القدماء والمحدثين فتقرأ معي لعبد القاهر الى جانب فكرة لبيفون ، أو رأياً لجاحظ يتبعه رأي لفلوبير ، مع الاقتباسات الملائمة من عيون الأدب ، والأخبار الطريفة التي تبعث الشوق وتدفع السأم .

وخلاصة الرأي في الاسلوب أن الهندسة الروحية للملكة البلاغة ، وأن البلاغة التي نعنيها هي البلاغة التي لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، إذ الكلام كائن حي روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فاذا فصلت بينهما أصبح الروح نفساً لا يتمثل ، والجسم جماد لا يحس » .

غير أن الأستاذ الزيات ، بالرغم من أنه ميز في الأسلوب بين الصورة والفكرة ، أو بين التركيب والمعنى ، فانه يميل في ميزانه الى جانب الأسلوب ، فهو يجعل نسبة الصورة الى الفكرة نسبة اثنين الى واحد ، كما هي نسبة الايدروجين الى الاوكسجين في الماء .

وهذه قضية قد تكون موضع خلاف ، ونحن نرى أن عكسها أدنى الى الصواب .

قال في ص ٢٥ « والحق أن أظهر الدلالات في مفهوم البلاغة هي أناقة الديباجة ووثاقة السرد ونصاعة الايجاز وبراعة الصنعة ، فاذا كان مع كل ذلك المعنى البكر ، والشعور العادق ، كان الاعجاز » .

ومن القضايا التي تحتاج الى إثبات ما يقرره في فصل « البلاغة بين الطبع والصنعة » في قوله : البلاغة كسائر الفنون طبيعة موهوبة لا صناعة مكسوبة .

وهذا يناقض ما جاء في ص ١٠٧ « أريد أن أقول ان توخي الجمال المطبوع في الأسلوب أصل في طبائع الناس امتد منها الى تكوين اللغة وانشاء الأدب ، فاذا سلمت في المنشىء الفطرة ووالته الملكة وساعده الاطلاع . . . صدر عنه الكلام رقيقاً من غير قصد ، أنيقاً من غير كلفة » .

وما دامت خصائص الأسلوب كما جاء في الكتاب هي الاصالة والايجاز والتلاؤم ، فليس ما

يمنع من تعلم الناشر الأساليب الجديدة ؛ فاذا عجزوا كان العيب راجعاً الى التعليم . وفي الكتاب اشارة صادقة الى ذلك حيث يقول «ان معلمي اللغة في كل أمة هم وحدهم المسئولون عن تكوين الذوق السليم وخلق التقويم في الناشيء» .

الحق ان هذا الكتاب مرآة للحياة الأدبية المناصرة ، فيه تحليل عميق وأدب رفيع ، وجرأة في الحق نادرة ، واشراف على التيارات الأدبية المختلفة في مصر والشرق .

احمد فؤاد الاهواني

فن القصص

٣٦ : صفحة من القطع الوسط — نشرته مجلة الشرق الجديد — مطبعة الزهائر

إذا ذُكرتْ القصة الحديثة في الأدب العربي ذكر معها اسم محمود تيمور فهو الذي جاهد في سبيل إرساء دعائمها ، وجاهد في سبيل النهوض بها ... وكان نجاحه فيها سبباً في اجتذاب أقلام كثيرة وخلق مواهب جديدة وكانت جهوده في هذا السبيل نقطة تحوّل في الأدب العربي كان من نتائجه أن أصبح فن القصة أحبّ الفنون وأقربها الى النفوس .

فاذا جاء اليوم ووضع كتاباً عن فنّ القصة فان هذا الكتاب يكون خلاصة تفكير بعيد ، وثمرة جهاد شاق ، ويكون نهجاً يضعه خبيرٌ لمن يتصدى لهذا الفن ببصره ويهديه ويسلك به إلى الطريق السوي .

والكتاب كما قدمته أسرة الشرق الجديد يشتمل على ثلاثة موضوعات رئيسية أولها قضية اللغة العربية وهو بحث قيم أبان فيه العوامل التي تهدد العربية وسائل النمو المطرد واستكمال السلطان التام وتقرّب بين لغة الكلام فترفعها وتزيل الفوارق بينها وبين لغة الكتابة .

ثم الموضوع الثاني يتناول فن القصة ، وهو كما قلنا خلاصة تجربة ونتيجة درس ونصائح خبير . أما الموضوع الثالث فهو تذييل الكتاب بثلاث من أقاصيص المؤلف الرائعة هي « على المفترق » و « إحسان لله » و « في ظلمة الليل » وهي تصور للقارىء مذهب المؤلف في فنه القصصي .

ولقد أحسنت دار الشرق الجديد إذ اخرجت هذا الكتاب لأنها قد سدّت به فراغاً في المكتبة العربية كانت في حاجة اليه فجاء على يد من يحسن الكتابة فيه .

العسرلي

مجلة الكتاب

ظهر العدد الاول من مجلة « الكتاب » ناطقاً بلسان عربي مبين . لا بدّ لمجلة من العروبة زاهية الالوان رائعة البيان . وكفى بمجلة تصدرها دارٌ عربية أصيلة في العروبة ، أن تكون لسان العرب الجنة الفيحاء ولروح العرب المرّبي السائغ ، وللوطنية العربية المنهل العذب .

دار المعارف التي تصدر عنها « الكتاب » دار عربية أصيلة في العروبة ، وصية في خدمة العرب والعربية . دار تمتّ الى المصرية بأسباب ترجع الى نيف وخمسين سنة ، كانت في خلالها موئلاً للبلاغة ، ومجتمعاً للأدباء ، ومنهلاً لروّاد الأدب ، وعلماً في حركة العلم يشار اليه بالبنان .

والصحافة المصرية خاصة ، والعربية جمعاء ، تهتز أعطافها عجلة بأن يكون لهذه الدار الكريمة ، ممثلة في « الكتاب » ، يد في الارتفاع بالصحافة الادبية العربية الى أسمى الذروات ، على كرّ الايام ، ومرّ الاعوام .

العصر العباسي الاول

دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي

بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري — صفحاتها ٣٠٤ من قطع المقتطف .
طبع بمطبعة التفيض الاهلية ببغداد

وضع الدكتور عبد العزيز الدوري كتاباً دقيقاً علمياً مفصلاً عن « العصر العباسي الأول » ليس في نظر من يتصفحه سوى دراسة في التاريخ السياسي والاداري المالي في ذلك العهد ، ولكنها ناحية هامة من حياة الامم لانها كالمرآة الصافية التي تنعكس عليها صورة حقيقية للحياة العامة والخاصة على السواء ، وقد كتب الكثيرون عن تاريخ العرب والحوادث السياسية فيه وقد جاء هذا الكتاب باكورة البحوث العلمية الدقيقة عن ناحية هامة من نواحي الحضارة العربية وعلومها ومعارفها ، ويكفي أن يطلع القارىء على المراجع التي اعترف المؤلف من منهلها العذب بعض أبحاثه ليدرك أي جهد بذل في سبيل العلم .

فن انشاد الشعر العربي

٧٦ صفحة من قطع المقتطف — مطبعة الآباء الفرنسيين بالقدس الشريف

هي رسالة وضعها الأب أغسطس فكيني الفرنسيسي ونقلها الى العربية الأب اسطفان سالم الفرنسيسي والدكتور اسحق موسى الحسيني أراد فيها مؤلفها أن يضع قواعد ثابتة لانشاد الشعر العربي انشاداً صحيحاً الى جانب الفائدة التي تعود على الناظمين من هذه القواعد وذلك باثباته كتابة برموز موسيقية حديثة ليضمن وحدة الايقاع الشعري وذقة اخراجه وهي رسالة لها قيمتها الفنية التي نرجو أن يقبل عليها المهتمون بالشعر العربي وانشاده .

فهرس

٢٦٥ طبقة من نور وأخرى من ظلام في العصور الوسطى : اسماعيل مظهر
٢٧٣ القضاء : الدكتور عبده رزق
٢٧٨ سياسة المجلة الخارجية
٢٧٩ الصباح (قصيدة) : عدنان مردم بك
٢٨١ الافلاطونية الجديدة
٢٨٢ الرهبانية
٢٨٣ نهضة أوربا في القرن الثاني عشر أساسها اللاهوتي ثم الفكري
٢٨٩ المذهب العقلي
٢٩٠ الوصاية والمحسوبية والاستثناء : عبد الله أمين
٢٩٦ الحيتان
٢٩٧ تولستوي : أديب سعادة خوري
٣٠٠ المذنبات : ماذا نعرف عنها
٣٠١ الفقر : صديق الحضارة الاثيرية
٣٠٥ تيار المغنطيس : خليل السالم
٣٠٨ مدينة الشمس
٣٠٩ القواعد الاساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي : اسماعيل مظهر
٣٢٤ الفنون لتيكوف القصصي الروسي : وديع فلسطين
٣٢٩ ميكولوجية أدلر : محمد أديب العامري
٣٣٦ المدرسة الخاتونية البرانية بدمشق : السيد محمد وجب
٣٤٥ سر المريخ
٣٤٨ الارواح : احمد فهمي ابو الخير
٣٥٦ تقسيم تاريخ مصر القديمة : دكتور باهور لبيب
٣٥٨ سر القنبلة الذرية : نقولا الحداد
٣٦٥ اليأمور
٣٦٧ ايتسامة الجوكوندا (قصة) : الدوس هكسلي : تلخيص محمد عوت موسى

---

٣٧٧ مكتبة المقتطف « الفلسفة الرواقية . الصهيونية . ملك من شتاء . دفاع عن البلاغة . من القمر . مجلة الكتاب . العصر الجاهلي في الانشاد الشعري العربي

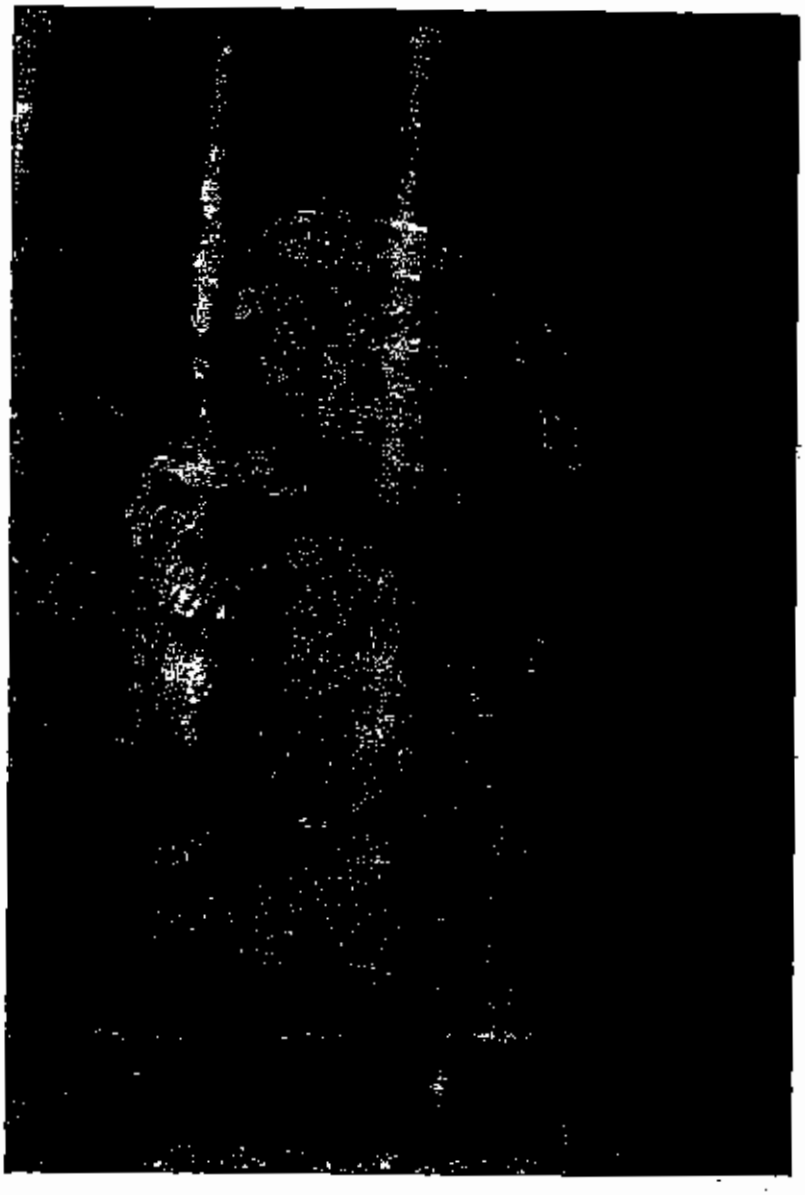

لامير بشير

نقلاً عن صورة زيتية صنعت في الاستانة وتاريخها سنة ١٨٥٥ . أي بعد موت الامير بخمس سنوات . وهذه الصورة محفوظة في قصر بيت الدين